المتنبي.. رؤية نقدية معاصرة

المتنبي.. رؤية نقدية معاصرة

مصطفى الشكعة ومنهجه في دراسة شعر أبي الطيب

سامي غـتَّار الثقفي







المحتويات

الفصل الأول
طرائق دراسة شعر المتنبي عند مصطفى الشكعة

الفصل الثاني
مناهج دراسة شعر المتنبي عند مصطفى الشكعة

الإهداء

إلى أمي حفظها الله

وإلى أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صغيرًا.

التمهيد

الدكتور مصطفى الشكعة رَحِمَهُ اللَّهُ من القامات العلمية والأدبية الكبيرة التي يقف الباحث عندها طويلًا، قبل أن يكتب عنها شيئًا، وذلك للثراء العلمي، والسيرة الزاخرة التي امتدت ما يقارب أربعة وتسعين عامًا، هو عمر الدكتور مصطفى الشكعة رَحِمَهُ اللَّهُ.

وعلى الرغم من قلة المصادر التي تتحدث عن حياة الدكتور مصطفى الشكعة، إلا أنني اطلعت على لقاء مسجّل معه قبل وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ بسنوات قليلة، وكان ذلك في برنامج: «صفحات من حياتي» على قناة المجد الفضائية، وقد أفدت كثيرًا من هذا اللقاء، حيث تحدث الشكعة رَحِمَهُ اللَّهُ عن مسيرة حياته، فيما يقارب خمسين دقيقة، على الرغم من الإعياء الذي كان باديًا عليه، وانخفاض صوته، فقد دونت حديث الدكتور كله، واعتمدت عليه كثيرًا في الحديث عن حياته؛ إضافة إلى عدد من المصادر المكتوبة والالكترونية التي تحدثت عن حياته.

حياته[1]

هو مصطفى محمد علي الشكعة، من مواليد محلة المرحوم في طنطا بجمهورية مصر العربية عام 1920م، وعن سبب تسميته مصطفى، بيّن الدكتور أنه سُمي بذلك، تيمنًا برسول الله ﷺ، وبأحد رموز الحزب الوطني، يقول: «والدي كان سياسيًا ينتمي إلى الحزب الوطني؛ ولذلك

(1) انظر، مقابلة في قناة المجد الفضائية، **صفحات من حياتي**، رابط:
https://almajdtv.tv/default.aspx?No921 & type=2.

أسماني مصطفى تيمُّنًا بسيدنا رسول الله ﷺ، وتيمُّنًا بمصطفى كامل الزعيم المعروف آنذاك»

وأسرة الشكعة أسرة حسينية تنتسب إلى آل بيت رسول الله ﷺ من جهة الأم والأب، يقول الشكعة: «والدتي من بيت صلاح، من نسل صلاح الدين الأيوبي، وأمها من آل البيت، من أحد بيوت آل البيت، ثم آل الشكعة أيضًا من آل البيت، فنحن لنا شرف آل البيت من ناحية الأم، ومن ناحية الأب».

وتلقى الشكعة رَحِمَهُ اللهُ تعليمه في الكتّاب، ثم في المدرسة الابتدائية وحتى المرحلة الثانوية في طنطا، في قريته التي كانت زاخرة بالعلماء، ووالده كان أحدهم. يقول: «قريتي كانت قرية صغيرة يوم ولدت، وكانت ثرية بالعلماء، وكان والدي واحدًا من هؤلاء العلماء؛ وكأبناء القرية تعلمت في الكتّاب، وحفظت أجزاءً من القرآن الكريم، ثم رُئي التحاقي بالتعليم العام، فتعلمت في مدرسة طنطا الابتدائية، وكنت سعيدًا في هذه المدرسة، كان هناك امتحانات شهرية، وكنت ترتيبًا أكون الأول باستمرار، ثم أخذت الشهادة الابتدائية، ثم التحقت بمدرسة طنطا الثانوية» وهنا نلاحظ أن الشكعة لم يذكر المرحلة المتوسطة؛ فهل كان النظام هكذا، ابتدائية ثم ثانوية، ولم يكن هناك مرحلة متوسطة؟ أم أنها سقطت من ذاكرة الدكتور الشكعة التي استمرت أكثر من تسعين عامًا؟ ثم يذكر واحدًا من أساتذته الذين أثروا فيه في تلك المرحلة يقول: «كان هناك أستاذ جليل اسمه عبد الله عبد الجليل، تبناني وتعلمت على يديه كثيرًا من الأدب والإسلاميات».

وفي عام 1934م انتقل الدكتور من طنطا إلى القاهرة بعد وفاة والده، فقد أخذه أخوه الأكبر محمد إلى القاهرة حيث كان يعيش هناك. ثم التحق الشكعة رَحِمَهُ اللهُ بكلية الآداب في جامعة فؤاد الأول.

وكانت دراسة الشكعة الجامعية في كلية الآداب، وحصل على الليسانس والماجستير والدكتوراه منها، الماجستير بعنوان: «بديع الزمان

الهمذاني» وقد صدرت في كتاب بعنوان[1]: «بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية»، والدكتوراه بعنوان: «الأدب في ظل بني حمدان في الموصل وحلب» وسأعود إلى هذه المرحلة لاحقًا بشيء من التفصيل.

ثم بعد تخرّجه عمل معلمًا في مصر مدة ثلاث سنوات، ثم أُعير معلمًا إلى اليمن، وهي مرحلة مهمة؛ مرحلة اتصاله بأئمة اليمن هناك الذين كانوا يحكمونها، وعن هذه المرحلة من مراحل حياته ألّف كتاب[2]: «مغامرات مصري في مجاهل اليمن» الذي يقع في ثلاث مئة وأربع وعشرين صفحة، حوت تفصيلات دقيقة عن حالة اليمن في هذه المرحلة، وعن الدور الذي لعبه الشكعة هناك.

وقد انتدب الشكعة ﷺ في أثناء مسيرته إلى عدد من الجامعات في الإمارات، ولبنان، والسودان. وفي مرحلة من أهم مراحل حياته، مرحلة حياته في أميركا، حيث عمل ملحقًا ثقافيًا لجمهورية مصر العربية في أميركا، مدة ست سنوات، وقد عمل إضافة إلى عمله ملحقًا ثقافيًا؛ مديرًا للمركز الإسلامي، وأمينًا عامًا لهيئة الملحقين الثقافيين العرب.

مصادر ثقافته[3]

لقد كان للنشأة الدينية التي نشأها الشكعة دور بارز في مصادر ثقافته، فقد التحق بالكتّاب في صباه، وحفظ أجزاءً من القرآن الكريم، وكان لدور معلميه في المرحلة الثانوية أثر بارز في توجيهه إلى الأدب والإسلاميات.

---

(1) **بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ ـ 2003م.

(2) انظر، **مغامرات مصري في مجاهل اليمن**، مصطفى الشكعة، دار العودة، بيروت، 1970م.

(3) انظر، مقابلة في قناة المجد الفضائية، برنامج **صفحات من حياتي**، رابط: https://almajdtv.tv/default.aspx?No=921&type=2.

أما أهم مصادر ثقافته، فقد كانت في المرحلة الجامعية، وذلك منذ دخوله، وحتى حصوله على الدكتوراه، وكان لعدد من الأساتذة دور في ثقافته، وإذكائها؛ مثل: شيخه عبدالوهاب عزام وأستاذه طه حسين. يقول الشكعة: «مرحلة التلمذة في الجامعة مرحلة مثيرة» ويتحدث عن شيخه عبدالوهاب عزام فيقول: «في كلية الآداب كنت تلميذًا للأساتذة العلماء الكبار الأكابر، مثل عبدالوهاب عزام شيخي، وكنت أحس أنه أبي من حنانه، وكان مسلمًا، وكان عالمًا متواضعًا وحلّالًا للمشاكل» وبيّن أنه كان يذهب إلى بيته كل خميس، فيقول: «وكأني أذهب إلى بيتي» ويُبين أن حاله كانت موصولة به أستاذًا وسفيرًا.

وعن أستاذه طه حسين يقول الشكعة ﷺ: «طه حسين كان يدرّس بصفة دائمة السنة الثالثة، والرابعة، وسنة ما دخلت فوجئنا بطه حسين يدخل علينا، كان مبهرًا، وكان يدرس لنا الأدب الحديث، والنقد. تناول الأدب الحديث وتوقف عند الرافعي، ولم يعطه حقه، بل ربما غمز من قناته، وبالصدفة دفعتي أكثرنا أولاد مشائخ، وتحدثنا وقلنا نذهب إليه ونحتج، وذهبنا لسكرتيره، وقال ماذا تريدون؟ قلنا نريد أستاذنا؛ فدخلنا، وكنت أنا المتحدث بعد أن غمزوا لي بذلك، فقلت له: لقد استمتعنا بالمحاضرة، لكننا غضبنا لعدم إنصاف مصطفى صادق الرافعي، الذي تعلمنا في بيوتنا أنه كاتب الإسلام الأول. الرجل بُهت، لم يكلمه أحد بهذه الصيغة في الماضي؛ لكنه أحس أنه لم ينصف الرجل، فقال: أنتم أيها الشباب تستعجلون الأمور لو صبرتم للمحاضرة التالية لما جئتم غاضبين؛ وهو كان قد قال في آخر المحاضرة: وإلى اللقاء في الدرس القادم مع أديب آخر. وفي الدرس التالي أنصف الرافعي كليًا. وقد ألّف الشكعة كتابًا عن الرافعي بعنوان[1]: «مصطفى صادق الرافعي كاتبًا عربيًا ومفكرًا إسلاميًا».

(1) **مصطفى صادق الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً**، مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ-1983م.

مكانته بين علماء عصره

الدكتور الشكعة ﷺ من أبرز دارسي الأدب في العصر الحديث؛ له مكانة أدبية وعلمية كبيرة بين علماء العصر الحديث، فقد تنقل في عدد من الجامعات وله الكثير من التلاميذ في العالم العربي. يقول[1]: «عدد كبير من أساتذة الجامعات في العالم العربي من تلامذتي، وعدد غير قليل من وزراء مصر من تلامذتي».

لذلك فالشكعة ﷺ كان قد تبوأ مكانة كبيرة في حياته بين علماء عصره، فقد حصل على عدد كبير من شهادات التقدير، والدروع، وتم تكريمه في عدد من الندوات والمؤتمرات، وتقلّد عددًا من الوظائف والمناصب، وشغل عضوية عدد كبير من اللجان، والهيئات، والمجالس العلمية.

فقد حصل على عدد من الجوائز والأوسمة، ومنها[2]:

جائزة الدولة التقديرية للآداب؛

وسام الجمهورية من الطبقة الرابعة؛

وسام الجمهورية من الطبقة الثانية؛

وسام الآداب والعلوم من الطبقة الأولى؛

وقد تم استضافته وتكريمه في إثنينية عبدالمقصود خوجة.

وقد تقلد الدكتور مصطفى الشكعة ﷺ عددًا من الوظائف والمناصب، ومنها:

عمل مدرسًا بالتعليم الثانوي، وخبيرًا بوزارة الشئون الاجتماعية،

---

(1) انظر، مقابلة في قناة المجد الفضائية، **صفحات من حياتي**، رابط: https://almajdtv.tv/default.aspx?No=921&type=2.

(2) **سلسلة إثنينية عبد المقصود خوجة**، 9/ 121، في 24 ـ 6 ـ 1412هـ، 30 ـ 12 ـ 1991م.

وخبيرًا بمنظمة اليونسكو، وأستاذًا مساعدًا بكلية الآداب بعين شمس، وأستاذًا بكلية الآداب بعين شمس، و ملحقًا ثقافيًا بسفارة مصر في واشنطن.

وعمل في عدد من الجامعات ومن ذلك: عمل رئيسًا لقسم اللغة العربية بجامعة بيروت العربية، وأستاذًا بكليتي الآداب والتربية بالجامعة اللبنانية، وأستاذًا بجامعة أم درمان الإسلامية، وعميدًا للدراسات العليا بجامعة الإمارات العربية المتحدة، وأستاذًا بمعهد الدراسات العربية، وأستاذًا غير متفرغ بأكاديمية أكسفورد للدراسات العليا.

وللشكعة حضور بارز في[1]: عدد من المؤتمرات والندوات، وقد أشرف وناقش أكثر من مئتي رسالة ماجستير ودكتوراه، وله الفضل بعد الله عز وجل في إدخال اللغة العربية في عدد من جامعات الولايات المتحدة الأميركية.

وللدكتور مصطفى الشكعة ﵀ تعالى أكثر من مئة بحث، وله أكثر من خمسين كتابًا في مجال الأدب، والثقافة الإسلامية، ومن أشهر كتبه على الإطلاق كتاب[2]: «إسلام بلا مذاهب» الذي كان الهدف منه بث ثقافة التقريب بين المسلمين، بعدما فعل بهم التفرق ما فعل.

وبعد عمر طويل قضاه الشكعة ﵀ في الدرس، والبحث، والتأليف؛ سُئل عن طموحه بعد التسعين عامًا التي قضاها فقال[3]: «كنت أربو بهدفي، وأرجو أن يتقبلني ربي على المستوى الذي رغبت أن يراني فيه».

(1) انظر، **مصطفى الشكعة، حياته وفكره**، إعداد: بكر إسماعيل الكوسوفي، مكتبة البابرس.

(2) **إسلام بلا مذاهب**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.

(3) انظر، مقابلة في قناة المجد الفضائية، برنامج **صفحات من حياتي**، رابط: https://almajdtv.tv/default.aspx?No=921&type=2.

وقد توفي الدكتور مصطفى الشكعة ﷺ مساء يوم الأربعاء: 17جمادى الأولى 1432هـ الموافق 20 إبريل 2011م، وقد نعته عدد من الهيئات والمؤسسات، ومنها: الأزهر، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، حيث قالت[1]: «توفي إلى رحمة الله تعالى، الدكتور مصطفى محمد الشكعة، عميد كلية الآداب بجامعة عين شمس في القاهرة، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ومستشار شيخ الأزهر الشريف السابق، ومستشار الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية، والمستشار الثقافي الأسبق لجمهورية مصر العربية في واشنطن، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ وهي تنعى الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة إلى العالم الإسلامي، تشيد بجهوده المتميزة في نشر الفكر الإسلامي المستنير وفي خدمة قضايا الإسلام والمسلمين في المحافل الدولية، وفي التربية والتعليم في رحاب الجامعة لمدة تزيد على نصف قرن. لقد كان الفقيد أحد أساتذة الأدب واللغة العربية والفكر الإسلامي المشهود لهم بالكفاءة العالية، والدراية الواسعة، والثقافة المعمقة، والأداء المتميز للرسالة التربوية الجامعية في تنشئة الأجيال على حب الثقافة الإسلامية وتعزيز الارتباط بها، والتعلق باللغة العربية والعمل على خدمتها. وكان في طليعة المفكرين المستنيرين والمؤلفين المقتدرين الذين أغنوا المكتبة الإسلامية المعاصرة بعشرات الكتب من المؤلفات القيمة، يأتي في مقدمتها: «إسلام بلا مذاهب» الذي يعدُّ من الكتب التي أسست لثقافة التقريب بين المسلمين، وكتاب[2] «البيان المحمدي»، الذي هو مرجع مهم في دراسة الخصائص البيانية للأحاديث النبوية،

---

(1) موقع المنظمة الإسلامية للتربية وللعلوم والثقافة إيسيسكو على الرابط: http:// www.isesco.org.ma/index.php?option§com_k2&view§item.

(2) **البيان المحمدي**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1416هـ ـ 1995م.

وكتاب[1] «المغرب والأندلس: آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية»، الذي عالج فيه برؤية منفتحة أثر الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في الثقافة الغربية، وكتاب[2] «الأئمة الأربعة»، الذي ترجم فيه للأئمة الأربعة، وكتاب[3] «الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته»، الذي فنّد فيه المزاعم الباطلة التي روجها بعضٌ من المؤلفين من العرب والأوروبيين عن ابن خلدون، وكتاب[4] «الأدب في موكب الحضارة الإسلامية»، الذي هو تأصيلٌ علمي لدور الأدب في بناء الحضارة، وكتاب[5] «المطالعات الإسلامية في العقيدة والفكر» الذي هو من الكتب التوجيهية التي تقدم للأجيال الجديدة جوانب مشرقة من الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية. رحم الله الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة، وأجزل له الثواب على ما قدمه للإسلام وللمسلمين من جليل الخدمات، بإخلاص العالم المجتهد المؤمن، وبوفاء المعلم الملتزم برسالته الحضارية».

رحم الله الدكتور مصطفى الشكعة وأسكنه فسيح جناته، وجزاه الله خير الجزاء على ما قدّم للإسلام والمسلمين عمومًا، والأدب العربي خصوصًا.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد.

---

(1) **المغرب والأندلس آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية**، مصطفى الشكعة، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، 1987م.

(2) **الأئمة الأربعة**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى 2003م.

(3) **الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 1992م.

(4) **الأدب في موكب الحضارة الإسلامية**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثالثة، 1426هـ ـ 2005 م.

(5) **المطالعات الإسلامية في العقيدة والفكر**، مصطفى الشكعة، دار الكتاب اللبناني للطباعة، الطبعة الأولى، 1990م.

الفصل الأول

طرائق دراسة شعر المتنبي
عند مصطفى الشكعة

المبحث الأول: عقد الموازنة

أولًا: الموازنة بين أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني من خلال شعر الرثـاء.

ثانيًا: الموازنة بين أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني من خلال شعر الفخر.

ثالثًا: الموازنة بين أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني من خلال شعر الحرب.

المبحث الثاني: دراسة القضايا الأدبية

أولًا: قضية التجديد عند المتنبي.

ثانيًا: قضية الفلسفة في شعر المتنبي.

1 ـ الاتجاهات الفلسفية في شعر المتنبي.

2 ـ النقاد القدماء وفلسفة المتنبي.

3 ـ النقاد المحدثون وفلسفة المتنبي.

4 ـ هل كان المتنبي فيلسوفًا؟

ثالثًا: قضية حجب المتنبي لبعض شعره.

المبحث الثالث: دراسة الخصائص الفنية.

أولًا: المستوى الفني لقصائد المتنبي في العراق الفارسي.

1 ـ العميديات

2 ـ العضديات

ثانيًا: مطالع الكافوريات.

ثالثًا: معاصرو المتنبي ومآخذهم على شعره.

الفصل الأول

طرائق دراسة شعر المتنبي عند مصطفى الشكعة

عندما درس الدكتور مصطفى الشكعة رحمه الله، شعر أبي الطيب المتنبي، فإنه قد استخدم ثلاث طرائق في دراسته، وهي كما يلي:

الطريقة الأولى: عقد الموازنة، حيث عقد موازنة بين أبي الطيب المتنبي، وأبي فراس الحمداني، من خلال شعر الرثاء، وشعر الفخر، وشعر الحرب.

الطريقة الثانية: دراسة القضايا، حيث درس قضية التجديد في شعر المتنبي، وقضية الفلسفة في شعر المتنبي، وقضية حجب المتنبي لبعض شعره.

الطريقة الثالثة: دراسة الخصائص الفنية، حيث درس المستوى الفني لقصائد المتنبي في العراق الفارسي، ومطالع الكافوريات، ودرس معاصري المتنبي ومآخذهم على شعره.

وفيما يلي تفصيل الحديث عن كل طريقة من هذه الطرائق وكيفية استخدامه لها:

المبحث الأول

عقد الموازنة

الموازنة بين أبي الطيب المتنبي، وأبي فراس الحمداني من خلال: شعر الرثاء، وشعر الفخر، وشعر الحرب.

الموازنة في اللغة[1]: وَزَنَ الشيء من باب وعَدَ و«زِنَةً» أيضًا، ويُقال: «وَزَنْتُ» فلانًا وَوَزَنْتُ لفلانٍ، وهذا يوازن هذا إذا كان على زِنَتِهِ أو محاذيه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: 3]. ووازنت بين الشيئين[2] موازنة ووِزانًا، وهذا يوازن هذا إذا كان على زِنَتِه أو كان محاذيه.

الموازنة اصطلاحًا: هي دراسة يتم من خلالها الموازنة بين عناصر الأدب، وفنونه، وعصوره ورجاله قصد الإيضاح والترجيح.

يقول الدكتور زكي مبارك[3]: «ليست الموازنة إلا ضربًا من ضروب النقد يتميز بها الرديء من الجيد، وتظهر به وجوه القوة والضعف في أساليب البيان، فتتطلب قوة في الأدب، وبصرًا لمناحي العرب في التعبير،

(1) **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410 هـ، مادة وَزَنَ.

(2) **لسان العرب**، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار الفكر، مادة وَزَنَ.

(3) **الموازنة بين الشعراء**، زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ ـ 1393م، ص 7.

ومن هنا كان القدماء يتحاكمون إلى النابغة الذبياني تحت قبته الحمراء، وفي سوق عكاظ، إذ كان في نظرهم أقدر الشعراء على وزن الكلام».

ولعل فكرة الموازنات والمقارنات في الأدب العربي انطلقت مبكرًا وذلك من العصر الجاهلي، حيث كانت تعقد مجالس التحكيم في سوق عكاظ، وكان يُضرب فيه للنابغة الذبياني خيمة حمراء، فيكون فيها حكمًا بين الشعراء، ويفضِّل بعضهم على بعض. وإن كانت هذه الآراء والموازنات انطباعية في أغلب الأوقات إلا أنها تمثل الإرهاصات، والوسائل الأولى النقدية التي من خلالها بدأ يتشكل أسلوب المقارنات والموازنات أسلوبًا من أساليب الدرس النقدي والأدبي.

وتظل الموازنات في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي انطباعية ذوقية، كتلك التي قارنوا فيها بين كلام الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179]. وبين كلام كفار قريش عندما أرادوا أن يعبِّروا عن معنى هذه الآية فقالوا:

«القتل أنفى للقتل». معتمدين في ذلك على ما ورد في الكتب المتقدمة.

يقول ابن كثير رحمه الله[1]: «وفي الكتب المتقدمة: القتل أنفى للقتل فجاءت هذه العبارة في القرآن الكريم أفصح وأبلغ وأوجز ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ﴾ [البقرة: 179]».

وتستمر الموازنات في العصر الأموي كتلك التي قارنوا فيها و وازنوا بين شعراء النقائض و بين الشعراء والخطباء، بالرغم مما اتسمت به تلك الموازنات من العصبية التي كان لوجود الأحزاب السياسية دور في ذلك.

وتصل الموازنات إلى العصر العباسي وإلى منتصف القرن الرابع

(1) **تفسير القرآن العظيم**، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، الريان للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة 1420هـ ـ 1999م، 1/ 276.

الهجري حيث نجد أنها تتخذ طابعًا منهجيًا، فهذا أبو بكر الصُّولي المتوفى سنة 335 هـ يؤلف كتابه[1]: «أخبار أبي تمام» والذي يوازن فيه بين شعر أبي تمام، وشعر البحتري ويفضل جملة أبا تمام على البحتري، وفي كتاب[2]: «الموازنة بين أبي تمام والبحتري» يضع أبو القاسم الآمدي الأسس التي تقوم عليها الموازنة حيث وازن بين الشاعرين من حيث الاختلافات بينهما وعرض لخصائص وصفات كل واحد منهما وما يمتاز به، حتى إن هذا الكتاب ليعتبر أحد أسس النقد المقارن في التراث العربي، ونجد في كتاب: «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» لابن رشيق القيرواني المتوفى سنة 456 هـ، شيئًا من الموازنات التي يوردها عن سابقيه، مثل قوله[3]: «ومن الشعراء من لا يجيد الابتداء ولا يتكلف له ثم يجيد باقي القصيدة وأكثرهم فعلًا لذلك البحتري كان يصنع الابتداء سهلاً ويأتي به عفوًا وكلّما تمادى قوي كلامه وله من جيد الابتداءات كثير، لكثرة شعره والغالبُ عليه ما قدّمت غير أن القاضي الجرجاني فضله بجودة الاستهلال ـ وهو الابتداء ـ على أبي تمام وأبي الطيّب وفضلهما عليه بالخروج بخاتمة ولست أرى لذلك وجهًا إلا كثرة شعره كما قدّمت فإنه لو حاسبهما ابتداء جيدًا بابتداء ما لأربى عليهما وقضوا عن عذره».

وفي العصر الحديث نجد أن من كتبوا في النقد والأدب قد استخدموا

(1) **أخبار أبي تمام**، تأليف أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، حققه: خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، نظير الإسلام الهندي، قدّم له الدكتور أحمد أمين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1400هـ ـ 1980م.

(2) الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى بالموصل عام 231هـ وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي المتوفى عام 284هـ، تصنيف الإمام النقّادة أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي البصري المتوفى عام 370هـ، حقق أصوله وعلّق على حواشيه محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العلمية، بيروت ـ لبنان.

(3) **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ابن رشيق القيرواني، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، 1424هـ، 1/ 206.

أسلوب الموازنات ومنهم على سبيل المثال: الدكتور زكي مبارك المتوفى سنة 1952م، في كتابه[1] «الموازنة بين الشعراء» الذي عقده في ثمانية وثلاثين بحثًا بين عدد كبير من الشعراء مثل: البحتري[2] وشوقي[3]، والبوصيري[4]، وأبي نواس[5] وابن درّاج[6] وصبري[7]، ومطران[8]، والموازنة بين عدد من القصائد، ويستخدم الدكتور مصطفى الشكعة رحمه الله تعالى طريقة عقد الموازنات في دراسته للشعر العربي؛ فقد وازن بين كثير من الشعراء، ووازن بين الموضوعات والقصائد، وتتجلى طريقة الموازنة عند دراسته لشعر أبي الطيب المتنبي، فقد وازن بين أبي الطيب المتنبي، وأبي فراس الحمداني من خلال: 1 ـ شعر الرثاء 2 ـ شعر الفخر 3 ـ شعر الحرب.

وسأفرد لكل موازنة من هذه الموازنات الثلاث مبحثًا خاصًا، مبينًا طريقته في الموازنة بين الشاعرين في كل غرض من الأغراض الثلاثة السابقة.

---

(1) انظر، **الموازنة بين الشعراء**.

(2) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري، شاعر كبير. انظر (**الأعلام** قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزِّرِكْلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان 8/ 121).

(3) أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي، أشهر شعراء العصر الأخير، يلقب بأمير الشعراء. (**الأعلام** 1/ 136).

(4) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، أبو عبد الله شرف الدين، شاعر حسن الديباجة، مليح المعاني. (**الأعلام** 6/ 139).

(5) الحسن بن هانئ بن عبد الأول صباح الحكمي، بالولاء، أبو نواس شاعر العراق في عصره. (**الأعلام** 2/ 225).

(6) أحمد بن محمد بن العاصي بن درّاج القسطلّي الأندلسي، أبو عمر شاعر وكاتب. (**الأعلام** 1/ 211)

(7) إسماعيل صبري باشا: من شعراء الطبقة الأولى في عصره. (**الأعلام** 1/ 315).

(8) خليل بن عبده بن يوسف مطران شاعر غواص على المعاني من كبار الكتاب. (**الأعلام** 2/ 320).

أولًا: الموازنة بين أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني من خلال شعر الرثاء

يُعد فن الرثاء في الشعر العربي من الفنون التي طرقها الشعراء العرب في مختلف العصور الأدبية، بدءًا بالعصر الجاهلي حتى عصرنا الحديث، وقد كان من هؤلاء الشعراء الذين نظموا قصائد في الرثاء أبو الطيب المتنبي، وأبو فراس الحمداني. فقد نظم أبو الطيب المتنبي عددًا من قصائد الرثاء؛ مثل قصيدته في رثاء خولة، أخت سيف الدولة، يقول في مطلعها[1]:

يا أختَ خير أخٍ يا بنتَ خيرِ أبِ   كنايةً بِهِما عن أشرفِ النَّسبِ

ومنها:

طوَى الجزيرةَ حتى جاءَني خبرٌ   فزِعتُ فيهِ بآمالِي إلى الكذبِ

حتى إذا لمْ يَدعْ لي صِدقُهُ أملاً   شرقتُ بالدمعِ حتى كادَ يشرقُ بي

يُظهر حزنه وتحسره عليها، معبرًا في البيت الأول عن حزنه بندائه لها بأنها خير أخت لأخ، والمقصود به[2] سيف الدولة، وخير بنت لخير أب وهو: أبو الهيجاء، والذي أراده أن نسبهما من أشرف الأنساب، والأبيات فيما يبدو لي في مطلعها لا تخلو من المبالغة التي تجري على ألسنة كثير من الشعراء.

ويرى محمود شاكر ﷺ أن هذه القصيدة لا تمثل رثاءً فقط لخولة أخت سيف الدولة؛ وإنما تكشف في كثير من أبياتها عن حب صادق كان

---

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى التبيان في شرح الديوان**، ضبطه وصحح فهارسه، مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، 1/ 86.

(2) علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربعي، أبو الحسن، سيف الدولة: الأمير، صاحب المتنبي وممدوحه. (**الأعلام** 4/ 303)

قد نشأ بين أبي الطيب المتنبي وخولة أخت سيف الدولة الحمداني. يقول محمود شاكر متحدثًا عن هذه القصيدة[1]: «هذا ولا نشك نحن من قبل ما جمعناه عندنا من الدلائل في هذا الأمر المتعلق بحب أبي الطيب لخولة أخت سيف الدولة الحمداني في أن سيف الدولة كان على علم بما كان بينهما من المحبة الغالبة على أمرهما». ومن قصائد الرثاء قصيدته في رثاء والدة سيف الدولة التي يقول في مطلعها[2]:

نُعِدُّ المشرفيّةَ والعَوالِي وتقتلُنَا المَنونُ بلا قتال

ونرتَبِطُ السَوابقَ مُقرَبَاتٍ وما يُنجِينَ من خَبَبِ الليالِي

ومنها قوله:

ولو كانَ النِّساءُ كمَنْ فَقَدنَا لفُضِّلتِ النساءُ على الرِّجالِ

ومَا التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عَيبٌ ولا التذكِيرُ فخرٌ للهلالِ

في هذه الأبيات يستهل أبو الطيب المتنبي بتقرير حقيقة، وهي أننا نعد السيوف والرماح للقتال ونتهيأ له بهما، ولكن المنون تقتلنا بلا قتال ولا سيوف ولا رماح، وكذلك نقتني ونرتبط الخيول الكريمة السوابق، ولكنها لا تنجينا من عدْو الليالي التي تعدو في إثرنا. ثم يبين أن النساء لو كنّ في الفضل كمن فقدنا وهي أم سيف الدولة لفضلنا النساء على الرجال، ثم يذكر أنه ليس كل تأنيث عيبًا لصاحبته، فقد يكون فخرًا وشرفًا لها، فهذه الشمس مؤنثة ولكنها تفوق الهلال المذكر الذي يصيبه النقص ويكون محاقًا في بعض أطواره، بينما الشمس مؤنثة ولكنها تضيء الكون بضيائها. ومن قصائد الرثاء عند المتنبي قصيدته في رثاء[3] أبي شجاع فاتك المجنون

---

(1) **المتنبي**، أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1407هـ - 1987م، ص 342.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 8.

(3) فاتك الرومي، الملقب بالمجنون لشجاعته، ويقال له فاتك الكبير ممدوح المتنبي. (**الأعلام** 5 / 126).

الذي مدحه المتنبي بقصيدة بعد أن أحسن إليه. يقول في مطلعها[1]:

لا خيلَ عندكَ تُهديهَا ولا مالُ فليسعدِ النُّطقُ إن لم تُسعِدِ الحَالُ

ومنها:

كفاتِكٍ ودخولُ الكافِ منقصةٌ كالشمسِ قلتُ وما للشمسِ أمثالُ

وأما قصيدته في رثاء فاتك المجنون فهي كما يقول عنها الدكتور مصطفى الشكعة[2]: «ومكث خمسين سنة لم يتحقق له شيء مما أراد، فينشئ مرثيته الخالدة في صديقه الفارس يضمنها كل أحزانه، ويلبسها كل مشاعره، فجاءت واحدة من أرق قصائد المتنبي الرثائية وأعمقها».

يقول المتنبي في مطلع القصيدة[3]:

الحُزنُ يُقلِقُ والتَّجمُّلُ يَردَعُ والدَّمع بينَهما عَصِي طَيِّعُ
يتنازَعانِ دمُوعَ عينِ مُسَهَّدٍ هذا يَجيءُ بها وهذا يَرجِعُ
النَّومُ بعدَ أبي شُجاعٍ نافِرٌ والليلُ مُعْيٌ والكواكبُ ظُلَّعُ
إني لأجبُنُ من فِراقِ أحبتِي وتُحِسُ نفسِي بالحِمامِ فأشْجُعُ

يُظهِرُ في هذه الأبيات حزنه على أبي شجاع، فحزنه يقلقه وصبره يمنعه ويردعه عن الجزع، والدمع بين الحزن والصبر، عاصٍ للصبر مطيع للقلق، والصبر والحزن يتنازعان دموع عين الرجل السهران ويقصد نفسه، والحزن يأتي بهذه الدموع والصبر يردها، ويظهر حزنه على أبي شجاع بأن النوم ينفر من عينيه بسبب ذلك الحزن ويشاركه في ذلك الليل والكواكب ويبين أن الفراق عنده ـ وخصوصًا فراق الأحبة ـ أعظم من الموت في رأيه.

ومن القصائد التي سنعرض لها في مجال الموازنة في الرثاء بين أبي

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي** 3/276.
(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، صفر 1425هـ ـ إبريل 2004م، ص393.
(3) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 268.

الطيب وأبي فراس قصيدة المتنبي في رثاء جدته، وهي القصيدة الوحيدة من قصائده في مجال الرثاء التي عرض لها مصطفى الشكعة بالدرس والموازنة.

يقول المتنبي في مطلعها[1]:

ألا لا أُري الأحداثَ حمدًا ولا ذمَّـا   فما بطشُها جهلاً ولا كفُّها حِلما

وسأعود لأعرض لهذه القصيدة في موضعها عند الحديث عن الموازنة في مجال الرثاء.

هذه أبرز قصائد المتنبي في مجال الرثاء. والذي أُلاحظه أن أبا الطيب المتنبي قد صرف أكثر شعره في مجال الرثاء لرثاء النساء فهو يرثي أخت سيف الدولة، وكذلك يرثي أم سيف الدولة وعمة عضد الدولة، وينشئ قصيدته في رثاء جدته، بينما لا نكاد نجد رثاءً للرجال في شعره إلا قصيدته في رثاء فاتك المجنون. فما الذي دعا أبا الطيب المتنبي إلى ذلك؟ هل مواقفه المستعلية على الرجال بجميع طبقاتهم؟ مما جعله لا يكترث لموتهم؟ أم ما الذي حدا أبا الطيب إلى ذلك؟

أما أبو فراس الحمداني أحد طرفي الموازنة فنجد أن له قصائدَ عديدة في مجال الرثاء من أبرزها: قصيدته في رثاء أمه عندما أتاه خبر وفاتها وهو في الأسر، والتي ستكون موضع الموازنة مع أبي الطيب المتنبي يقول في مطلعها[2]:

أيـا أمَّ الأسـيـرِ سـقـاكِ غـيـثٌ   بِـكُـرهٍ مـنـكِ مـا لـقـيَ الأسـيـرُ

وسأعود إليها بإذن الله بشيءٍ من التفصيل. ومن قصائده في مجال الرثاء مقطوعته الشعرية في رثاء نفسه التي يخاطب فيها ابنته قائلًا[3]:

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 102.

(2) **ديوان أبي فراس الحمداني**، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1404هـ، ص 67.

(3) **ديوان أبي فراس الحمداني**، ص 36.

أبُنَيَّتِي لا تحزنِي … كلُّ الأنامِ إلى ذَهابِ
أبُنَيَّتِي صبرًا جمـ … ـلاً للجليلِ من المُصابِ
نُوحِي عليَّ بحسرةٍ … من خلفِ ستركِ والحِجابِ
قُولي إذا ناديتِني … وعييتُ عن ردِّ الجوابِ
زينُ الشبابِ أبو فرا … سٍ لم يُمتَّعْ بالشبابِ

في هذه الأبيات يتحدث أبو فراس مخاطبًا ابنته، راثيًا نفسه يقول لها: يا بنيتي ـ بصيغة التصغير تحببًا وتوددًا وتصبيرًا لها ـ لا تحزني مقررًا مصير كل الأنام أنهم إلى ذهاب وزوال، ويكرر نداءها ويطلب منها أن تصبر على المصاب الجلل وهو فقد والدها، ويطلب منها النوح عليه بحسرة مع المحافظة على الستر والحجاب، وإذا نادته ولم يعِ جوابها ولم يرد فيطلب منها أن تقول: إن أباها أبو فراس زين الشباب لم يمتع بشبابه فقد توفي وهو لم يبلغ الأربعين من عمره.

في رأيي إن هذه الأبيات وقصيدته في رثاء أمه من أشهر شعر الرثاء عند أبي فراس الحمداني. من خلال هذه القصائد في شعر الرثاء عند الشاعرين ينطلق الشكعة رحمه الله في موازنته بين الشاعرين؛ فنجده يوازن بين قصيدتين للشاعرين إحداهما: قصيدة أبي الطيب المتنبي في رثاء جدته، والأخرى: قصيدة أبي فراس الحمداني في رثاء أمه.

ولكن؛ لماذا أهمل الشكعة رحمه الله كل شعر الرثاء عند الشاعرين من الموازنة واكتفى بالموازنة بين هاتين القصيدتين؟

الذي أراه أن داعي الموازنة بين هاتين القصيدتين فقط: هو تشابه مَن قيل فيهما الرثاء؛ فالأولى هي جدة المتنبي، والأخرى أم أبي فراس، والأمر الآخر غربة كل واحد منهما عندما بلغه خبر الوفاة، فأبو الطيب المتنبي بعث إلى جدته بكتاب وهو بعيد عنها فقرأته وفرحت به، وحُمّت وماتت، وأبو فراس ماتت أمه وهو في الأسر في بلاد الروم.

يقول أبو الطيب في رثاء جدته[1]:

أَلا لا أُري الأحداثَ حمْدًا ولا ذمّا فما بطشُها جهلاً ولا كفُّها حِلمَا
إلي مثلِ ما كانَ الفتَى مَرْجعُ الفتَى يَعودُ كما أبْدَى ويُكرِي كما أرْمَى
لك اللهُ مِنْ مفجُوعةٍ بحبِيبِها قَتيلةِ شوقٍ غيرَ مُلحقِها وصْمَا
أحِنُّ إلى الكأسِ التي شربتْ بها وأهوَى لمثوَاها التُّرابَ وما ضَمَّا
بَكيتُ عليها خِيفةً في حياتِها وذاقَ كِلانا ثُكلَ صاحبِهِ قِدمَا

ومنها:

أتاهَا كتابِي بعدَ يأسٍ وتَرْحَةٍ فماتتْ سُرورًا بي فمتُّ بها هَمَّا
حرامٌ على قلبِي السُّرورُ فإنَّنِي أعُدُّ الذِي ماتتْ بهِ بعدَها سُمّا
فأصبحتُ أستسقِي الغمامَ لقبرِهَا وقدْ كنتُ أستسقِي الوغَى والقنا الصُّمَا
وكنتُ قبُيلَ الموتِ أستعظِمُ النَّوَى فقد صارتِ الصُّغرَى التي كانتِ العُظمَى
فوا أسفًا ألاّ أكبَّ مُقبِّلاً لرأسِكِ والصَّدرِ الذي مُلئا حَزْمَا

في هذه القصيدة التي بلغت أربعة وثلاثين بيتًا التي يرثي فيها المتنبي جدته يبين في مطلعها أنه لا يُري الأحداث حمدًا ولا ذمًا؛ لأنها إن بطشت ليس جهلًا منها وإن كفت فليس حلمًا منها؛ وإنما هو بفعل الله سبحانه وتعالى، فالإنسان لابد أن يرجع إلى حالته الأولى وينقص كما زاد، ثم يدعو لها وهي التي قتلها شوقها ولم يكن ذلك الشوق عيبًا، فهو شوق إلى حفيدها وحبيبها، ويبدي المتنبي اشتياقه إلى كأسها التي شربت بها، ويقصد هنا الموت، وشوقه إلى القبر وما ضم ذلك القبر من جثمانها، ويبين أنه بكى عليها في حياتها وهي كذلك بكت عليه؛ لأنهما ذاقا الفراق من قبل، ويصف فرحتها بكتابه عندما أتاها بعد أن يئست، فماتت من الفرح بكتابه ومات هو بموتها همًّا، ويَعد السرور الذي ماتت به جدته سمًا، فهو يحرم على نفسه السرور بعدها، فأصبح من بعد أن كان يستسقي ويطلب الحرب

(1) ديوان أبي الطيب المتنبي، 4/ 102.

ودماء الأعداء؛ أصبح يستسقي الماء والغمام لقبرها، وقبل أن تموت جدته كان يستعظم الفراق ولكن بعد وفاتها أصبح هذا الفراق صغيرًا مع موتها الذي أصبح هو المصيبة العظمى، ثم يتحسر على أنه لا يكتب مقبّلًا لرأسها ولصدرها الذين ملئا حزمًا.

وأما أبو فراس الحمداني فيرثي أمه وقد بلغه خبر وفاتها وهو في الأسر قائلًا[1]:

أيـا أمَّ الأسـيـرِ، سـقـاكِ غـيـثٌ … بِـكُـرهٍ مـنـكِ، مـا لـقـيَ الأسـيـرُ

أيـا أمَّ الأسـيـرِ، سـقـاكِ غـيـثٌ … تـحـيَّـرَ لا يُـقـيـمُ ولا يَـسـيـرُ

أيـا أمَّ الأسـيـرِ، سـقـاكِ غـيـثٌ … إلـى مَـن بـالـفِدا يـأتـي الـبـشـيرُ؟

أيـا أمَّ الأسـيـرِ، لـمـن تُـربَّـى … وقـد مُـتِّ، الـذوائـبُ والـشُّـعـورُ

إذا ابـنُـكِ سـارَ فـي بـرٍّ وبـحـرٍ … فـمـنْ يـدعُـو لـه، أو يـسـتـجـيـر

حـرامٌ أن يَـبـيـتَ قـريـرَ عـيـنٍ … ولـؤمٌ أن يُـلـمَّ بـه الـسـرورُ

وقـدْ ذُقـتِ الـمَـنـايَـا والـرَّزايـا … ولا ولـدٌ، لَـديـكِ ولا عَـشـيـرُ

لـيـبـكـكِ كـلُّ يـومٍ صِـمـتِ فـيـهِ … مُـصـابـرةً، وقـد حَـمِـيَ الـهـجـيـرُ

ومنها:

إلـى مَـنْ أشْـتـكِـي ولِـمَـنْ أُنـاجِـي … إذا ضـاقـتْ بـمـا فـيـهَـا الـصُّـدُورُ

نُـسـلَّـى عـنـكِ: أنَّـا عـن قـلـيـلٍ … إلـى ما صِـرتِ في الأخرَى نَـصِـيـرُ

في هذه القصيدة يتجلى حزن أبي فراس على أمه حزنًا لا يخالطه فخر وإنما بكاء صادق فيكرر نداءها في هذه القصيدة ليدلل على حزنه وتأثره، ويدعو لها في مقدمة قصيدته بغيث متحيّر لا هو دائم فيغرق قبرها ولا منقطع فيجف ثراها وترابها، ويظهر حزنه عليها بعدم تربيته للذوائب والشعور فمن سيدعو له بعد موت أمه إذا ركب مخاطر البر والبحر، وبيّن تقواها وصيامها بعد أن ماتت وقد ذاقت المصائب والمنايا وولدها في

(1) **ديوان أبي فراس الحمداني**، ص 67.

الأسر و زوجها قد توفي عنها، ويظهر حيرته وحزنه ولمن يشتكي إذا كثرت همومه ولن يبيت قرير عين بعدها، ومن اللؤم أن يسر بعد وفاتها، ولكنه يعود أخيرًا ويعزي ويسلي نفسه عنها، فإنه صائر إلى المصير نفسه الذي صارت إليه.

من خلال موازنة الشكعة ﷺ بين هاتين القصيدتين يتضح أن أبا فراس قد جعل قصيدته خالصة في رثاء أمّه؛ فالعاطفة صادقة والأبيات كلها تتحدث عن موت أمه بحزن عميق، وأما المتنبي فقد جمع بين الرثاء والفخر في قصيدته الأمر الذي كان أولى بالمتنبي ألاّ يفعله.

يقول الشكعة[1]: «وأما أبو فراس فقد ماتت أمه وهو في الأسر حسرة عليه، وأبو فراس شاعر حساس لين الوجدان صافي النفس مشرق القلب فلم يفعل كما فعل المتنبي من الخلط بين الرثاء والفخر والهجاء وإنما احتشد بكليته لبكاء أمه».

يقول أبو الطيب مفتخرًا في آخر قصيدته في رثاء جدته[2]:

وَلو لمْ تكوني بنتَ أكرمِ والدٍ ... لكانَ أباكِ الضَّخمَ كونُكِ لي أُمّا
لئِنْ لذَّ يومُ الشَّامتينَ بموتِها ... فَقدْ وَلَدتْ مِنّي لآنافِهِمْ رَغْما
تغرَّبَ لا مُستعظِمًا غيرَ نفسِهِ ... ولا قابِلاً إلا لخالقِه حُكْمَا
ولا سالكًا إلا فُؤادَ عَجاجَةٍ ... ولا وَاجِدًا إلا لمَكْرُمةٍ طعمَا

في هذه الأبيات يفخر المتنبي بنفسه فخرًا أفسد ـ في نظري ـ جمال قصيدة الرثاء هذه فهو يخاطب جدته وأنها لو لم تكن بنتًا لأب عظيم القدر لكانت ولادتها إياه بمنزلة ذلك الأب العظيم القدر، ويخبر أنه إن فرح الشامتون بموتها فقد خلفته رجلًا يرغم أنوفهم، فقد تغرب في الأوطان لا

(1) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، 1981م، ص 299.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 107.

يستعظم إلا نفسه ولا يرضى لأحد من البشر حكمًا عليه، إلا حكمًا لله عز وجل، ولا يستعذب إلا الحرب والمكارم.

ويلخص الشكعة موازنته بين الشاعرين في الرثاء بقوله[1]: «وهكذا يظهر لنا الشاعر الأمير الحساس وقد أرسل في هذه القصيدة كل صبابات قلبه، وذوب نفسه ونفثات حشاه المكلوم بحيث بدت العاطفة الأصلية وكأنها تقفز خلال كل بيت من أبياتها وكل كلمة من كلماتها وكأننا نتصور وهو يبكي بالفعل بكاءً مرًا حزينًا، وهو ما لم يظهر بوضوح في قصيدة المتنبي مع أن الظروف واحدة والملابسات واحدة في كلتا القصيدتين، ولكن المتنبي غلبت عليه طبيعة الوصف اللفظي والشرود إلى الحكمة وأما أبو فراس فقد غلبت عليه طبيعته الحساسة ومشاعره الخالصة فبكى كما يبكي الأطفال لأنه بكى عن إحساس وأما المتنبي فقد بكى تقليدًا».

والذي أراه أنه كان ينبغي للشكعة ﷺ ألّا يقصر موازنته على هاتين القصيدتين لتشابه ظروفهما؛ بل كان الأولى أن يوازن بين جميع القصائد للشاعرين في غرض الرثاء، من خلال العاطفة والصور والألفاظ والتراكيب.

ثانيًا: الموازنة بين أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني من خلال شعر الفخر

لقد طرق الشاعران أبو الطيب المتنبي وأبو فراس الحمداني غرض الفخر في كثير من قصائدهما، ونجد أن من الأسباب الرئيسة لشعر الفخر عند الشاعرين البيئة التي عاشا فيها في بلاط سيف الدولة، فقد كان لهذه البيئة أثرٌ في إذكاء روح الفخر لدى شعراء الأمير الحمداني وعلى الخصوص الشاعرين أبي الطيب المتنبي، وأبي فراس الحمداني إن لم يكن قد انحصر فيهما فعلًا.

(1) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 301.

فأبو الطيب كان يشاهد معارك الأمير حيَّةً ويصفها، وأبو فراس كان أحد القادة الشجعان الذين قادوا وشاركوا في كثير من المعارك مما جعل الفخر يتخذ سبيله إلى الظهور قويًا عند هذين الشاعرين، وإن اختلف الشاعران في النشأة والنسب؛ فأبو فراس سليل أسرة عريقة جمعت الملك والإمارة والشجاعة ونشأ في بلاط سيف الدولة الذي علمه كثيرًا من أنواع الفروسية، مما ساعده على القول في هذا الفن.

وأما أبو الطيب المتنبي فقد نشأ نشأةً مغمورة، ونسبه لا يقارب نسب أبي فراس أو يدانيه ولكن نفسه الوثابة التواقة إلى المعالي هو ما دفعه إلى الفخر كثيرًا. يقول الشكعة ﷺ عن الفخر عند الشاعرين[1]: «وإذا ما قُورن أبو فراس بالمتنبي في هذا المعنى فهو أبرز وأبرع لأن فخره صادق ذو أصالة، وأما فخر المتنبي فمصطنع فضلًا عن ضيق أفقه في هذه الناحية لفقر شأنه وقصر باعه في الفروسية والشجاعة إذا قورن بأبي فراس».

ويتبين لنا أن من الفروق الرئيسة للفخر بين أبي الطيب وأبي فراس؛ أن أبا فراس يفخر بنسبه وعشيرته وقومه، وأما أبو الطيب فيفخر بنفسه، بل يتعدى ذلك إلى أن يهجو كل من ينكر عليه فخره بنفسه أو يعرِّض به. ولعل النماذج القادمة تجلو لنا شيئًا من حقيقة الفخر عند الشاعرين.

فهذا أبو فراس يفخر بنسبه وعشيرته ومجده قائلًا[2]:

أنا الحارثُ المختارُ من نسلِ حارثٍ ... إذ لمْ يَسُدْ في القومِ إلا الأخايرُ

فجدِّي الذي لمَّ العشيرةَ جودُهُ ... وقدْ طارَ فيها للتفرُّقِ طائِرُ

تَحمَّلَ قتْلاهَا وساقَ دياتِها ... حَمُولٌ لِما جَرَّتْ عليهِ الجَرائِرُ

ودَىَ مئةً لولاهُ جَرَّتْ دماؤُهم ... مواردَ موتٍ ما لهُنَّ مَصادِرُ

في هذه الأبيات يفخر أبو فراس بنسبه ونفسه قبل ذلك؛ فهو من نسل

---

(1) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 266.

(2) **ديوان أبي فراس الحمداني**، ص 84.

الحارث بن نعمان الذي أصلح بين أحياء تغلب بعد أن كادت تهلك، فقد تحمل القتلى وساق الديات ودفع دية مائة من قومه، فلولا موقف جده هذا لكانت هناك حرب جرّت الويلات والنكبات.

بينما نجد أن المتنبي يفخر بنفسه دون ذكر العشيرة ويفخر بأمجاد توهمها أو اصطنعها لنفسه فيقول(1):

ما مُقامِي بأرضِ نخلةَ إلاّ كمُقامِ المسيحِ بينَ اليهودِ
أنا تِربُ النَّدَى وربُّ القَوافِي وسِمامُ العِدَا وغَيْظُ الحَسودِ
أنا في أمَّةٍ تداركَهَا الله غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ

هنا يفتخر أبو الطيب المتنبي بنفسه وأنه أخو الجود، وصاحب القوافي الجياد، وأنه بمثابة السم للعِدا الذين يقاتلهم، وأنه غيظ للحسود، فهم يتمنون مكانه ولا يدركونه، ثم يبين أنهم في هذه الأمة لا يعرفون قدره فهو في أمة تداركها الله كصالح في ثمود؛ وهذا البيت سبب في أحد الأقوال حول تسميته بالمتنبي كما سيرد لاحقًا، وما مقامه في هذه القرية إلا كمقام عيسى عليه السلام بين اليهود، فهم أعداء له في هذه القرية. ونلاحظ أن أبا الطيب يفتخر، بأشياء توهمها لنفسه وأشياء تشبه فيها بالأنبياء وهو مالا يُقبل في فخره بنفسه.

ومن خلال تتبعي للشواهد التي أوردها الشكعة للمتنبي، أجده لا يورد أبياتًا للمتنبي هي ـ في نظري ـ من أهم فخرياته التي قالها؛ بل قذف بها في مسمع الأمير سيف الدولة الحمداني، وهي قوله من أبيات في قصيدته التي مطلعها(2):

واحَرَّ قلبَاهُ مِمَّنْ قلبُهُ شَبِمُ ومن بجِسمِي وحالي عندَهُ سَقَمُ

التي حوت عددًا من أبيات الفخر الرائعة:

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 312.
(2) نفسه، 1/ 319.

أنا الذي نَظرَ الأعمَى إلى أدبِي وأسمعتْ كلماتِي مَنْ بهِ صَمَمُ
أنامُ ملءَ جُفونِي عن شَوَارِدِها ويَسهرُ الخلْقُ جَرَّاهَا ويَختَصِمُ
إذا نظرتَ نُيوبَ الليثِ بارزةً فلا تَظُنَّنَّ أنَّ الليثَ مُبتسِمُ
فالخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفنْي والضَّربُ والطعنُ والقِرطاسُ والقلمُ

هذه الأبيات بدأها المتنبي بمطلع يدل على العتاب لسيف الدولة الذي لم يأبه لحاله، ثم بعد ذلك يذكر مجموعة من أبيات الفخر التي لا تخلو من كثير من المبالغة، فهو يرى أن من جودة أدبه وشعره أنه قد نظر إليها الأعمى، وأسمع ذلك الشعر والأدب بكلماته الرنانة الأصم، وهو كذلك لا يلقي بالًا لحساده وخصومه فهو ينام نومًا عميقًا، وأعداؤه وخصومه يسهرون ويختصمون ويتناقشون في قصائده، ثم يشبه نفسه بالليث فخرًا، محذرًا من أن ابتسامته ليست ابتسامة صفاء وود؛ وإنما هي تحذير للأعداء، ثم يذكر مفتخرًا أن الخيل والليل والبيداء تعرفه فهم أصدقاء له فهو دائم السفر والمغامرة، وكذلك فنون الحرب وفنون الأدب على علاقة وصلة متينة به.

هذه من أظهر أبيات الفخر عند المتنبي، فهل ما منع الشكعة ﷺ من إيرادها هو مطلع القصيدة الذي لا يدل على الفخر؟ أم لأنها متفرقة في أثناء القصيدة؟ أم أنه ﷺ يرى أن الأبيات التي أوردها في دراسته عن فخر المتنبي أكثر تعبيرًا من هذه الأبيات؟

والذي يبدو لي أنه أهملها لأن الغالب على هذه القصيدة العتاب، لذلك رأى عدم إيرادها وذكرها.

والذي يميز فخر أبي فراس عن فخر المتنبي؛ أنه فخر أصالة عند أبي فراس، بينما المتنبي لم يكن فخره إلا فخر الاصطناع والتخيل.

يقول الشكعة ﷺ[1]: «وإنما يمتاز أبو فراس بأصالة في الفخر لأن

(1) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 276.

كل ما أنشده في هذا الفن كان تصويرًا لحقيقة حاله وواقع أمره فضلًا عن رقة شعره وسهولة أخذه وأما المتنبي فقد افتخر بأمور تخيلها في الغالب وأماني طمع في أن تتحقق ولكنه على عادته في تمكنه وعظمته وتحكمه في مقاليد الشعر أخرج لنا البديع الرائع والخيال الخصب والصورة الممتعة».

ثالثًا: الموازنة بين أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني من خلال شعر الحرب

لقد كان للبيئة العربية في العصر الجاهلي أثرٌ في إذكاء روح شعر الحرب لدى الشعراء، فالحروب التي كانت تدور رحاها بين القبائل، وحياة الصعاليك، وشظف العيش وما يتطلبه من إغارة ومغامرة لتوفير العيش المناسب، كل ذلك كان له دور في العصر الجاهلي لدى الشعراء الذين أخذوا يصفون معارك قبائلهم ومغامراتهم، كل هذا يعد الإرهاصات الأولى لشعر الحرب في الأدب العربي، ولما جاء الإسلام وبدأت الغزوات في عهد الرسول ﷺ، ولما انتشر الإسلام في أقطار الأرض في عهد الخلفاء الراشدين، ثم الدولة الأموية، والدولة العباسية من بعد، أخذ الشعراء المسلمون يصفون تلك المعارك ويلهبون حماسة الجند حثًا على القتال في سبيل الله.

ومن أبرز الشعراء في الأدب العربي الذين طرقوا موضوع شعر الحرب: أبو الطيب المتنبي، وأبو فراس الحمداني، فقد كان للبيئة التي عاش فيها الشاعران أثر في تعرضهما لشعر الحرب، فأبو الطيب المتنبي شهد كثيرًا من المعارك والحروب، سواء كانت تلك المعارك في حروب سيف الدولة الحمداني وهي الأبرز، أو معارك كافور الإخشيدي، أو معارك عضد الدولة.

أما أبو فراس الحمداني فهو الفارس الشجاع الذي تمرس بفنون الحرب والقتال ونشأ نشأة حربية في كنف ابن عمه القائد الشجاع سيف

الدولة الحمداني، كل هذا جعل هذين الشاعرين مؤهلين ليبدعا ويصفا المعارك والحروب التي شاركا فيها فعليًا أو حضراها فقط.

وفي الموازنة في هذا الغرض سأقتصر على ما ذكره الشكعة ﷺ تعالى من المعارك التي شارك فيها الشاعران، وإلا فهي كثيرة لاسيما معارك المتنبي التي تحدث عنها في شعره، وسأورد الأشياء التي اشترك الشاعران في وصفها من تلك المعارك مثل: وصف الخيل، وكذلك سأورد ما ذكره الشاعران من وصف الحرب سواء مع الروم أو معارك سيف الدولة مع غيرهم.

فنجد لأبي الطيب المتنبي كثيرًا من القصائد التي وصف فيها المعارك بكل تفاصيلها، وكان هذا ملازمًا له من سن مبكرة من حياته وليس في عهد سيف الدولة الحمداني.

يقول الدكتور محمود حسن أبو ناجي في كتابه الحرب في شعر المتنبي[1]: «وقد طُبع أبو الطيب بطابع العنف منذ صغره لما شاهده من حروب في الكوفة، وقد أسهم فيها أحيانًا بمدحه للقواد والأمراء والوزراء الذين كان يتابعهم في حروبهم للمتمردين، ثم لممدوحه العملاق فارس العروبة وبطل الإسلام الخالد سيف الدولة الحمداني، وكم أدخل المتنبي إلى نفوسنا صورة حية من معارك سيف الدولة مع الروم وكأننا نشاهدها عيانًا».

من أبرز القصائد التي أوردها الشكعة ﷺ تعالى للمتنبي يصف فيها المعارك والحروب قصيدته في وصف غزو سيف الدولة لبلاد الروم سنة 339هـ يقول أبو طيب المتنبي[2]:

---

(1) **الحرب في شعر المتنبي**، محمود حسن أبو ناجي، دار الشروق، جدة، الطبعة الثانية، 1/ 83.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 221.

غَيرِي بأكثرِ هَذا الناسِ يَنخدِعُ إن قاتَلُوا جَبُنُوا أو حَدَّثُوا شَجعُوا

ومنها:

بالجَيشِ تَمْتَنِعُ السَّاداتُ كلُّهُمُ والجيشُ بابنِ أبي الهَيجاءِ يَمْتَنِعُ
قادَ المناقبَ أقصَى شُربِها نَهَلٌ على الشَّكِيمِ وأدنَى سيرِهَا سَرِعُ

يصف أبو الطيب هنا إحدى معارك سيف الدولة مستهلًا ذلك بالتشكيك في الناس، وأنه لا ينخدع بهم إذا انخدع غيره بهم فهم إن قاتلوا جبناء، وإن تحدثوا أظهروا الشجاعة فهي شجاعة قول لا فعل، ثم يبين مناقب سيف الدولة، فالسادات تحتمي بالجيش أما سيف الدولة فإن الجيش يحتمي ويمتنع به، فقد قاد الخيول التي لا تكثر من شرب الماء، فشربها مرة واحدة، وسيرها أقله الإسراع.

وفي قصيدة أخرى يصف نصرًا لسيف الدولة سنة 342هـ يقول في مطلعها الغزلي[1]:

لَياليَّ بَعدَ الظَّاعِنيْنَ شُكُولُ طِوالٌ وليلُ العَاشِقينَ طَوِيلُ

ومنها:

وخَيلٍ برَاها الرَّكضُ في كلِّ بَلدةٍ إذا عَرَّستْ فِيها فليسَ تَقِيْلُ
فمَا شَعَرُوا حتَّى رأوها مُغِيرةً قِباحًا، وأما خَلْقُها فجَمِيلُ

يبدؤها بمقدمة غزلية، فيبين أن لياليه بعد الراحلين متشابهة في طولها، وليل العاشقين طويل ثم يتحدث عن الخيل، وعن حالها من شدة الركض إذا مرت ببلدة آخر الليل فلا تقيل بها، وإنما تستمر في طلب العدا، الذين ما شعروا بها حتى رأوها مغيرة قباحًا لسوء ما فعلته بهم، وإلا فهي جميلة في خلقها متناهية في حسنها.

وفي قصيدة من قصائد الحرب يقول أبو الطيب المتنبي[2]:

---

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 95.
(2) نفسه 1/ 281.

لكلِّ امرئٍ من دهرِه ما تعَوّدَا وعاداتُ سيفِ الدولةِ الطعنُ في العِدَا

ومنها يخاطب سيف الدولة:

سريتَ إلى جَيْحَانَ مِنْ أرضِ آمد ثلاثًا، لقدْ أدْنَاكَ ركضٌ وأبعَدَا

وما طَلَبَتْ زرقُ الأسِنَّةِ غَيرَه ولكنَّ قُسطنطينَ كانَ لهُ الفِدَا

فالمتنبي يبين في مطلع القصيدة أن لكل امرئ عادة اعتادها، وعادة سيف الدولة طعن العدا، ثم يبين مسير سيف الدولة إلى نهر جيحان من أرض آمد في ثلاثة أيام وهذه مسافة لا تقطع في ثلاثة أيام إلا من رجل فارس صابر مغوار، ثم يصف هروب الدُّمستق قائد الروم، الذي كان مطلب الرماح، ولكنه هرب وترك ولده في المعركة.

وأما القصيدة الخامسة للمتنبي في شعر الحرب التي أوردها الشكعة رحمه الله فهي التي يتحدث فيها المتنبي عن معركة «الحدث» الشهيرة فيقول[1]:

على قَدرِ أهلِ العَزمِ تأتي العَزائمُ وتأتي على قَدرِ الكِرامِ المَكارمُ

ومنها:

هَل الحَدَثُ الحَمراءُ تعرِفُ لَونَها وتَعلَمُ أيُّ السَّاقِيينِ الغَمائِمُ

سقتهَا الغَمامُ الغُرُّ قَبلَ نزولِه فلمَّا دَنا مِنها سَقتهَا الجَماجِمُ

يصف في بداية القصيدة أن عزيمة الرجل على قَدره، ومكارمه على قَدر كرمه أيضًا، ثم يتساءل هل تعرف الحدث لونها بعد أن غير لونها إلى اللون الأحمر، ويسأل أي الساقيين لها الغمام أم الجماجم؟ وقد سقاها الغمام قبل دخول سيف الدولة؛ فلما قرب منها سقتها الجماجم من كثرة ما سفك من دماء الروم فيها.

هذه أبرز أربع قصائد عرض لها الشكعة في موازنته في شعر الحرب عند المتنبي.

---

(1) ديوان أبي الطيب المتنبي، 3/ 378.

أمّا قصائد الحرب عند أبي فراس الحمداني فهي كثيرة، ومع ذلك فإننا لا نجد الشكعة ﷺ تعالى يذكر غير قصيدتين؛ إحداهما في وصف معركة سيف الدولة مع الروم، والأخرى قصيدة في وصف إحدى معارك سيف الدولة مع العرب، وهم بنو كلاب. فهل انبهار الشكعة بأبي الطيب المتنبي واحتفاؤه به، وإفراده بمؤلَّف خاص جعله يظهر كثيرًا من قصائد أبي الطيب على حساب أبي فراس؟ الذي لم يذكر له الشكعة سوى هاتين القصيدتين.

يقول أبو فراس الحمداني[1]:

لَعَلَّ خيالَ العامريةِ زائرٌ فيسعدَ مهجورٌ، ويسعدَ هاجرُ

ومنها في وصف الخيل:

فَلَمّا رأتْ جيشَ الدُّمَستَقِ راجَعَتْ عزائِمَها واستنْهضَتْهَا البَصَائِرُ

ومَازِلْنَ يَحْمِلْنَ النُّفوسَ على الوَجَى إلى أنْ خُضِبْنَ بالدماءِ الأشاعرُ

في هذه القصيدة التي بدأها بمقدمة غزلية، يترجّى فيها زيارة خيال محبوبته العامرية فيسعدان هو وهي، وبعد أن يفرغ من الغزل في عدة أبيات ويفخر بنفسه وأجداده، يأتي على وصف المعركة، وتحديدًا وصف الخيل التي ترددت عندما رأت جيش العدو فراجعت عزيمتها واستنهضتها بصائرها فما زالت تحمل وتشجع النفوس رغم الحفى والتعب، إلى أن سالت الدماء وخضبت الأشاعر؛ جمع شاعر وهو ما أحاط بحافر الدابة.

هذه إحدى قصائد أبي فراس التي ذكرها الشكعة في وصف معارك سيف الدولة مع الروم على الرغم من كثرتها.

وأما القصيدة الثانية فهي في وصف معركة من معارك سيف الدولة مع العرب من بني كلاب بل يقصر الشكعة حديثه في جزئية معينة هي: وصف النساء وإكرام سيف الدولة لهن.

---

(1) **ديوان أبي فراس الحمداني**، ص 81.

يقول أبو فراس في هذه القصيدة[1]:

وما أنسَ لا أنسَ يومَ المغارِ محجّبةً لفظتهَا الحُجُبْ
دَعاكَ ذوُوهَا بسوءِ الفِعالِ لما لا تشاءُ، ومَا لا تُحبْ
فَوافَتْكَ تَعثُرُ في مِرطِها وقدْ رأتِ الموتَ مِنْ عَنْ كَثَبْ
وما زِلتَ مُذْ كُنتَ تأتي الجَميلَ وتحمِي الحريمَ وترعَى النَّسبْ
فَكُنتَ أخاهُنَّ إذ لا أخٌ وكُنْتَ أبَاهُنَّ إذْ ليسَ أبْ

في هذه الأبيات يصف أبو فراس إحدى معارك سيف الدولة ضد بني كلاب، وهي معركة يوم المغار ويصف خروج ابنة سيد القوم بعد هزيمة قومها، وقد خرجت بغير حجاب وأن أهلها دعوا سيف الدولة إلى الخروج للمعركة ووصفوه بما لا يحب من سوء الفعال، وقد خرجت هذه الفتاة في ثوب من الصوف بعد أن رأت الموت عن قرب، ولكن سيف الدولة من صفاته وعاداته الدائمة أنه يقدم الجميل، فهو يحمي الحريم ويرعى النسب، وهذه الفتاة عربية من نسب ونسل العرب، رغم أنها ابنة عدوه إلا أن سيف الدولة كان بمثابة الأخ وبمثابة الأب عندما غابا عنها، ولا شك أن هذا من شيم الكرام.

من خلال تتبعنا لموازنة الشكعة ﷺ بين الشاعرين في شعر الحرب نجد أنه يوجد أشياء مشتركة بين الشاعرين في وصف المعارك الحربية ومن ذلك: وصف الخيل عند الشاعرين في قصائد الحرب عندهما، وهو السمة البارزة لديهما، بيد أننا نجد أن المتنبي في هذا الأمر أكثر وصفًا للخيل من أبي فراس، فنجده يذكر الخيل ويصفها في أكثر من قصيدة من قصائده.

يقول الشكعة ﷺ متحدثًا عن وصف أبي الطيب المتنبي للخيل[2]:

---

(1) **ديوان أبي فراس الحمداني**، ص 28.

(2) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 584.

«والمتتبع لقصائد المتنبي في هذا الفن لا يكاد يرى قصيدة لم يتعرض فيها الشاعر إلى الخيل والإعجاب بها والتغني بجرأتها وجمالها وسرعتها وخوضها غمار الحروب».

ونجد أن المتنبي وصف الخيل في قصائده التي أشار إليها الشكعة في عدة مواضع منها قوله[1]:

يُذرِي اللُّقَانُ غُبارًا في مناخِرِها وفي حَنـاجـرِهـا مـن آلِسٍ جُـرَعُ
كـأنَّـمـا تـتَـلـقَّـاهـم لـتَـسـلُـكَـهُـم فالطَّعنُ يَفتحُ في الأجوافِ ما تَسَعُ
تَـهْدِي نـواظِرَهـا والـحَـربُ مُظلِمةٌ مِـن الأسِـنَّـةِ نَـارٌ والـقَـنَـا شَـمَـعُ
دُونَ الـسِّـهـامِ ودُونَ الـقُـرِّ طَـافِـحَـةً عـلـى نـفـوسِـهُـمُ الـمُـقْـوَرَّةُ الـمُـزُعُ

فالمتنبي يصف الخيل وأن اللقان، وهو موضع ببلاد الروم يذري الغبار في مناخرها من شدة عدوها، وآلس وهو نهر هناك تشرب منه جرعًا قليلة، ثم يصفها وهي تشق طريقها نحو الأعداء لتدخل فيهم، وبعد أن يوسع الطعن لها الطريق في أجوافهم، والأسنة والقنا مشتعلة فهي دليل لتبصر الخيل في تلك الحرب المظلمة من شدة الغبار والتحام الجيشين، ثم إن خيل سيف الدولة الضامرة السريعة تعدو عليهم قبل هجوم البرد وقبل انطلاق سهامهم.

وفي قصيدة أخرى يصف أبو الطيب المتنبي الخيل فيقول[2]:

وكـرَّتْ فَـمَـرَّتْ فـي دِمـاءِ مَـلَـطْـيَـةٍ مَـلَـطْـيَـةُ أُمٌّ لـلـبـنـيـنَ ثَـكُـولُ
وأضْـعَـفْنَ ما كُـلِّفْـنَـهُ مِن قُبَـاقِبٍ فـأضْـحَـى كـأنَّ الـمـاءَ فـيـه عَـلـيْـلُ
وَرُعْـنَ بِـنَـا قَـلـبَ الـفُـراتِ كـأنَّـمـا تَـخِـرُّ عـلـيـهِ بـالـرجِـالِ سُـيُـولُ
يُـطـارِدُ فـيـهِ مـوجَـهُ كـلُّ سَـابـحٍ سَـواءٌ عَـلـيـهِ غَـمْـرةٌ ومَـسِـيْـلُ
تَـراهُ كـأنَّ الـمَـاءَ مَـرَّ بـجِـسـمِـهِ وأقـبَـلَ رأسٌ وحْـدَه وتَـلِـيْـلُ

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 221.
(2) نفسه 3/ 102.

فهو هنا يصف الخيل عندما مرت في دماء أهل «مَلَطْيَة» وهي ثكلى لأبنائها، وعندما مرت الخيل من نهر قباقب أصبح ماؤه قليلًا من شدة تزاحمها عليه، وخاضت الفرات فأفزعنه من كثرة الداخلين فيه، وكأن السيول تقذف بالرجال فيه، فالخيول تسبح في هذا النهر ولا تخشى الخوض فيه، سواء في مسيله أو في شدته وكثرته، فلم يظهر من تلك الخيول إلا رؤوسها وأعناقها. يقول الشكعة ﷺ عن هذه القصيدة، ومنها هذه الأبيات في وصف الخيل[1]: «والمتنبي حريص دائمًا في كل حربياته أن يذكر الخيل التي من أجلها أنشأ القصيدة الأمر الذي نلاحظه هنا فلقد أورد في هذا المقام خمسة وعشرين بيتًا في الخيل بينما لم يذكر الموقعة إلا في خمسة عشر بيتًا والباقي مدح لنفسه وتزكية لها».

والذي أراه في قوله «أن المتنبي قد أنشأ القصيدة من أجل الخيل» أمرٌ يحتاج إلى إعادة نظر وتأمل، فقصيدة بلغ عدد أبياتها ستة وستين بيتًا قد يكون من الطبيعي جدًا أن تستحوذ الخيل وهي عماد المعركة على خمسة وعشرين بيتًا منها والباقي وزع على أغراض متعددة، فهذه القصيدة في نظري لم تُنشأ من أجل الخيل فقط، وإنما ظهر وطغى شغف المتنبي وحبه للخيل في هذه القصيدة. وفي عرض لموضع آخر من وصف المتنبي للخيل يقول الشكعة ﷺ شارحًا الأبيات في وصف الخيل[2]: «ولا ينسى المتنبي ـ كما هي عادته دائمًا الخيل التي اشتركت في المعركة فيصفها هنا وصفًا جديدًا يختلف عنه في قصائده الأخرى فهي خيل نشطة بارعة في تسلق القمم حيث وكور جارحة الطيور ولكنه تسلق مبارك ينثر الجثث التي تطعم فراخ العقبان حتى ظنت هذه الفراخ أن تلك الخيل أمهاتها لسرعة تسلقها وخفة حركتها، وهي خيلٌ تؤدي جميع ضروب السير حسب المكان الذي تسير فيه حتى إنها لتزحف أحيانًا على بطونها كما تزحف الحيات على وجه الأرض».

(1) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 577.

(2) نفسه، ص 595.

يقول أبو الطيب المتنبي[1]:

تَدُوسُ بِكَ الخَيلُ الوُكُورَ على الذُّرَا   وقَدْ كَثُرتْ حولَ الوُكُورِ المَطاعِمُ

تَظُنُّ فِراخُ الفُتْخِ أنَّكَ زُرتَها   بأُمَّاتِها وهي العِتاقُ الصَّلادِمُ

إذا زَلَقَتْ مَشَّيتَها ببِطُونِها   كما تَتمشَّى في الصَّعيدِ الأراقِمُ

وفي معنى من معاني المتنبي الخالدة في وصف الخيل كما يقول الشكعة[2]: «يصف المتنبي الخيل فكأنها تبصر بآذانها لا بعيونها وهو معنى من معاني المتنبي الخالدة».

يقول أبو الطيب[3]:

كلُّ ابنِ سابِقةٍ يُغِيرُ بِحُسنِهِ   في قلبِ صاحبِهِ على الأحْزانِ

إنْ خُلِّيَتْ رُبِطَتْ بآداب الوَغَى   فدُعاؤُها يُغنِي عن الأرَسَانِ

في جَحفَلٍ سَتَرَ العُيونَ غُبارُه   فكأنَّما يُبصِرنَ بالآذانِ

وأما أبو فراس الحمداني فنجد له وصفًا قليلًا للخيل التي أغرم بها. يقول في وصفه الوحيد في هذه الموازنة للخيل[4]:

ولمَّا وردنَ الدَّرب وَالرُّومُ فَوقَهُ   وقَدَّرَ قُسطنطينُ أنْ ليسَ صادرُ

ضَربنَا بها عَرضَ الفُراتِ كأنَّما   تَسيرُ بنا تَحتَ السُّروجِ جَزائِرُ

إلى أنْ وردنَا أرْقَنِيْنَ نسُوقُها   وقدْ نَكِلَتْ أعقابُها والمخاصِرُ

يصف الخيل هنا وقد تلاقى الجيشان وخاضت الخيل الفرات، وكأنها جزر من تحت السرج وقد خاضت الماء، ومن شدة التعب والجهد لم تصل إلى أرقنين من بلاد الروم إلا بعد أن أصابها التعب ونكلت أعقاب أقدامها ومخاصرها.

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 389.

(2) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 601.

(3) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 176.

(4) **ديوان أبي فراس الحمداني**، ص 90.

ومن خلال وصف الخيل عند الشاعرين لا نجد أن الشكعة ﷺ يقدم لنا الفرق بين الوصفين، أو ما تميز به كل شاعر في ذلك؛ إلا أننا نجد أنه يشير إشارات إلى أن أبا الطيب المتنبي قد فاق أبا فراس في ذلك، وذلك من خلال الصور الكثيرة التي يعرضها الشكعة للمتنبي ووصفه للخيل، ولا يعرض إلا لصورة واحدة فقط من صور أبي فراس في وصف الخيل، وكذلك من خلال بعض الإشارات اللفظية التي خص بها المتنبي في بعض صوره؛ كقوله عن المتنبي عندما وصف الخيل أنها تبصر بآذانها لا بعيونها[1]: «وهو معنى من معاني المتنبي الخالدة».

وصف الشاعرين معارك سيف الدولة الحمداني مع بعض القبائل العربية:

يقول الشكعة ﷺ تعالى[2]: «ولم يكن شعر الحرب الحمداني خاصًا بالوقائع التي حدثت بين الروم والعرب فحسب، بل كثيرًا ما كانت تثور بعض القبائل العربية على سيف الدولة فيجرد عليها حملاته المظفرة ويلقي عليها دروسًا في الطاعة فلا تلبث أن تفيء إلى رشدها وتخضع لأمير بني حمدان».

ونجد أن أبا الطيب المتنبي قد تعرض لوصف معركة من معارك سيف الدولة الحمداني ضد بني كلاب في قصيدة واحدة فيما يذكره الشكعة ونجد فيها اختلافًا في الوصف عن وصف معارك سيف الدولة مع الروم؛ فالمتنبي في هذه القصيدة يذكر أمرًا لم يكن موجودًا في وصفه لمعارك سيف الدولة مع الروم وهو وصفه لتكريم سيف الدولة للنساء والمحافظة عليهن.

يقول في مطلع القصيدة[3]:

(1) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 601.
(2) نفسه، ص 605.
(3) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 1/ 75.

بِغَيرِكَ راعيًا عَبَثَ الذِّئابُ   وغَيرَكَ صارمًا ثَلَمَ الضِّرَابُ

ويقول في حديثه عن تكريم سيف الدولة لنساء بني كلاب:

فقَاتَلَ عَنْ حَرِيْمِهِمُ وفرُّوا   ندا كفَّيْكَ والنَّسَبُ القُرابُ
وحِفظُكَ فيهِمُ سَلَفَيْ مَعَدٍّ   وأنهُمُ العَشائِرُ والصِّحَابُ
فَعُدْنَ كَمَا أُخِذْنَ مُكرَّمَاتٍ   عَليهِنَّ القَلائِدُ والمَلابُ
يُثِبنَكَ بالذي أوْلَيتَ شُكْرًا   وأينَ مِن الذي تُولِى الثَّوابُ
وليسَ مَصِيرُهُنَّ إليكَ شَيئًا   ولا في صَونِهِنَّ لدَيكَ عَابُ
ولا في فَقْدِهِنَّ بني كِلابٍ   إذا أبصَرْنَ غُرَّتَكَ اغتِرابُ

في هذه القصيدة يتحدث المتنبي عن سيف الدولة وأنه حامٍ لا تقدر الذئاب على العبث برعيته وأنه الصارم الذي لا يثلم، ثم يصف حال النساء عندما فرّ عنهن الرجال، وأن سيف الدولة حماهن ومنعهن من السبي والقتل، فرجعن مكرمات عليهن الحلي والطيب يقدمن الشكر لسيف الدولة على ما أولاه، وكيف يجازينه على ما قدم، فلا يلحق سيف الدولة عيب في صونه إياهن لأنهن عند أهلهن وليس عليهن غربة إذا كن في حماه وفي رعايته.

وفي هذا الغرض نفسه يأتي أبو فراس ويركز حديثه على وصف النساء، وإكرام سيف الدولة لهن، وما قدمه لهن من جميل. وهذا أمرٌ اشترك فيه الشاعران في وصفهما لمعارك سيف الدولة مع القبائل العربية.

يقول أبو فراس في وصفه معركة من معارك سيف الدولة وحمايته للنساء[1]:

وما أنسَ لا أنسَ يومَ المغارِ   محجّبةً لفظتهَا الحُجُبْ
دَعاكَ ذوُوهَا بسوءِ الفِعالِ   لما لا تشاءُ، ومَا لا تُحبْ
فَوافَتْكَ تَعثُرُ في مِرطِها   وقدْ رأتِ الموتَ مِنْ عَنْ كَثَبْ

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص 28.

وما زِلتَ مُذْ كُنتَ تأتي الجَميلَ وتحمِي الحريمَ وترعَى النَّسبْ
فَكُنتَ أخاهُنَّ إذ لا أخٌ وكُنْتَ أبَاهُنَّ إذْ ليسَ أبْ

وقد سبق الحديث عن هذه الأبيات وشرحها في هذا المبحث في الصفحة الرابعة والأربعين.

ويختم الشكعة حديثه عن الموازنة في شعر الحرب عند أبي الطيب المتنبي وأبي فراس بقوله[1]: «ومجمل القول في هذا الفن أنه جديد مستحدث حمل لواءه أبو الطيب المتنبي فأجاد فيه وأبدع وارتفع به إلى شعر الملاحم في أسلوب جزل وتصوير بارع ووصف دقيق للحرب وأدواتها ومواقعها والتحام الفرسان واشتجار القنا وصليل السيوف وأفاض وأطال في وصف الخيل ـ ونعتها بما لم يسبقه إليه شاعر ـ وسار على منوال المتنبي الشاعر الأمير أبو فراس غير أنه لم يكثر في هذا الفن إكثار المتنبي ولم يجعله فنًا مستقلًا إلا في النادر وإنما خلطه بشعره في الفخر».

والذي أراه أن هذا الفن ليس فنًا مستحدثًا كما يقول الشكعة ﵀، وإلا ماذا نسمي معلقة[2] عنترة بن شداد ووصفه للحرب والخيل وصفًا دقيقًا، وكذلك وصف الشعراء لمعارك الفتوحات الإسلامية؛ بل إن الشكعة ﵀ أقر في موضع سابق أن أبا الطيب سُبق إلى هذا الفن من قبل، يقول متحدثًا عن إحدى قصائد المتنبي[3]: «والحق أن هذه الأبيات من القصيدة لترتفع إلى ذروة الإبداع، فتعليل المتنبي للهزيمة تعليل رائع، وتحويل الهزيمة إلى تنقية للجيش من الجبناء العاجزين وتجربة للمرات القادمة بالطريقة التي صاغها المتنبي لفظًا ومعنى وصوغًا وشعرًا وترتفع القصيدة إلى مستوى فريد في هذا اللون من شعر الحرب الذي يعتبر المتنبي

(1) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 611.

(2) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى .(**الأعلام** 5/ 91).

(3) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 574.

مبتكره وصاحبه، إذا استثنينا قصيدة أبي تمام البائية التي قيلت في فتح عمورية، وبعض أبيات[1] مسلم في مدح[2] يزيد بن مزيد الشيباني».

إذن الذي يحتاج إلى إعادة نظر ومزيد تأمل هو ما قاله الشكعة من أن المتنبي حمل لواء فنٍّ مستحدث وهو شعر الحرب؛ لأننا نجد أنَّه سُبق من غيره من الشعراء بهذا الفن.

وأمّا الذي يمكن أن نتفق فيه مع الشكعة ﵀ هو قوله عن المتنبي[3]: «ولكن المتنبي وضع لشعر الحرب أسسًا وطيدة فصوّر المعارك كاملة المناظر بما لم يصورها شاعر عَربي من قبل «وهذا هو الذي يتميز به أبو الطيب المتنبي عن غيره من الشعراء الذين طرقوا شعر الحرب ووصفوا المعارك.

(1) مسلم بن الوليد الأنصاري، بالولاء، أبو الوليد المعروف بصريع الغواني، شاعر غزل. (**الأعلام** 7/ 223).

(2) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، أبو خالد، أمير من القادة الشجعان. (**الأعلام** 8/ 188).

(3) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 574.

المبحث الثاني

دراسة القضايا الأدبية

من طرائق الشكعة رحمه الله في دراسته لشعر المتنبي دراسة القضايا.

فنجد أنه بعد أن استخدم أسلوب الموازنة في دراسته لشعر المتنبي يبدأ في دراسة عدد من القضايا الأدبية في تراث المتنبي الأدبي، والشكعة رحمه الله في دراسته للقضايا الأدبية لم يكن بدعًا من دارسي الأدب العَربي في دراسة القضايا، فإننا نجد كثيرًا من الدارسين للتراث الأدبي العَربي، قد درسوا قضايا في الشعر الجاهلي، وكذلك العصر والأدب الإسلامي، والكثير من النقاد درسوا قضايا النقد الأدبي ومن أشهرها وأكثرها دراسة وعرضًا قضية[1]: اللفظ والمعنى التي أخذت حيزًا كبيرًا من الدرس النقدي.

إذن الشكعة في دراسته للقضايا الأدبيّة كان مسبوقًا من أولئك الدارسين للأدب العربي سواء القدامى منهم، والمحدثون. ونجده في كتابه: «أبو الطيّب المتنبي في مصر والعراقين»، قد درس عددًا من القضايا الأدبية التي لها صلة بشعر أبي الطيب المتنبي، ومن أبرز تلك القضايا التي درسها: 1 ـ قضية التجديد عند المتنبي، 2 ـ قضية الفلسفة في شعر المتنبي، 3 ـ قضية حجب المتنبي لبعض شعره.

وكل هذه القضايا الثلاث لم يكن الشكعة رحمه الله أول من عرض لها،

(1) انظر، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري**، إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ص 108.

وإنما عرض لها دارسو الأدب، ونقاده، من معاصرين لأبي الطيب المتنبي وممن جاءوا بعده. وإن لم تكن على هيئة قضايا مستقلة وعلى الخصوص من معاصري المتنبي، وإنما جاءت في أثناء ما كان يحدث بين أبي الطيب المتنبي وأدباء عصره، من شعراء، ولغويين مما يُشبه المناظرة في المجالس والندوات الأدبيّة التي كانت قائمة في تلك الحقبة الزمنية، سواء في مجلس سيف الدولة الحمداني الذي كان يزخر بكثير من العلماء، والشعراء، أو في مجلس[1] كافور الإخشيدي في مصر، وفي جامع الفسطاط الذي تردد إليه أبو الطيب المتنبي مدة بقائه في مصر، أو في مجلس عضد الدولة في ندوته الشهيرة، ومن قبله الأمير ابن العميد الذي اتصل به بعد خروجه من مصر.

أولًا: قضية التجديد عند المتنبي

لم تكن قضية التجديد عند المتنبي أول قضية يدرسها الشكعة في مجال التجديد، بل سبق وأن درس قضية التجديد عند عدد من شعراء العصر العباسي[2]، ومنهم[3] الحسين بن مطير، [4]ودعبل الخزاعي، [5]وعوف بن محلّم الخزاعي، [6]وديك الجن، ....

(1) كافور بن عبد الله الإخشيدي، أبو المسك، الأمير المشهور صاحب المتنبي، كان عبداً حبشياً اشتراه الإخشيدي ملك مصر (سنة 312هـ) فنسب إليه وأعتقه، وترقّى عنده. (**الأعلام** 5/ 216).

(2) انظر، **الشعر والشعراء في العصر العباسي**، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1959م، ص 76، 335، 450، 679.

(3) الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي، مولاهم، شاعر متقدم في القصيد والرجز. (**الأعلام** 2/ 260).

(4) دعبل بن علي الخزاعي، أبو علي شاعر هجاء، أصله من الكوفة وأقام ببغداد. (**الأعلام** 2 / 239).

(5) عوف بن محلّم الخزاعي، بالولاء، أبو المنهال: أحد العلماء الأدباء الرواة الندماء الشعراء. (**الأعلام** 5/ 96).

(6) عبد السلام بن رغبان بن عبدالسلام بن حبيب الكلبي، المعروف بديك الجن شاعر مجيد. (**الأعلام** 4/ 5).

[1]وأبو تمام، فهو يقول ـ مثلًا ـ عن الحسين بن مطير[2]: «إن الحسين بن مطير نزع إلى الصورة الجديدة والصنعة المبتكرة والعرض المتجدد في رحاب الطبع الأصيل، ومن ثمَّ فإنه واحد من الذين رسموا للقفزة الشعرية التي قفزها الشعر في مستهل العهد العباسي خُطاها». وغيرها من الآراء التي ذكرها ودرس فيها ظاهرة التجديد عند هؤلاء الشعراء الذين سبقوا أبا الطيب المتنبي زمانًا وعندما يعرض الشكعة ﷺ إلى ظاهرة التجديد عند أبي الطيب المتنبي، فإنه يبين أن هناك مرحلة سبقت تجديد أبي الطيب المتنبي وهي مرحلة ما قبل اتصاله بسيف الدولة الحمداني؛ إذ يعدّ هذه المرحلة ذروة التجديد عند أبي الطيّب.

بل يعد المرحلة السابقة التي سبقت مرحلة اتصال المتنبي بسيف الدولة الحمداني مرحلة تعلُّم ومران ومراس لمرحلة سيف الدولة، ولكن هذا المران لم يكن مقصودًا ومرتبًا، إذ لم تكن هذه المرحلة معلومة من قبل. وما إنْ يصل المتنبي إلي بلاط سيف الدولة حتى يبلغ شأوًا عظيمًا. يقول الشكعة ﷺ عن المتنبي[3]: «ولكن ما إن اتصل الشاعر بسيف الدولة الحمداني حتى تسنَّم قمَّة الشعر وتربع على عرشه طوال وجوده في بلاط الأمير العربي، ولفترة طويلة أخرى قضاها في مصر» ويُرجع الشكعة أسباب اكتمال مقدرة المتنبي الشعرية عند سيف الدولة إلى عدة أسباب[4]:

أولها: الصفات التي كان يتمتع بها الأمير سيف الدولة الحمداني، فقد كان أديبًا شاعرًا وناقدًا وكريمًا، فكانت هذه الصفات دافعًا لأبي الطيب المتنبي في تلك المرحلة للتجديد والإبداع.

وثانيها: الأمراء المحيطون بسيف الدولة الحمداني كان أغلبهم ممن

(1) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمّام: الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان. (**الأعلام** 2/ 165).

(2) **الشعر والشعراء في العصر العباسي**، ص 77.

(3) **أبو الطيب المتنبي**، في مصر والعراقين، ص 87.

(4) نفسه، ص 87 وما بعدها.

يقول الشعر، ومن أشهرهم: أبو فراس الحمداني الأمير والشاعر الذي كان من أبرز الشعراء المنافسين لأبي الطيب المتنبي في بلاط سيف الدولة الحمداني.

ومنهم الأمير الشاعر أبو العشائر الذي جعل له المتنبي شيئًا من قصائده، يقول في مدحه في إحدى قصائده[1]:

ما لـيَ لا أمـدحُ الـحـسـينَ ولا أبـذلُ مِـلْـوُدٍّ مـثـلَ مـا بـذلَـهْ

ألـيـسَ ضـرَّابَ كـلِّ جـمـجـمـةٍ مَـنْـخُـوَّةٍ سـاعـةَ الـوغَـى زَعِـلـهْ

وصَـاحـبَ الـجـودِ مـا يـفـارقُـه لـو كـانَ لـلـجـودِ مـنـطـقٌ عـذلَـهْ

فهو يلوم نفسه ويعاقبها على عدم مدح الحسين أبي العشائر، ولا يبذل له من الود مثل الذي يبذل، فهو ضرّاب لكل جمجمة متكبرة في الحرب، وهو صاحب الجود فهو رفيقه الذي لو قدر له أن يكون له لسان للامه على كثرة الإسراف.

لقد كان المتنبي يجوّد في شعره لأجل أمراء آل حمدان وشعرائهم، فقد سُئل عن شعره بعد آل حمدان فقال[2]: «قد تجوزت في قولي وأعفيت طبعي واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان».

وثالثها: طول المدة التي مكثها أبو الطيب المتنبي في بلاط سيف الدولة الحمداني، فبعد أن طالت أسفار أبي الطيب وتنقلاته حطّ رحاله في بلاط سيف الدولة فمكث عنده ما يقارب تسع سنين، فمرحلة الاستقرار هذه من عمر المتنبي جعلته أكثر قدرة على الإبداع والتجديد.

ورابعها: المجالس الأدبية والعلمية في بلاط سيف الدولة، حيث كانت تضم عددًا كبيرًا من الشعراء، وعددًا من اللغويين؛ فبيئة مثل هذه

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 270.

(2) **الصبح المنبي عن حيثية المتنبي**، يوسف البديعي، تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة عبده، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ص 98.

جدير بمن فيها أن يتنافسوا، وخصوصًا الشعراء، فكل واحد كان يحرص أن يكون الأميز والأقرب من الأمير سيف الدولة الحمداني، وكذلك ما كان للغويين من بعض الاعتراضات والملاحظات على أولئك الشعراء وعلى المتنبي خصوصًا التي سنعرض لها في موضعها من هذا البحث بإذن الله تعالى.

وخامسها: معارك سيف الدولة الحمداني التي كانت مستمرة تارة مع الروم، وتارة أخرى مع القبائل العربية. هذه البيئة التي عاش فيها المتنبي تسع سنين كانت بيئة فروسية، وحرب، ودماء.

هذه الأسباب مجتمعة أوردها الشكعة وجعلها من أسباب التجديد عند أبي الطيب المتنبي، بل كانت هذه المرحلة هي ذروة التجديد في شعر المتنبي.

وللتمثيل على تجديد أبي الطيب المتنبي يورد الشكعة ﷺ عدة نماذج، ويشير في كل نموذج من هذه النماذج إلى أمر يراه تجديدًا؛ بادئًا في ذلك بالقصائد التي تتعرض للحرب والمعارك ووصف الخيل. والذي ألحظه هنا أن الشكعة ﷺ يبدو معجبًا بشعر أبي الطيب المتنبي في حربياته حيث سبق وأن جعله مجالًا للموازنة بينه وبين أبي فراس الحمداني، وها هو يعود مجددًا إلى شعر الحرب عند المتنبي، ويجعل منه قمة التجديد في شعره.

وإن كان قد تعرض لبعض القصائد الأخرى في غير شعر الحرب كما سيأتي لاحقًا بإذن الله تعالى.

يقول الشكعة بعد أن تحدث عن شعر المتنبي ومراحل حياته[1]: «ولكن المرحلة الشعرية من مسيرة المتنبي عند سيف الدولة كانت مرحلة الاكتمال الفني والنضوج الشعري والإبداع البياني والاستواء على القمة».

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 90.

ويورد لذلك نماذج من شعر المتنبي مثل قوله في قصيدته[1]:

غَيْري بأكثرِ هذا الناسِ ينخدعُ   إن قاتلُوا جبُنُوا أو حدَّثوا شَجُعوا

حيث يعد أن من ملامح التجديد في هذه القصيدة تركيزها على مشاركة الخيل في المعارك ووصف حركتها كاملة بما لم يتعرض له شاعر آخر من قبل.

ومن النماذج التي أوردها الشكعة دليلًا على التجديد القصيدة التي مطلعها[2]:

ليالِيَّ بعدَ الظاعنينَ شُكُولُ   طوالٌ وليلُ العاشقينَ طويلُ

التي يرى فيها الشكعة ﷺ أن أبا الطيب المتنبي قد سار فيها على غير عادته في الحربيات باستهلال غزلي، يقول متحدثًا عن هذه القصيدة[3]: «ومن قصائد المتنبي الحربية في سيف الدولة قصيدته اللاميَّة التي استهلها بالغزل على غير عادته في استهلال أكثر قصائد الحرب».

فهذه العبارة تشير إلى أن الشكعة يعد التجديد عند المتنبي وخصوصًا في هذه القصيدة من قصائد شعر الحرب يكمن في مطلعها الغزلي، وهذا غير مألوف عند أبي الطيب المتنبي.

ومن مظاهر التجديد التي يراها الشكعة في هذه القصيدة أن الشاعر قصر البطولة على الخيل والأمير دون سائر الجيش.

يقول[4]: «والقصيدة والحال كذلك تعتبر من فرائد المتنبي وغرر شعره في سيف الدولة».

ويرى الشكعة ﷺ أن هناك تجديدًا آخر في هذه القصيدة، وهو:

---

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 221.

(2) نفسه، 3/ 95.

(3) **أبو الطيب المتنبي، في مصر والعراقين**، ص 92.

(4) نفسه، ص 93.

طول هذه القصيدة حيث بلغت سبعين بيتًا، بينما قصائده الأخرى في سيف الدولة لا تكاد تتجاوز الأربعين بيتًا إلا بعدة أبيات يسيرة.

وإن كنت أرى أن هذا الأمر الذي عدّه الشكعة تجديدًا لا يمثل تجديدًا حقيقيًا في القصيدة، ولكن ربما أن ظروف المعركة وأحداثها قد استدعت أن تكون هذه القصيدة من الطول بمكان، لاسيّما وأنّه جعل أغلب أبياتها للحديث عن الخيل وعن سيف الدولة.

ومن النماذج كذلك قصيدة المتنبي التي يقول في مطلعها[1]:

لكلِّ امرئٍ من دهرهِ ما تعودَا وعاداتُ سيفِ الدولةِ الطعنُ في العِدا

فالشكعة يرى أن التجديد في هذه القصيدة يكمن في إدراج الحكمة ضمن قصيدة وأبيات الحرب مثل قوله:

وما قتلَ الأحرارَ كالعفوِ عنهمُ ومَن لكَ بالحُرّ الذي يحفظُ اليدَا
إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَه وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرَّدا
ووضعُ الندىَ في موضعِ السيفِ بالعُلا مضرٌّ كوضعِ السيفِ في موضعِ النَّدَى

وفي نموذج أخير من نماذج شعر الحرب يعرض الشكعة لقصيدة أبي الطيب المتنبي التي مطلعها[2]:

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشجعانِ هو أولٌ وهي المحلُّ الثاني

ولا يزال الشكعة مغرمًا بالخيل، والتعرض لوصف المتنبي لها، ويجعلها مادة للتجديد عند المتنبي ولم يذكر شيئًا غير ذلك من أسباب التجديد في هذه القصيدة غير أنها تحوي صورًا جديدةً أتى بها المتنبي ولم يعرض لها الشكعة ﷺ، وكان الأولى به أن يفعل ذلك، مثل قول المتنبي عندما يصف الخيل وهي تسير في المعركة:

في جحفلٍ سترَ العيونَ غبارُهُ فكأنما يُبصرنَ بالآذانِ

---

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 1/ 281.

(2) نفسه 4/ 176.

في هذا البيت صورة جديدة وفريدة، لم يتعرض لها الشكعة في ظاهرة التجديد، على الرغم من تعرضه لها في دراسته لشعر الحرب عند المتنبي ضمن فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين.

فيقول[1]: «وهي خيل جميلة المنظر، ملمّة بآداب القتال مدربة على خوض المعارك تسير في ظلمة الغبار فتعرف طريقها وكأنها تبصر بآذانها لا بعيونها، وهو معنى من معاني المتنبي الخالدة».

وفي ملمح آخر من ملامح التجديد يرى الشكعة رحمه الله أن التجديد لم يكن مقصورًا في قصائد المتنبي على قصائد المدح، بل شمل بعض المناسبات والأحداث التي مرَّ بها، وبين سبب ذلك ـ على غير عادته ـ أن المتنبي تفرد بمعانٍ غير مسبوقة.

يقول[2]: «ولكن أمر استواء المتنبي في هذه المرحلة الزمنية من حياته الفنية لم يكن مقصورًا على المدائح وحدها، صحيح أن أكثر الشعر الذي قاله المتنبي آنئذ كان يندرج تحت باب المديح، ولكن مناسبات بعينها وأحداثًا بذاتها ألهبت من قريحة الشاعر الكبير شعرًا فرض نفسه على الزَّمان، وذلك لتفرده بمعانٍ غير مسبوقة».

ويستشهد بقصيدة المتنبي في رثاء أم سيف الدولة، التي يرى الشكعة أن من أبرز التجديد فيها الحكمة البالغة.

يقول أبو الطيب المتنبي[3]:

رماني الدَّهرُ بالأرزاءِ حتى ... فؤادي في غشاءٍ من نِبالِ
فصرتُ إذا أصابتني سِهامٌ ... تكسّرتِ النِّصالُ على النِّصالِ

(1) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 601.
(2) **أبو الطيب المتنبي، في مصر والعراقين**، ص 102.
(3) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 8.

يرى الشكعة ﵀ أن هذين البيتين يحتويان على حكمة بالغة فالمتنبي يقرر: أن المصائب كثرت عليه وتتابعت الواحدة تلو الأخرى حتى أصبحت لا تضره وكأن فؤاده في غشاء من تلك النبال أن تصيبه، ولم يكن الشكعة ﵀ هو أول من أعجب بهذا البيت، فقد سبقه ابن الشجري صاحب الأمالي عندما تحدث عن هذا البيت فقال[1]: «هذا البيت من أحسن ما قيل. وهو من نوادر أبي الطيّب وحكمِه».

وفي البيت الثاني يبين أنه إذا أصابته سهام المصائب لم تعد تضره فتتكسّر النصال على النصال، إما لاعتياده إياها، وإما لكثرتها فلم تعد تجد مكانًا للإصابة في القلب. وفي القصيدة نفسها يرى الشكعة أنها تحتوي على ملمح تجديدي، في موضع الحكمة البالغة في وصف جنازة أم سيف الدولة[2]:

مشى الأمراءُ حولَيْها حُفاةً كأنَّ المروَ من زِفِّ الرِّئالِ
وأبرزتِ الخدورُ مخبآتٍ يضعنَ النفسَ أمكنَةَ الغَوالي
أتتهنُّ المصيبةُ غافلاتٍ فدمعُ الحزنِ في دمعِ الدلالِ
ولو كانَ النساءُ كمنْ فقدنَا لفضلتِ النساءُ على الرجالِ
وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عَيبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ

ففي البيتين الأخيرين حكمة بالغة كما يرى ذلك الشكعة ﵀، دون أن يذكر لنا ما هي الحكمة البالغة التي رآها في هذين البيتين. يقول[3]: «إن صورًا من القول كثيرة شاهدة على براعة المتنبي في مرثيته هذه، تتمثل في الحكمة البالغة التي أنشأها على هذا النحو» وحق له أن يعجب بذلك فهي من الحكم الفريدة في الأدب العربي، رغم اعتراض بعض معاصري المتنبي

---

(1) **أمالي ابن الشجري**، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 64.

(2) **ديوان أبى الطيب المتنبي**، 3/ 17.

(3) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 102.

على جملة الأبيات التي فيها تصوير لجنازة أم سيف الدولة، وهذا ما سنعرض له في موضعه من هذا البحث بإذن الله.

وفي نموذج أخير يعرض الشكعة لصورة من صور التجديد في شعر المتنبي، وذلك من خلال قصيدته التي يقول في مطلعها[1]:

واحرَّ قلباهُ ممن قلُبُه شَبِمُ ومَنْ بجسمي وحالي عندهَ سقمُ

الذي يراه الشكعة أن هذه القصيدةَ حوت مزيجًا من الأمورِ في قصيدةٍ واحدة فالإطار العام مديح، ولكنها حوت العتاب والتقريع، والعنف، والخروج على المألوف، والاستعلاء والتهديد، يقول الشكعة متحدثًا عن هذه القصيدة التي أنشدها المتنبي بين يدي سيف الدولة[2]: «فأنشده قصيدة عتابية اتسمت بالعنف والتقريع الشديد والخروج عن المألوف في مخاطبة الملوك والأمراء، كما لم تخلُ بعض أبياتها من الاستعلاء والتهديد غير أن القصيدة ـ بغض النظر عن كل هذه السمات الغالية ـ تعد واحدة من أشهر قصائد المتنبي وألمعها. القصيدة من حيث الشكل مديح، ومن حيث الموضوع هي كل المعاني التي ذكرنا من قبل».

ويورد عددًا من الشواهد على ذلك فمثلًا:

في العتاب يستشهد بقول المتنبي:

يا أعدلَ الناسِ إلا في معاملتي فيكَ الخصامُ وأنتَ الخصمُ والحكمُ

أعيذُها نظراتٍ مِنكَ صادقةً أن تحسبَ الشحم فَيمن شحمُه ورمُ

وفي الفخر:

سيعلمُ الجمعُ ممن ضمَّ مجلسُنا بأنني خيرُ مَنْ تسعى به قَدمُ

وفي نهج جديد للشكعة يقدم تعليلًا لما يعتبره تجديدًا في أبيات

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 362.

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 105.

الفخر، الأمر الذي أرى أن الشكعة لم يكن يذكره من قبل فيقول[1]: «ويمضى في فخره ـ بل تدلله ـ يقول هذه الأبيات الجيّدة الإنشاء الحسنة البناء المتينة الصوغ المترعة بموجات متواكبة من المعاني، غير أنها منافية لطبيعة المناسبة».

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي وأسمعتْ كلماتي مَن بهِ صَممُ
أنامُ ملءَ جفوني عن شواردِها ويسهرُ الخلقُ جَرّها ويختصمُ

وفي الهجاء:

كم تطلبون لنا عيبًا فيعجزُكُمْ ويكرهُ اللهُ ما تأتونَ والكرمُ

وفي التهديد:

لئن تركنَ ضُميرًا عَن ميامِننا ليَحدُثنَّ لمِنْ فارقتُهم نَدمُ
إذا ترحلتَ عن قومٍ وقد قَدرَوا أن لا تفارقَهم فالراحلونَ هُمُ

والذي أراه أن الشكعة ﵀، في تناوله للتجديد عند أبي الطيب المتنبي، قد تناول هذه القضية تناولًا خفيفًا، فهو لم يتطرّق إلى صور المتنبي بشكل كبير ومفصل، كذلك لم يتعرض إلى تراكيب المتنبي وألفاظه وأخيلته، وإنما هي أمور قليلة في وصف الخيل الذي ركزّ عليها دراسته لحربيات ومدائح المتنبي، وكذلك بعض الحِكم في قصائد أخرى غير المدائح، ومزيجًا من المتناقضات التي جمعها في قصيدة واحدة.

ثانيًا: قضية الفلسفة في شعر المتنبي

من القضايا التي عرض لها مصطفى الشكعة ﵀ في دراسته لشعر أبي الطيب المتنبي: قضية الفلسفة في شعر المتنبي، والاتجاهات الفلسفية في شعره، وآراء بعض النقاد القدماء في فلسفة أبي الطيب المتنبي، وكذلك آراء النقاد المحدثين في فلسفة المتنبي، ثم هل كان المتنبي فيلسوفًا؟.

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 106.

وقبل أن نعرض إلى ما درسه الشكعة من فلسفة المتنبي، لابد أن نبين ماذا تعني كلمة فلسفة؟

الفلسفة: كلمة غير عربية وقد عرّفها صاحب الملل والنِّحل بقوله[1]: «الفلسفة باليونانية: محبة الحكمة، وفيلا: هو المحب، وسوفا: الحكمة، أي هو محب الحكمة».

وعندما ننظر إلى البيئة التي عاش فيها أبو الطيب المتنبي وخصوصًا في بلاط سيف الدولة الحمداني، نجد أنه التقى الفيلسوف العربي المسلم: الفارابي[2] الملقب بالمعلم الثاني، فأبو الطيب المتنبي، قد عرف شيئًا من آراء الفارابي، وألم بها.

ومن خلال النظر في شعراء بلاط سيف الدولة الحمداني نجد أن أبا الطيب المتنبي هو الذي مزج شعره بشيء من الفلسفة من بين شعراء البلاط الحمداني.

وبيّن الشكعة رَحِمَهُ الله[3]: أن المتنبي قد جمع بين الشعر والفلسفة، ولم تكن قصائده كلها مصبوغة بصبغة الفلسفة، وإنما هي أبيات متفرقة في قصائد عدة، ويرجع أسباب فلسفة أبي الطيب المتنبي إلى ثلاثة أمور:

أولها: سعة ثقافة المتنبي حيث اطّلع على الثقافات اليونانية المترجمة إلى العربية.

ثانيها: اتصاله بالفارابي في بلاط سيف الدولة وتتلمذه على يديه.

---

(1) **الملل والنِّحل**، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1998م، 2/ 287.

(2) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني أكبر فلاسفة المسلمين، تركي الأصل مستعرب ولد في فاراب (على نهر جيحون) وانتقل إلى بغداد. (**الأعلام** 7/ 20).

(3) انظر، **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 613.

ثالثها: طبيعة المتنبي الميالة إلى كلّ غريب.

فهو الشاعر الوحيد من بين شعراء بلاط سيف الدولة الذي جعل للفلسفة مكانًا في شعره.

1 ـ الاتجاهات الفلسفية في شعر المتنبي

من خلال دراسة الشكعة ﷺ لفلسفة المتنبي، فإنه يعرض إلى الاتجاهات الفلسفية في شعره، فهو يرى أن أبا الطيب المتنبي قد سلك في شعره عدة اتجاهات فلسفية فيقول[1]: «كما أن المتنبي فيما نعتقد لم يكن يعتنق مذهبًا فلسفيًا بالمعنى الدّقيق وإنما كان صانعًا لأبيات تتشح بالفلسفة، وتصطبغ بصبغتها في كثير من الأحيان كما سنبين بعد قليل. ومع ذلك فسنعرض لبعض الاتجاهات الفلسفيّة في شعر المتنبي على ضوء النظريات الفلسفيّة المعروفة وسنجد في شعره ميلًا إلى نزعة التشاؤم ونزعة حب القوة ثمّ المزج بين العقل والقوة ثم مذهب اللذة».

فالشكعة ﷺ يرى أن المتنبي قد سلك في شعره الفلسفي عدة اتجاهات:

أ ـ نزعة التشاؤم

يقول الشكعة متحدثًا عن نزعة التشاؤم عند المتنبي[2]: «والواقع أن هذه النزعة تبدو واضحة في شعر المتنبي الذي يترجم عن نفسيته خير ترجمة».

ويرى أن من أسباب ذلك التشاؤم أنه عاش فقيرًا محرومًا في أول حياته، وكذلك ما كان من غير العرب من دسائس ومؤامرات وهو العربي المتعصب للعرب.

---

(1) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 614.

(2) نفسه، ص 614.

وأنا أرى أن من أسباب نزعة التشاؤم هذه، ما كان يثار حول نسبه، فقد يكون هذا عاملًا رئيسًا في التأثير في نفسيته وميله إلى التشاؤم.

كل هذه الأسباب تجلت في بعض المظاهر، فنجده ينقم على الأيام، ويتبرم منها فيقول[1]:

وإن سَرَرْنَ بمحبوبٍ فَجَعْنَ بهِ وقد أتينَكَ في الحالينِ بالعَجبِ
وربّما احتسبَ الإنسانُ غايتَها وفاجأتُه بأمرٍ غيرِ مُحتَسَبِ
وما قضى أحدٌ منها لُبانتَهُ ولا انتهى أربٌ إلا إلى أربِ

يتحدث عن الأيام فهي إن سرت بمحبوب سرعان ما تفجع به، وهذا من العجيب في أمر الأيام؛ أن يجتمع فيها السرور والفجيعة، والأيام ربما أعد لها الإنسان عدّة ولكنها تأتيه بأمرٍ لم يحتسب له، وكذلك لم يقضِ أحدٌ من الأيام حاجته، فهو من قضاء حاجة إلى حاجة أخرى. وفي هذه الأبيات يتبرّم من الأيام ويصفها بالغدر والخيانة مما بيّن نزعة التشاؤم عنده.

ب ـ نزعة حبّ القوة

يقول الشكعة[2]: «والحق أن المتنبي يؤمن بمذهب القوة إيمانًا قويًّا عميقًا جارفًا غير آبهٍ بالنتيجة ولو كانت الموت الأحمر».

هذا المظهر نجده في بعض أبيات المتنبي، حيث نجد نزعة حب القوة ظاهرة للعيان في بيتيه، حيث يقول[3]:

إذا غامرتَ في شرفٍ مَرومِ فلا تقنْع بما دونَ النجومِ
فَطَعمُ الموتِ في أمرٍ صغيرٍ كطَعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمِ

فهذه دعوة من المتنبي إلى الجنوح والميل إلى القوة، فيدعو إلى أن

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 1/ 86.
(2) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 616.
(3) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4 / 119

الإنسان إذا رام شرفًا وخاض من أجله المغامرات، فلابد له ألّا يقنع بما دون النجومِ، فهي معالي الأمور، ولا يخشى الموت من دون ذلك، فالموت يستوي طعمه في الأمر العظيم والأمر الصغير، إذن والأمر كذلك فلابد أن يتطلع إلى معالي الأمور.

ومن تأثير نزعة حب القوة في شعر المتنبي نجد أنه معجب بالسيف ويفضله على القلم فيقول[1]:

حتى رجعتُ وأقلامي قوائلُ لي المجُد للسيفِ ليسَ المجدُ للقلمِ

اكتبْ بنا أبدًا بعدَ الكتابِ بهِ فنحنُ في دولةِ الأسيافِ كالخدمِ

وإن كان البيت الثاني ورد هكذا في ديوان المتنبي[2]:

اكتبْ بنا أبدًا بعدَ الكتابِ بهِ فإن غفلتُ فدائي قلةُ الفهَمِ

وكذلك الذي يليه:

أسْمَعتِنِي ودوائي ما أشرتُ به فإنما نحن للأسيافِ كالخدمِ

والذي يبدو أن الاختلاف بين عجزي البيتين يرجع إلى وجود عدة نسخ للديوان.

إذن في هذين البيتين تتجلى نزعة حب القوة لدى المتنبي، حيث يفضِّل السيف وهو رمز القوة على القلم.

ولم يكن المتنبي بدعًا من الشعراء في هذا الأمر، فقد سبقه إلى ذلك أبو تمام في قوله[3]

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكتبِ في حَدّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ

---

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 160

(2) نفسه، 4/ 160.

(3) **ديوان أبى تمام**، تقديم وشرح الدكتور محيي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 2007م، 1/ 96

وكذلك فعل البحتري عندما قال[1]:

تـعْـنُـو لـه وزراءُ الـمـلـكِ راغـبـةً وعادةُ السيفِ أن يستخدمَ القلمَا

ج ـ العقل والقوة

من الاتجاهات الفلسفية في شعر المتنبي الحديث عن العقل والقوة، فتارة يمزج بينهما ولا يفضّل أحدهما على الآخر. مثل قوله[2]:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنى سرجُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ

بل يجعل العقل يتفوق على القوة الجسمانية مثل قوله[3]:

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشجـعـانِ هـو أولٌ وهـي الـمحِلُّ الـثـانـي

لـولا الـعـقـولُ لـكـانَ أدنـى ضيـغـمٍ أدنـى إلـى شـرفٍ مـن الإنـسـانِ

يقدّم في هذين البيتين الرأي على الشجاعة، فالرأي يأتي أولًا ثم الشجاعة ثانية، ثم يثني على العقول، فلولاها لكان أصغر أسد أقرب إلى الشرف من الإنسان.

د ـ مذهب اللذة

يرى الشكعة أن المتنبي آمن بمذهب اللذة فيقول[4]: «والمتنبي آمن بهذه الفكرة ـ فكرة اللذة ـ ونادى بها وحضّ عليها، ومبعث إيمانه بمبدأ اللذة هو الشك في الحياة الأخرى واعتقاده بأن لكل أمر نهاية ولكل حياة حدود».

ويمثل لذلك بقول المتنبي[5]:

---

(1) **ديوان البحتري**، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 2012 م، 2/ 148.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 1/ 188.

(3) نفسه، 4/ 174.

(4) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 619.

(5) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 249.

إنْــعَــمْ وَلَــذَّ فــلــلأمــورِ أواخــرٌ   أبــدًا إذا كــانــتْ لــهُــنَّ أوائــلُ
مـادُمْتَ من أرَبِ الـحـسـانِ فـإنّـمـا   روقُ الـشـبـابِ عـلـيـك ظـلٌّ زائـلُ

فهو يدعو إلى التمتع والتلذذ بالنعمة، قبل أن تأتي النهاية فلكل بداية نهاية، ومادمت في الشباب متمتعًا فإنّما هو ظل زائل. هذه هي الاتجاهات الفلسفية التي ذكرها الشكعة ﷺ في أثناء دراسته للاتجاه الفلسفي في شعر المتنبي.

2 ـ النقّاد القدماء وفلسفة المتنبي

عندما درس الشكعة ﷺ آراء النقّاد القدماء في فلسفة المتنبي نجد أنه عرض لآراء أربعة من النقّاد ودارسي الأدب، وهم: أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي، صاحب «الرسالة الحاتمية»، الذي عاصر المتنبي. والجرجاني: أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة 366هـ، صاحب كتاب: «الوساطة بين المتنبي وخصومه»، والثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفى سنة 429هـ صاحب كتاب: «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر»، والبغدادي: عبد القادر البغدادي المتوفى سنة: 1093هـ صاحب: «كتاب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب». وكلّ هؤلاء النقاد القدماء أجمعوا على أن المتنبي كان: فيلسوفًا، وإن اختلفت طرائق تناولهم لفلسفته، ودرجة تصنيفهم لهذه الفلسفة.

فالحاتمي يقول[1]: «ووجدنا أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي قد أتى في شعره بأغراض فلسفية ومعانٍ منطقية، فإن كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث فقد أغرق في بحث العلوم، وإن لم يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة بالإيجاز والبلاغة والألفاظ الغريبة، وعلى الحالين فهو على غاية من الفضل وسبيل نهاية من النبل».

(1) الرسالة الحاتمية، أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي، ملحقة بكتاب **الإبانة عن سرقات المتنبي**، لأبي سعد محمد بن أحمد العميدي، تقديم وتحقيق وشرح إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف بمصر. ص 251.

يرى الشكعة أن الحاتمي قد أورد أكثر من مئة بيت ويرد كل بيت منها إلى أصله. يقول[1]: «ثم يورد الحاتمي بعد ذلك زهاء مئة بيت من أبيات المتنبي وقد رد كل بيت إلى أصله من حكم أرسطو»، ويذكر الشكعة أن أكثر هذه الأبيات يتفق مع أقوال أرسطو.

ويورد شواهد على ذلك. يقول[2]: «وبمراجعتنا هذه الأبيات مع أصولها من حكم أرسطو وجدنا أن أكثرها يتفق فعلًا مع أقوال المعلم الأول الذي أثبتها له العرب».

وفي موضع آخر يرى الشكعة أن الحاتمي لم يكن موفقًا كل التوفيق في كثير مما أورده من أبيات حيث إنها لم تكن توافق المعنى الذي أراده أرسطو.

يقول الشكعة[3]: «وهكذا يورد الحاتمي مجموعة ضخمة من أبيات المتنبي وأصولها من حكم أرسطو إلّا أنّه لم يكن موفقًا كل التوفيق في كل ما أورده من أبيات فكثيرًا ما يردّ بيتًا من أبيات الشاعر إلى حكمة بعينها من أقوال المعلم الأول، فإذا ما أنعمنا النظر قليلًا في معنى كل من الحكمة والبيت وجدنا المعنيين مختلفين كل الاختلاف أو على الأقل متباينين تباينًا واضحًا».

والذي أراه أن هناك تناقضًا بين قولي الشكعة السابقين، فيما أورده الحاتمي من أبيات للمتنبي تشبه حكم أرسطو ففي القول الأول يعتبر كثيرًا من الأبيات التي أوردها الحاتمي تحتوي على حكم أرسطو، وذلك بعد مراجعتها مع الحكم، ومباشرة في القول الثاني، يرى أن الحاتمي لم يوفّق عندما كان كثيرًا ما يردّ أبياتًا إلى حكم لا تتفق معها. فهذا في نظري تناقض

(1) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 621.
(2) نفسه، ص 621.
(3) نفسه، ص 622.

صريح بين رأيي الشكعة ﷺ، فهل الأبيات التي أوردها الحاتمي تخالف أم توافق حكم أرسطو؟!!.

وعندما يعرض الشكعة لما كتبه الجرجاني عن فلسفة المتنبي، يرى أن الجرجاني لم يمنح الجانب الفلسفي كثير عناية، وإنما ذكر بعض أبياته في الفلسفة بشكل عابر، ونجد أن الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه، يقول[1]: «وإنما دللناك على منهاجه وأريناك بابه وقد قدمنا ما استرذلنا من شعره، وإنما نجد له المعنى الذي لم يسبقه الشعراء إليه إذا دقق، فخرج عن رسم الشعر إلى طريق الفلسفة».

ويذكر الشكعة رأيه فيما كتبه الجرجاني عن المتنبي، فيقول[2]: «وإنصافًا للجرجاني نقول إنه لم ينسب المتنبي إلى الفلسفة صراحةً وإنما نسب إليه أنه نحا بشعره نحو طريق الفلاسفة».

وممن تعرض لقضية الفلسفة في شعر المتنبي من النقاد القدماء الثعالبي[3] الذي تحدث عن المتنبي، وكثير من نواحي شعره من: سقطات، وسرقات، وسوء مطالع، ومحاسن شعره.

ويرى الشكعة أن الثعالبي قد شغلته كثرة المادة الشعرية عن النقد، فيقول في ذلك[4]:

«إلا أن كثرة المادة الشعرية والنصوص التي حفلت بها اليتيمة قد شغلت صاحبها عن الاهتمام بالدراسة النقدية المستفيضة».

---

(1) **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، علي بن عبد العزيز الجرجاني، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 2010م - 1431هـ، ص 159.

(2) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 625.

(3) انظر، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، لأبي منصور الثعالبي، دار الفكر، بيروت، 1332هـ 1/ 110 وما بعدها.

(4) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 625.

أما البغدادي صاحب كتاب خزانة الأدب المتوفى سنة 1093هـ، وإن كان متأخرًا عن السابقين إلا أنه تعرض لفلسفة المتنبي، ويرد ذلك إلى فساد اعتقاد المتنبي.

يقول البغدادي[1]: «والمتنبي في الجملة خبيث الاعتقاد وكان في صغره وقع إلى واحد يُكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهوسه وأضله كما ضل».

ويلخّص الشكعة رأيه فيما قاله النقاد القدماء حول فلسفة المتنبي فيقول[2]:

«ولعل واحدًا منهم لم ينفذ إلى لب أو يغوص إلى جوهر في إيجاد مذهب فلسفي ثابت لشاعرنا، وإنما أكثرهم اهتمامًا وهو الحاتمي لم يَعدُ أن جعل المتنبي مترجمًا لحكم أرسطو وليس حكيمًا أصيلًا أو فيلسوفًا حقيقة».

3 ـ النقّاد المحدثون وفلسفة المتنبي

لقد تعرض النقاد المحدثون لفلسفة أبي الطيب المتنبي، كما تعرض لها النقاد القدماء، وعندما عرض الشكعة ﷺ لآراء النقاد المحدثين، نجد أنه يتحدث عن خمسة من هؤلاء النقّاد الذين درسوا فلسفة المتنبي أو تعرضوا لها بشيء من الدرس والنقد.

وأول هؤلاء النقّاد المعاصرين: محمد كمال حلمي وهو صاحب دراسة مستفيضة ووافية عن المتنبي في كتابه: «أبو الطيب المتنبي حياته وخلقه وشعره وأسلوبه» ويرى محمد كمال حلمي أن المتنبي ليس فيلسوفًا

(1) **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، عبد القادر بن عمر البغدادي، عني بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، ص382.

(2) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 628.

فيقول[1]: «قد يكون من التسرع والاندفاع أن تنسب الحكمة إلى أبي الطيب المتنبي من أجل ألفاظ وردت في شعره ليحاكي بها أقوال المنطقيين، وأصحاب الكلام أو من أجل أبيات أشار فيها إلى مسائل فسلفية»، ويلتمس محمد كمال حلمي العذر لمن يسمي المتنبي فيلسوفًا أو حكيمًا وذلك لأنه أكثر من استعمال ألفاظ المنطقيين وأصحاب الكلام في شعره[2]: «على أن شاعرنا قد أكثر في الواقع من استعمال تلك الألفاظ والإشارة إلى تلك المسائل في شعره تصريحًا وتلميحًا، فيلتمس إذن بعض العذر لمن سمّى أبا الطيب حكيمًا أو فيلسوفًا».

ويرى الدكتور مصطفى الشكعة أن خلاصة رأي محمد كمال حلمي تتمثل في أن المتنبي ليس فيلسوفًا. يقول الشكعة[3]: «وهكذا نجد أن خلاصة الدراسة التي خرج بها الأستاذ حلمي لا تعترف لأبي الطيب المتنبي بالفلسفة لأن أفكار الشاعر بعثرها هنا وهناك أشتاتًا في قصائده المختلفة».

أمّا طه حسين فهو صاحب دراسة مستفيضة عن أبي الطيب المتنبي في كتابه: [4] «مع المتنبي»، حيث يتحدث عن فلسفة المتنبي، ولكنه لا ينسبه إليها صراحة، بل ينسبه إلى الحكمة. ونجد أن طه حسين يُعد أن فلسفة المتنبي قد أثرت في أبي العلاء المعري من حيث التشاؤم.

يقول أبو الطيب المتنبي[5]:

يُدفِّنُ بعضُنا بعضًا وتمشِي   أواخرُنا على هامِ الأوالي

---

(1) **أبو الطيب المتنبي، حياته وخلقه وشعره وأسلوبه**، محمد كمال حلمي، مطبعة الشباب . مصر، 1921 م، ص 229.

(2) نفسه، الصفحة نفسها.

(3) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 630.

(4) انظر، **مع المتنبي**، طه حسين، مصر، دار المعارف، الطبعة الثالثة عشرة، ص 208.

(5) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 8.

وكمْ عينٍ مُقَبَّلَةِ النواحي كَحِيْلٍ بالجنادلِ والرِّمالِ

فهو يقول إن الإنسان جبل على النسيان، والأخير يدفن الأول وسرعان ما ينسى ويمشي على قبره، وكم من عيون كانت تقبِّل نواحيها لعزها وشرفها، ولكنها بعد الموت أصبحت تكتحل بالحجارة والرمال.

ونجد أن أبا العلاء المعري قد تأثر بهذا المعنى حيث قال[1]:

صاحِ هذي قبورُنا تملأُ الرَّحــ ـبَ فأينَ القبورُ من عهدِ عادِ

خففِ الوطءَ فما أظُنُّ أديمَ الأ رضِ إلاّ من هذهِ الأجسادِ

وقبيحٌ بنا وإن قَدُمَ العَهــ ـدُ هوانُ الآباءِ والأجدادِ

ينادي صاحبه ويخبره بأن هذه قبورنا تملأ المكان، ويسأله أين القبور من عهد قوم عاد، ويطلب منه السير بهدوء، فما يظن الأرض إلا من الأجساد المتحللة، فلا ينبغي أن نهين الآباء والأجداد وأن نطأهم وإن تقادم العهد.

إذن فأبو العلاء المعري تأثر تأثرًا مباشرًا بفلسفة أبي الطيب المتنبي انعكست عليه بشيء من التشاؤم.

ويرى الشكعة ﷺ أن طه حسين لم ينسب الفلسفة إلى المتنبي صراحة فيقول[2]: «نخرج من هذا بأن طه حسين بعد دراسته الوافية للمتنبي لم يقل صراحة إنّه كان فيلسوفًا بل قال إنه كان يصطنُع الحكمة وخاصة في مقام الرثاء ويجعلها متسمة بطابع التشاؤم الذي يتفق مع هذا المقام، وإذا كانت هناك ثمة فلسفة حقيقية فهي مجرد أفكار قاتمة حزينة مظلمة كان لها الأثر الأكبر في فلسفة المعرّي وتشاؤمه».

---

(1) **سقط الزند**، أبو العلاء المعري، شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1410هـ ـ 1990م، ص 196.

(2) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 632.

أما[1] عباس محمود العقّاد، فقد نسب المتنبي، إلى مذهب الشُكاك كما يقول الشكعة[2]: «والعقّاد على طريقته الخاصة يحاول أن يرتب آراءه على ضوء قراءته في المصادر العربية والإفرنجية وهو ينسب المتنبي إلى مذهب الشكاك».

أما الدكتور شوقي ضيف في كتابه الفن ومذاهبه في الشعر العربي فإننا نجده يخالف العقادّ الذي نسب المتنبي إلى الفلسفة ومذهب الشكاك يقول شوقي ضيف ﷺ مبينًا عدم رضاه عن المقارنة بين المتنبي ونيتشه[3]: «أما أن نستنتج فلسفته من فكرة طائرة نتخذها مذهبًا له أو كالمذهب ثم نقارن بينه وبين فيلسوف غربي على أساسها فإننا نكون مبالغين مفرطين في المبالغة» ويرى الشكعة ﷺ أن خلاصة رأي شوقي ضيف تتمثل في أن المتنبي كان مثقفًا ولم يكن فيلسوفًا، يقول[4]: «وخلاصة رأي الأستاذ أن المتنبي لم يكن فيلسوفًا وإنما كان مثقفًا بالمذاهب الفلسفية التي قرأها ووعاها».

وأمّا الشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه[5]: «فيلسوف العرب والمعلم الثاني»، فبين أن للشاعر أعداء وأنصارًا، فأما أصدقاؤه فقد وصفوه بالفلسفة مدحًا، وأما أعداؤه فقد وصفوه بالفلسفة للاستدلال على ضعف عقيدته وفساد مذهبه الديني، ويرى عبد الرازق أن المتنبي قد تأثر كثيرًا بالمعلّم الثاني الفارابي.

ويذكر الشكعة خلاصة رأي مصطفى عبد الرازق في فلسفة المتنبي فيقول عن ذلك[6]:

---

(1) عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد: إمام في الأدب، مصري، من المكثرين كتابة وتصنيفاً مع الإبداع، أصله من دمياط. (**الأعلام** 3/ 266).

(2) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 632.

(3) **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ص 238.

(4) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 635.

(5) انظر، **فيلسوف العرب والمعلم الثاني**، مصطفى عبد الرازق، ص 82

(6) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 639.

«ويجمل الأستاذ مصطفى عبد الرازق رأيه في مصادر فلسفة المتنبي أنه كان سليلًا للفارابي في آرائه الفلسفية، والمتنبي في رأيه هو أول من بث الفلسفة في الشعر».

4 ـ هل كان المتنبي فيلسوفًا؟

عندما يطرح الشكعة ﷺ هذا السؤال، فإنه يجيب عنه من خلال إجمال آراء القدامى من الدارسين والناقدين، وكذلك آراء المحدثين من النقاد، ثم يختم رأيه في هذا الأمر.

أما النقّاد القدامى، فإن الشكعة يذكر أنهم قد وصفوا المتنبي بالفلسفة عدا الحاتمي فيقول[1]: «أما القدامى من الدارسين والناقدين فقد وصفوه فعلًا واستعرضوا أبياتًا كثيرة شاهدًا ودليلًا على قولهم ولكن واحدًا من الذين أفسحوا له رسالة مطولة وهو الحاتمي يذكر كل بيت للمتنبي ويرده إلى أصله من فلسفة أرسطو وهي اعتراف ضمني من صاحب الرسالة بأن المتنبي لم يكن فيلسوفًا وإنما كان ناقلًا لبعض الآراء الفلسفية أو بعبارة أدق ناظمًا لها».

وأما النقّاد المحدثون، فيرى الشكعة أن أكثرهم لا يعدونه من الفلاسفة حيث إن تلك الحكم غير كافية لجعله ضمن كوكبة الفلاسفة، عدا عباس محمود العقاد؛ فإنه يرى أن المتنبي كان فيلسوفًا، بل ينسبه إلى مدرسة فلسفية معينة.

يقول الشكعة عن هذا الأمر[2]: «وأما المحدثون فتذهب كثرتهم إلى أن تلك الحكم المتفرقة الأفكار المجتلبة لا تكاد تنهض دليلًا على فلسفة الشاعر وهي غير كافية لنظمه في سلك الفلاسفة. وأما الأستاذ العقاد فيجعل

(1) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، 639.

(2) نفسه، ص 640.

من المتنبي فيلسوفًا وينبه إلى مدارس فلسفية بعينها كالأبيقوريّة ونزعة حب القوة، وعقد فصلًا لا بأس به عن فلسفة المتنبي وفلسفة نيتشه الفيلسوف الألماني» ويختم الشكعة رحمه الله بقوله[1]: «والمتنبي بعد ذلك كله له فضل كبير في تهجين الشعر العربي بالأفكار الفلسفية فكان بذلك الأستاذ الأول للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري أكبر فيلسوف عرفه الشعر العربي».

والذي أراه أن بعض أبيات المتنبي وإن كانت تحتوي على شيء من الحكمة توحي ببعض الفلسفة، إلا أنها في رأيي لم تكن نتيجة بحث وقراءه المتنبي في كتب الفلاسفة، ولم تكن أيضًا ناتجة من تأثر كبير بالفارابي الذي التقاه في مجلس سيف الدولة، والعلاقة في ذلك المجلس بين المتنبي ومن فيه من الأدباء والشعراء والعلماء لم تكن قويَّة، بل إنها في كثير من الأحيان تتحول إلى الانتقاد، وذلك نظرًا إلى استعلاء المتنبي، فإن حدث تأثر ـ هذا في نظري ـ فهو محدود جدًا، وإنما الذي يبدو لي أن كثرة التقلبات في حياة المتنبي وكثرة الأسفار، ومقابلة كثير من الناس ذوي الطباع المختلفة، كل ذلك قد أكسب المتنبي شيئًا من الخبرة والتجربة، انعكست بذلك على بعض أبياته بشيء من الحكمة، وما يشبه الفلسفة.

ثالثًا ـ قضية حجب المتنبي لبعض شعره

عندما نقف على أي ديوان لشاعر من شعراء العربية؛ فإن ذلك لا يعني أننا وقفنا على جميع ما قاله الشاعر من قصائد وأبيات شعرية، فربما لم يصل إلينا بعض ما قاله الشاعر، وذلك إما لعدم إثبات ذلك من قبل الشاعر نفسه، وإما لأي سبب آخر: مثل الرواة، أو من يدّون شعر ذلك الشاعر سواء بقصد أو بدون قصد.

والمتتبع لدواوين الشعر بدءًا من العصر الجاهلي، يجد أن الشعراء بداية لم يكن لهم دواوين يثبتون فيها أشعارهم وقصائدهم، وإنما كان

(1) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص 641.

للشعراء عدد من الرواة، يلازمونهم ويحفظون أشعارهم ويرددونها عنهم، وينتقلون من مجمع إلى آخر ليرددوها على مسامع الناس.

وذلك أنه كان لكل شاعر رواة يلازمونه ويروون شعره يقول الدكتور ناصر الدين الأسد[1]: «وقد كان لبعض الشعراء وخاصة الفحول منهم، راوٍ أو رواة، يصطحبونهم ويلازمونهم في حلّهم وترحالهم ويحفظون شعرهم ويروونه وينشدونه في المجالس والمحافل وقد جرى أمر الشعراء ورواتهم في العصور الإسلامية على ما جرى عليه في الجاهلية».

وعندما شاعت الكتابة في العصر الإسلامي، وبدأ التدوين بجميع أنواعه كان من ذلك تدوين الشعر، على الرغم من وجود الرواة وملازمتهم للشاعر حتى إن بعضهم يجيد الكتابة، ولكن له رواة يسمعون منه ويروون شعره مثل أبي تمام والبحتري.

بل إن عملية تدوين الشعر لم تكن تتم في حياة الشاعر ومن قبله هو، وإنما كان ينبري لتدوين قصائد الشاعر بعض رواته، وبعض معاصريه من الأدباء.

وعندما نصل إلى أبي الطيب المتنبي نجد أن له مجموعة من الرواة ومع ذلك فقد جمع بنفسه ديوانه وقرئ عليه في حياته. يقول مصطفى الشكعة رحمه الله[2]: «وكان المتنبي واحدًا من الشعراء الذين جمعوا دواوينهم بأنفسهم على الرغم من رواته الكثيرين الذين يجيء على رأسهم عالم اللغة الكبير ابن جنّي[3] الذي يقول عنه المتنبي: إن ابن جني أعلم بشعري منّي.

وفي هذا الصدد يطرح الشكعة رحمه الله سؤالًا وهو: هل يحق للشاعر أن

---

(1) **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، الدكتور ناصر الدين الأسد، دار المعارف، مصر، الطبعة السابعة، 1985م، ص237

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 75.

(3) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر، ولد بالموصل، وتوفي ببغداد عن نحو 65 عاماً. (**الأعلام** 4/ 204).

يحجب بعض شعره فلا يثبته على صفحات ديوانه وأن يقدّم فقط ما يراه أهلًا لأن ينشر على الناس؟

من هنا يبدأ الشكعة ﷺ مناقشة هذه القضية، ويرى أن الأصل في الشاعر أن يثبت شعره بنفسه، ويبدأ بجمع شعره خصوصًا كلما تقدمت به السن.

غير أنني أرى أن الشكعة ﷺ يورد رأيين قد يكونان متضاربين؛ ففي الرأي الأول يقول[1]: «ولم يكن من المألوف أن يجمع الشاعر شعره ويطلق عليه مصطلح «الديوان» لأن ديوان الشاعر هو جماع ما أنشأ من القصائد التي كان يتصدى لتسجيلها رواته أو معاصروه من صفوة المتأدبين وكان ذلك يتم بعد وفاة الشاعر» وغير بعيد عن هذا الرأي يورد الشكعة الرأي الآخر فيقول[2]: «الأصل في هذا الأمر أن الشاعر كان إذا تقدمت به السن يعمد إلى جمع شعره أو ديوانه، وكان يلزم نفسه بإثبات كلّ ما جادت به قريحته حسنًا كان أم قبيحًا».

والذي أرجّحه أن الرأي الأول للشكعة كان سائدًا في العصور القديمة حيث إن أغلب دواوين الشعراء قد جمعت من قبل معاصريهم، وأهل الأدب في زمانهم، أما ما نلاحظه في العصر الحديث، وفي زماننا فإن أغلب الشعراء هم من يقومون على جمع قصائدهم وتضمينها ديوانًا يخصّهم، إلا فيما يكون من الأعمال الكاملة في العصر الحديث فإنها غالبًا تجمع بعد أن يتوفى الشاعر.

ومن الشعراء الذين حجبوا بعض أشعارهم في العصر القديم أبو عبادة البحتري، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني[3]: أنه لمّا حضرته

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 75.

(2) نفسه، ص 76.

(3) **الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني المتوفى 356هـ، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1412هـ ـ 1992م، 18/ 167.

الوفاة دعا ولده أبا الغوث وطلب إليه أن يجمع كل ما قاله في الهجاء ويحرقه ثم قال له: «يابُني هذا شيء قلتُه في وقت فشفيت به غيظي وكافأت به قبيحًا فعل بي، وقد انقضى أربي في ذلك، وإن بقي رُوي، وللناس أعقاب يورثونهم العداوة والمودة، وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولا لي فيه».

ومن هنا يتبين لنا أن الأصل إثبات قصائد الشاعر في ديوانه وما فعله البحتري، فإنما هو خلاف الأصل الذي يثبت جميع قصائد الشاعر حتى يتمكن النقاد والدارسون من إصدار الحكم الصحيح والدقيق على شعر الشاعر.

ومن الشعراء الذين حجبوا بعض شعرهم أبو الطيب المتنبي، فبعض المصادر تشير إلى أن لأبي الطيب المتنبي قصائد لم توجد في ديوانه.

من ذلك ما رواه يوسف البديعي[1]: أن قصيدتين وجدتا في رحل أبي الطيب عند موته وهما في هجاء كافور ولكنهما لم توجدا في الديوان. يقول البديعي: «ورأيت له قصيدتين في هجاء كافور، ومدح سيف الدولة ونقلتهما من خط أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري قال: إنهما وجدتا في رحله لما قُتل وعملهما بواسط».

القصيدة الأولى وهي في واحدٍ وثلاثين بيتًا ومطلعُها[2]:

أفيقا: خُمارُ الهمِّ نغصني الخمرَا ... وشكري من الأيامِ جنبني الشُكرَا

أريـدُ مـن الأيْـامِ مـا لا يـريـدُهُ ... سوايَ ولا يجري بخاطرهِ فِكرَا

صحبتُ ملوكَ الأرضِ مغتبطًا بهم ... وفارقتهم ملآنَ من حنقٍ صَدرَا

ولـمـا رأيـتُ الـعـبدَ للـحـرِّ مالـكًا ... أبَيْتُ إباءَ الحرِّ مسترزقًا حُرًّا

ومِصرُ لعمري أهلُ كلِّ عجيبةٍ ... ولا مثلَ ذا المخصيّ أعجوبةً نُكرا

(1) **الصبح المنبي عن حيثية المتنبي**، ص 104.

(2) نفسه، الصفحة نفسها.

ففي هذه الأبيات يظهر أبو الطيب المتنبي حسرته من الأيام، وأنه يريد منها شيئًا لا يريدهُ غيرهُ، ولكن هيهات أن يتحقق ذلك، وأنه صحب ملوك الأرض سعيدًا بصحبتهم، ويتركهم بعد أن امتلأ صدره حنقًا وغيظًا عليهم، ثم يبدأ بهجاء كافور، ويذكر أنه يستنكر أن يكون العبد المخصيّ سيدًا للأحرار، ويتعجب من مصر وحالها، فكل العجائب بها ولكن العجيبة الكبرى في نظره هو ذلك العبد المخصي الذي يحكم الأحرار.

وأما القصيدة الثانية التي ذكرها يوسف البديعي فهي تقع في ثلاثة عشر بيتًا، يقول المتنبي في مطلعها[1]:

قطعتُ بسيري كلَّ يَهْمَاءَ مَفْزَعِ وجُبتُ بخيلي كلَّ صَرماءَ بقلعِ

ومنها أبيات ـ بعد أن هجا كافور هجاءً مقذعًا في التحسر على فراق سيف الدولة.

وأتركُ سيفَ الدولةِ الملِكَ الرِّضا كريمَ المحيَّا أروعًا وابنَ أروعِ

فتىً بحرُه عذبٌ ومَقصدُهُ غنىً ومرتعُ مرعى جودهِ خيرُ مرتعِ

تظلُّ إذا ما جئتَهُ الدهرَ آمنًا بخيرِ مكانٍ بلْ بأشرفِ موضعِ

في هذه القصيدة هجاء مؤلم ومقذع صبه المتنبي على كافور، وبعد أن يفرغ المتنبي من ذلك، فإنه يختم قصيدته بالتحسُّر على القائد العظيم سيف الدولة الحمداني.

وهاتان قصيدتان غير مثبتتين في ديوان المتنبي، فهل كان المتنبي مسؤولًا عن حجب هاتين القصيدتين؟ يقول الشكعة ﷺ عن هذا[2]: «ولوجه الحقيقة فإنّ أبا الطيب ليس مسئولًا عن غياب هاتين القصيدتين عن ديوانه، لأنه كتبهما قبل مقتله بفترة زمنية قصيرة بعد انصرافه من شيراز،

(1) **الصبح المنبي عن حيثية المتنبي**، ص 107.

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص82.

منتهيًا من مدح عضد الدولة وكان ديوانه قد جمع وقرئ عليه في شيراز، وشرع ابن جني في شرحه، وإنما هو مسئولٌ عما احتوته القصيدتان من سباب ساقط عزلهما من مجرد الهجاء». ويبيّن إن كان أبو الطيب المتنبي ليس مسؤولًا عن إثبات هاتين القصيدتين في ديوانه؛ فإنه مسؤول عن التي أنشأها في شبابه ولم تُثبت في الديوان.

يقول الشكعة[1]: «أما غياب ما يقرب من مئتي قصيدة أنشأها المتنبي في شبابه فإن مسئوليته عن حذفها واقعة محققة».

ومن الدلائل التي تؤيد أن أبا الطيب المتنبي قد حذف كثيرًا من شعره ما رواه أبو الحسن التنيسي المتوفى عام 393هـ صاحب كتاب[2]: «المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي»، حيث يورد أن[3] أبا القاسم علي بن حمزة البصري، وهو من أصحاب المتنبي أخبره أنه حضر عند أبي الطيب وقت وصوله من مصر إلى الكوفة، فقال له أحد الشيوخ مداعبًا له، وأبو الطيب المتنبي يحتمل تلك الدعابة، يا أبا الطيب خرجت من عندنا و لك ثلاث مئة قصيدة، وعدت بعد ثلاثين سنة ولك مئة قصيدة ونيف، فهل كنت تفرقها على المنقطعين من أبناء السبيل.

فقال له المتنبي: ألا تدع هزلك، فقال الشيخ: أخبرني عن قصيدتك الشاطرية التي خرجت من أجلها إلى البصرة حتى أظهرت فيها معارضتك للخبزرزيّ، لمَ أسقطتها، فقال المتنبي: تلك هفوات الصبا.

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص82

(2) انظر، **المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي**، أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي، حققه وخرجه وعلق عليه الدكتور فهد بن عبد الله العزام، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، 1429هـ ـ 2008م.

(3) علي بن حمزة البصري، أبو القاسم: لغوي من العلماء بالأدب. (**الأعلام** 4/ 282).

وأنشد الشيخ، أبا القاسم عدة أبيات منها، ثم إن أبا القاسم سأل المتنبي بعد مدة، هل دخلت البصرة قط، فقال نعم ووصف له منزلًا كان الخبزرزي على بعد أربعة أو خمسة أذرع منه، فقال أبو القاسم فعلمت أن الشيخ قد صدق».

هذه شهادة علي بن حمزة راوية المتنبي وأول من وضع ديوانًا له.

ويختم الشكعة ﷺ بإبداء رأيه في قضية حجب المتنبي لبعض شعره فيقول[1]: «ومن ثم فلا يزال مزيد من الجهد ينبغي أن يبذل للوصول إلى ما يمكن أن يكون مندثرًا في صفحات بعض المطبوع، وكثير من المخطوط من تراثنا، حتى يمكن بعد الاطلاع عليه أن تكون الأحكام الصادرة على الشاعر الكبير أكثر دقة وأضبط حكمًا، وأوفر عدلًا، سواء أكان ذلك له أم عليه».

وهنا أوافق الدكتور الشكعة ﷺ فيما ذهب إليه إذ لا يمكن الحكم على الشاعر بحجب شعره من خلال رواية واحدة، وإن كانت صدرت عن راوية من رواة المتنبي وأحد صانعي ديوانه، بل لابد من البحث والتنقيب في بطون الكتب والمخطوطات، ليتبيّن لنا هل هناك أبيات أو قصائد وجدت في تلك الكتب والمخطوطات، ولم تثبت في ديوانه؟

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 84.

المبحث الثالث

دراسة الخصائص الفنية

دراسة الخصائص الفنيّة إحدى الطرائق التي سلكها مصطفى الشكعة رحمه الله في دراسته لشعر أبي الطيب المتنبي، وقد تنوعت هذه الدراسة للخصائص الفنيّة لشعر المتنبي لتشمل جوانب عدّة ومراحل متعددة من حياة المتنبي.

فنجد أن الشكعة ركزّ على مرحلة مهمة من مراحل حياة المتنبي، وهي مرحلة وجود المتنبي في العراق الفارسي، بدءًا بابن العميد الوزير الأديب الشاعر، ثم انتقاله إلى الملك عضد الدولة فنّاخسرو، فكما أنّه ركزّ في دراسته الفنية على مرحلة زمنية معينة، وهي مرحلة العراق الفارسي، فإننا نجده أيضًا يركز دراسته كذلك على ظاهرتين بارزتين في شعر المتنبي وهما: الظاهرة الأولى: مطالع الكافوريات، وهي القصائد التي قيلت في كافور الإخشيدي، ويحاول أن يصحح بعض المفاهيم والأخطاء التي يراها الشكعة شائعة عن مطالع تلك القصائد الكافورية وإن كان التركيز هنا على ظاهرة معيّنة إلا أنه يعد دراسة لجزئية من مرحلة أخرى من مراحل حياة المتنبي، وهي مرحلة حياته في مصر واتصاله بكافور الإخشيدي ومدحه إياه، ثم هجاؤه بعد أن يئس من تحقيق شيء من مطالبه، وهي توليته الإمارة.

والظاهرة الثانية: معاصرو المتنبي ومآخذهم على شعره؛ فهذه الظاهرة تكاد تكون ملازمة لأبي الطيب المتنبي، فنجد أن مجالس الملوك والوزراء التي غشيها المتنبي كانت تضم في غالبها الأدباء والشعراء وعلماء اللغة، فنجد المآخذ والاعتراضات من أولئك على أبيات أو كلمات في شعر أبي الطيب المتنبي، ولا سيما أن المتنبي كان يظهر الاستعلاء عليهم، ماعدا ندوة

عضد الدولة فنجد أن تلك الحدة بين العلماء وأبي الطيب المتنبي قد خفَّت كثيرًا إن لم تكن قد تلاشت. بل إننا نجد أن بعض ممدوحي المتنبي من ملوك ووزراء كانوا من متذوقي الأدب والشعر؛ خصوصًا الوزراء الذين لم يكونوا ليصلوا إلى تلك المكانة إلا بعد دربة بالأدب والعلم.

أولًا ـ المستوى الفني لقصائد المتنبي في العراق الفارسي

بعد أن خرج أبو الطيب المتنبي من مصر محتنقًا هاجيًا كافور الإخشيدي توجّه إلى العراق، وظلّ يتنقل ما بين الكوفة وبغداد حتى ابتدأت مرحلة جديدة من مراحل حياة أبي الطيب المتنبي وهي مرحلة العراق الفارسي، واتصاله بالوزير الأديب ابن العميد وبقاؤه عنده مدة من الزمن يمدحه، ثم بعد أن وجهت إليه الدعوة من الملك عضد الدولة فنّاخسرو، ترك ابن العميد وتوجه إلى عضد الدولة وكانت هذه المرحلة آخر مرحلة من مراحل حياة المتنبي الحافلة بالشعر.

لقد درس الشكعة ﷫ الخصائص الفنية لشعر المتنبي في العراق الفارسي، وجعلها على قسمين: القسم الأول العميديات وهي القصائد التي قيلت في مدح ابن العميد.

والقسم الثاني: العضديات وهي القصائد التي قيلت في مدح عضد الدولة، وفي رثاء عمته وفي وداعه.

1 ـ العميديات

اتصل أبو الطيب المتنبي[1] بابن العميد في مدينة: أرَّجَان، وهي المنتجع الذي كان ينزل فيه ابن العميد مرتين في العام، حيث استقبله ابن العميد استقبالًا حسنًا وأنشده المتنبي عددًا من القصائد تباينت في مستواها

(1) محمد بن الحسين العميد بن محمد، أبو الفضل، وزير من أئمة الكُتاب، كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم، ولقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسّله. (**الأعلام** 6/ 98).

الفني، يقول عنها الشكعة رحمه الله[1]: «ويجيء دور الشعر الذي كان ينتظره ابن العميد، والذي كان أعده المتنبي، أو أعد بعضًا منه، وبسبيل إعداد بعضه الآخر الذي بلغ مجموعه ثلاث قصائد طوالًا، أولاها أشهرها وأفضلها، وثانيتها متوسطة الجودة، وثالثتها اجترار الشاعر لمعانٍ قديمة غير منسقة الترتيب ولا حسنة الإيقاع وقد عهدنا من المتنبي في مدائحه غير ذلك».

هذا رأي عام يقدّم به الشكعة لدراسة الخصائص الفنيّة للقصائد التي قالها المتنبي عند ابن العميد، ويورد نماذج لتلك القصائد وشيئًا من دراسته الفنيّة لكل قصيدة.

القصيدة الأولى التي مطلعها[2]:

بادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أمْ لم تَصْبِرَا ... وَبُكاكَ إن لم يَجْرِ دمعُكَ أو جَرَى

كمْ غَرَّ صَبرُكَ وَابتسامُكَ صَاحِبًا ... لمّا رَآك وَفي الحَشَا مَا لا يُرَى

وَتَرَى الفَضيلَةَ لا تَرُدّ فَضِيلَةً ... الشّمسُ تُشرِقُ وَالسحابَ كنَهْوَرَا

في الأبيات بين أنّه مهما كتم هواه فإنه سيظهر سواء أصبر أم لم يصبر وكذلك البكاء سيظهر عليه سواء كان الدمع محبوسًا أو قد جرى، ويخدع أصحابك بابتسامتك وصبرك لما رأوك مبتسمًا صابرًا، وهم لا يعلمون ماذا داخل الحشا من الألم والحرقة، وقد تجتمع الفضائل فيك بغير تضاد مثل إشراق الشمس في النهار الكثيف السحاب.

فنجد أن ابن العميد وهو الشاعر الأديب يقول للمتنبي يا أبا الطيب[3]: تقول: بادٍ هواك ثم تقول بعده: كم غرّ صبرك؟ ما أسرع ما

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 478.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 160

(3) انظر، **تاريخ مدينة دمشق**، تصنيف الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، 499هـ ـ 571هـ، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر بيروت ـ لبنان، 2/ 313.

نقضت ما ابتدأت به!! فقال المتنبي هذه حالة وتلك حالة، وكذلك نجد أن جلساء ابن العميد يتحدثون في البيت الثالث، وعندما يتأمله يقول: هذا يعطلنا عن الهمم، ثم انطلق يقول: ما كان الرجل يدري ما يقول.

ويسجل الشكعة ﷺ رأيًا في الأبيات متكئًا على رأي ابن العميد وآراء جلسائه فيقول[1]: «إن من يتأمل القصيدة، ومن يعِ قول ابن العميد وتعليق ندمائه يشعر أن الخط البياني لمسيرة المتنبي الفَنية قد اتجه إلى النزول، وهو منعطف يدعو إلى الأسف الشديد».

ويخلص رأي الشكعة ﷺ في هذه القصيدة الرائية التي مدح بها أبو الطيب المتنبي ابن العميد، إلى أن هذه القصيدة لم تكن لترضي ما يتطلع إليه ابن العميد من المتنبي.

يقول الشكعة عن هذه القصيدة[2]: «ومع ذلك فإن ابن العميد لم يخف خيبة أمله في القصيدة، فهي من الشعر الذي لا يتميز بشيء جديد ويحس المتنبي بذلك، ويفطن إلى ضعف القصيدة ويلحظ فتورًا بدا من الممدوح حيالها».

ونظرًا إلى ما لحظه المتنبي من فتور ابن العميد نحو قصيدته الرائية وعدم رضاه عنها، نجده يمدح ابن العميد بقصيدة أخرى وذلك تزامنًا مع حلول النيروز الذي كان يمثّل للفرس عيدًا يحتفلون به، وابن العميد فارسي، فمثل هذه المناسبة تمثّل له شيئًا عظيمًا.

يقول المتنبي في مطلع هذه القصيدة[3]:

جَاءَ نَيرُوزُنَا وَأنتَ مُرَادُهْ وَوَرَتْ بِالَّذي أَرَادَ زِنَادُهْ

ومنها:

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 479.

(2) نفسه، ص 485.

(3) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 47/ 2.

هَذِهِ النَّظْرَةُ التي نَالَهَا مِنْـ ـكَ إلى مِثْلِها من الحَوْلِ زَادُهْ
نحنُ في أرْضِ فارِسٍ في سُرُورٍ ذا الصَّبَاحُ الذي نرَى ميلادُهْ
عندَ مَنْ لا يُقاسُ كسرَى أبو سا سانَ مُلْكًا بهِ وَلا أوْلادُهْ
عَرَبيٌّ لِسَانُهُ فَلْسَفيٌّ رأيُهُ فَارِسِيّةٌ أعْيَادُهْ

يقول قد جاء العيد وأنت مراده فلم يرد إلا أنت، وعندما بلغ مراده برؤيتك ورَى زنَده، وهذه كناية عند العرب عن بلوغ المراد، وهذه النظرة التي نظرت إليه بها، وأخذها منك فهي زادٌ لهذا العيد من الحول إلى الحول، ثم يصف حالهم في أرض فارس فهم في سرور دائم مع كل صباح يطلع عليهم، عند ابن العميد الذي لا يقاس ملك كسرى ملك العجم وأولاده بملك ابن العميد، فهو في نظر الشاعر أكثر ملكًا منهم، وابن العميد فارسي لكنّه يتكلّم بلسان العرب، يقول بحكم الحكماء، وأما أعياده فهي فارسيّة مثل عيد النيروز الذي قيلت فيه هذه القصيدة.

ومن خلال الدراسة الفنيّة التي يقدّمها الشكعة لهذه القصيدة وهي ــ في نظري ــ إشارات وإضاءات عابرة لمن يريد التعمق في الدراسة الفنيّة لشعر أبي الطيب وخصوصًا في القصائد التي قالها المتنبي وهو في العراق الفارسي، أقول من خلال هذه الدراسة نجد أن أبا الطيب المتنبي يعتذر عن تقصيره في القصيدة السابقة.

يقول الشكعة[1]: «ويُعرّج المتنبي على تقصيره في القصيدة السابقة ويعتذر عن ضعف مستواها الفني، وهي أول مرّة يعترف فيها المتنبي بمثل هذا التقصير، إنه يحسّ بالقصور في شعره والانحدار في فنه بعد أن كان يملأ الدنيا ضجيجًا وفخرًا واستعلاءً بقصائده».

يقول المتنبي في أبياته التي يعتذر فيها لابن العميد[2]:

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 487.
(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 53.

هلْ لِعُذْري إلى الهمامِ أبي الفضْلِ	قبولٌ سَوادُ عَينِي مِدادُهْ
ما كَفاني تقصيرُ ماقلتُ فيهِ	عن عُلاهُ حتَّى ثَنَاهُ انْتِقادُهْ
إنَّني أصْيَدُ البُزاةِ وَلَكِنَّ	أجَلَّ النُّجوم لا أصْطادُهْ
رُبّ مالا يُعبِّر اللفظُ عنُه	والذي يُضمرُ الفؤادُ اعتقادُه
ما تعوَّدتُ أن أرى كأبي الفَضْـ	ـلِ وَهَذا الذي أتَاهُ اعتِيادُهْ

يقدم المتنبي هنا اعتذاره لابن العميد، فيقول هل يقبله أبو الفضل، ولو أراد أن أكتب عذري بسواد عيني وأجعله مدادًا له، ولم يكفني تقصيري فيما قلت فيه، حتى صار انتقاده ثانيًا لتقصيري فاجتمع التقصير مني وانتقاده لي. ثم يقول إنني إن كنت ماهرًا في الشعر وكنت أصْيدَ البزاة، إلّا أن ابن العميد نجم لا يبلغه وصف شعري ولكن إن لم يبلغ لفظي وصفك إلّا أنني أعتقد ذلك المعنى في قلبي وخلدي، ويبرر تقصيره بأنّه لم يرَ في حياته ولم يمدح ممدوحًا كابن العميد، والذي أتى لابن العميد هو عادة من المتنبي، فهو أخبرُ الشعراء بالمدح، فكان ينبغي أن يكون مدحه لابن العميد غير هذا المدح.

ويختم الشكعة رأيه في هذه القصيدة عندما يتحدث عن اعتراف المتنبي بتقصيره فيقول[1]: «إنّه موقفٌ جديدٌ أيضًا، بل حالة جديدة في موقف المتنبي وشعر المتنبي، إنّه في رأينا بداية أفول نجمه، سواء أكان نجم الشعر أم نجم الحياة».

أفول نجم الشعر؟ ربّما، ولكن أفول نجم الحياة؟! فهل الاعتذار الذي قدمه المتنبي في نهاية حياته كان دليلًا على ذلك؟ في رأيي إنه ليس كذلك، بل هو اعتذار من رجل أمام وزير عظيم، وربما لمسنا هذا التبجيل عند قدوم المتنبي إلى العراق الفارسي.

وفي ختام قصائد أبي الطيب المتنبي مع ابن العميد يختم الشكعة رَحِمَهُ اللهُ

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 488.

بدراسة قصيدة المتنبي في وداع ابن العميد، يقول في مطلعها[1]:

نسيتُ وما أنسَى عتابًا على الصَّدِ ولا خَفَرًا زادتْ بِهِ حُمرةُ الخدِّ

ومنها:

فَإن يكنِ المَهديُّ مَنْ بَانَ هَديُهُ فهذا وإلاّ فالهُدَى ذا فَما المَهدِي

يُعَلِّلُنا هذا الزَّمانُ بذا الوعْدِ ويَخدعُ عمّا في يديهِ مِنْ النَّقدِ

عن هذين البيتين يقول الشكعة[2]: «فإذا عدنا إلى قصيدة الوداع التي نحن بصددها وجدنا أعيننا تقع على بيتين آخرين من طراز المديح الغريب الموسوم بالغلو معنى، المعقد أسلوبًا».

فنجده هنا يقدّم تبريرًا لضعف هذين البيتين وهو أنّ فيهما غلوًا في المعنى، وتعقيدًا في الأسلوب.

ويختم الشكعة دراسة هذه القصيدة باستعراض المقطع الأخير من أبيات الوداع في القصيدة[3]:

تفضلتِ الأيامُ بالجمعِ بيننَا فلّما حَمِدنا لم تُدِمنا على الحمدِ

جَعلنَ وداعي واحدًا لثلاثةٍ جَمالِكَ والعلمِ المبرّحِ والمجدِ

فجد لي بقلبٍ إن رحلتُ فإنني مخلِّفُ قلبي عندَ مَنْ فضلُه عندي

ولو فارقتْ نفسي إليكَ حياتَها لقلتُ: أصابتْ غيرَ مذمومةِ العهدِ

هذه الأبيات يتم الشكعة رأيه فيها بقوله[4]: «إنها أبيات لطيفة المأخذ، ولكنها سطحية العاطفة، وهي في جملتها دون مستوى المتنبي الذي كان يستطيع أن يودِّع ابن العميد وداعًا أكثر حرارة وأبلغ صياغة مع ترفُّع عن حشو الكلام، وذلك أن أبا الفضل ابن العميد قيمن بذلك لعلمه

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 59.
(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 495.
(3) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 69.
(4) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 496.

وفضله وأدبه وفروسيته وهيبته، ولكنّ أمرين أساسيين فيما نرى قد حالا بين المتنبي وبين ذلك: الأمر الأول هو تغيّر طبيعة الشاعر ونضوب قريحته. والأمر الثاني هو التعجل والإسراع في إنشاء القصيدة حتى يلقى ممدوحًا جديدًا وينال عطاءً جديدًا، فقد تحول المتنبي إلى مرحلة شعر التكسب دون شعر القيم «فهنا نرى آراء جريئة للشكعة ﷺ مثل: «نضوب قريحة المتنبي»، «وتحوله من شعر القيم إلى شعر التكسّب»». والذي أراه أن المتنبي لم يكن يحرص على القيم في شعره كثيرًا فهو يمدح الممدوح في محاولة لاسترضائه وكسب ودّه والحصول على رغباته، كما فعل مع سيف الدولة وكافور الإخشيدي، حيث مدحهما من أجل الحصول على الإمارة، فلمّا تحوّل عنهما ولم يحصل على مطلوبهِ عرّض بأحدهما، وهجا أحدهما هجاءً مقذعًا، فالمتنبي ـ في نظري ـ لم يكن حريصًا كل الحرص على شعر القيم ولم يكن هو بذاته محافظًا عليها، وإلّا أين وفاؤه لهذين الرجلين اللذين أكرماه وأغدقا عليه من كرمهما.

وأمّا نضوب شاعريته، فإن قصائده في عضد الدولة، كما سنرى لاحقًا، وقصائده التي لم يثبتها في ديوانه ووجدت في رحله عند مقتله. كل هذه الأمور تدل على أن شاعرية المتنبي لم تنضب، ولو قدّر له أن يعيش أكثر من ذلك لرأينا من روائعه الشيء الكثير.

2 ـ العَضُديات

عندما ودّع المتنبي ابن العميد توجه إلى[1] عضد الدولة فناخسرو وكان ملكًا عظيم القدر، على اطلاع بالأدب والثقافة والشعر. فأبو الطيب المتنبي يودّع وزيرًا محبًا للشعر والشعراء إلى ملكٍ محبًا للأدب والشعراء،

(1) فنّاخُسرو، الملقب بعضد الدولة، ابن الحسن الملقب بركن الدولة ابن بويه الديلمي، أبو شجاع: أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق، تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة. (**الأعلام** 5/ 156).

وإن كان هذا الملك من الفرس إلا أنّه من الدَّيْلَم، وكان على علم بالعربية وفنونها، بل إن مجلسه كان يضم نخبة من أبرز علماء العربية مثل: [1]أبي علي الفارسي، وابن جنّي.

لقد قال أبو الطيب المتنبي عددًا من القصائد في أثناء وجوده عند عضد الدولة، منها قصيدة اللقاء الأول، ثم نونيته الشهيرة ثم رثاؤه لعمة عضد الدولة، ثم قصيدة الوداع، التي فيما يبدو أنها آخر قصيدة أثبتت في ديوان المتنبي.

هذه القصائد تعرض لها الشكعة رحمه الله بشيء من الدراسة الفنية التي مازلت أقول عنها: إنها لم ترق إلى مستوى الدراسة الفنيّة المؤصَّلة، ولكن يبدو أن الشكعة رحمه الله جعلها إضاءات لبعض أبيات القصائد لتكون مفاتيح للذين يريدون دراسة شعر أبي الطيب المتنبي دراسة فنيَّة وافية.

يقول أبو الطيب المتنبي في قصيدته الأولى التي ألقاها بين يدي عضد الدولة[2]:

أوْهِ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتي وَاهَا ... لِمَنْ نَأتْ وَالبَدِيلُ ذِكْراهَا

أوْهِ مِنْ أنْ لا أرَى مَحَاسِنَهَا ... وَأصْلُ وَاهًا وَأوْهِ مَرْآهَا

شَامِيّةٌ طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا ... تُبْصِرُ في ناظِرِي مُحَيّاهَا

فَقَبّلَتْ نَاظِرِي تُغالِطُني ... وَإنّمَا قَبّلَتْ بِهِ فَاهَا

فنرى المتنبي في هذه الأبيات يتألم ويتوجع لفقد محبوبته، وصار التوجع والتفجع بديلًا للتعجب، وصارت الذكرى بديلًا لوجودها، فهو يتألم لأنّه لم يعد يرى محاسنها، وأصل ذلك التعجب والتوجع رؤيته لها، وبين أنها شامية لطالما خلا بها، فمن قربها له ترى وجهها في ناظريه، ثم

(1) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي: أحد الأئمة في علم العربية. (**الأعلام** 2/ 179).

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 269.

إنها قبّلت ناظر الشاعر، وإنما هي في الحقيقة قبّلت فاها الذي يُرى في عين الشاعر.

والحقيقة أن الشكعة ﷺ لم يخفِ استياءه من هذه القصيدة مباشرة ومن مطلعها فيقول[1]: «إن مثل هذا المطلع يُعدُّ عبثًا في ضوء معايير الشعر الجيد، وإذا صح أنّه يصلح لشيء فهو يصلح كمعرض لألفاظ التعجب والشكوى، ويمضي المتنبي في ذكر نسيب طويل فيه افتعال وتصنُّع وليس فيه طبع أو أصالة».

يقول الثعالبي عن هذه القصيدة[2]: «وهي بِرُقية العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك».

أما القصيدة الثانية فهي نونية أبي الطيب الشهيرة التي قالها في عضد الدولة التي، يقول في مطلعها[3]:

مَغَاني الشِّعْبِ طِيبًا في المَغَاني ... بِمَنْزِلَةِ الرّبيعِ منَ الزّمَانِ

ومنها:

وَلَكِنّ الفَتى العَرَبيّ فِيهَا ... غَرِيبُ الوَجْهِ وَاليَدِ وَاللّسَانِ
مَلاعِبُ جِنّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا ... سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بتُرْجُمَانِ

في هذه القصيدة يصف المتنبي شعب بوّان الجميل بأشجاره ومياهه فيرى أنه يفوق جميع المغاني في الدنيا كما يفوق الربيع سائر فصول السنة، ولكنه في هذا الشعب غريب بين أهله فوجهه ليس كوجههم، ويده ليست كأيديهم، ويقصد هنا السلاح الذي يحمله ليس كسلاحهم فهو يحمل السيف وهم يحملون الرماح، ولسانه غير لسانهم، فهو عربي اللغة، وهم يتكلمون اللغة الفارسية، ومع هذا فإن شعب بوان الجميل يشبه ملاعب الجن وقد كانت العرب إذا رأت شيئًا غريبًا أو أعجبهم شيء نسبوه إلى

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 503.
(2) **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** 146/1
(3) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 251

الجن، ومع ذلك فإن لغتهم غريبة لو أتى سليمان عليه السلام إلى هذا الشعب لاحتاج لمترجم برغم علمه بجميع اللغات. قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: 16].

يقول ابن كثير رحمه الله عن سليمان عليه السلام وإتقانه بعض اللغات[1]: «وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضًا، وهذا شيء لم يعطه الله أحدًا من البشر فيما علمناهُ مما أخبر الله به ورسوله» فهل قصد المتنبي أن كثرة الطير والعصافير في هذا المكان الجميل قد تحوج سليمان عليه السلام إلى ترجمان؟ وهذا فيه مبالغة كبيرة، أم قصد أن لغتهم غريبة تحتاج إلى مترجم لسليمان عليه السلام؟ وهذا ماعليه شراح الديوان. وفي هذه القصيدة نجد أن الشكعة رحمه الله كان منصفًا للمتنبي وهو يدرس الخصائص الفنية للقصيدة، فهو يشير إلى مواطن الجودة في القصيدة إذا كانت جيدة، ويشير إلى مستوى الهبوط الفني إذا حصل ذلك.

يقول مشيدًا بمطلع القصيدة، وبوصف الطبيعة في مطلع القصيدة[2]: «لقد أبدع أبو الطيب في هذا الاستهلال أيما إبداع، وبدأ يستعيد الثقة بنفسه كرئيس لمدرسة الفن الشعري في الأدب العربي، بل لعلّه لو استمر على هذا النحو من الإجادة في الصيغة والصورة والفكرة لوصل حاضره بماضيه المشرق اللامع الفينان».

وفي مقطع من مقاطع القصيدة يركّز الشكعة دراسته على ألفاظ المتنبي في القصيدة:

يقول أبو الطيب:

حَمَى أطْرَافَ فَارِسَ شَمّرِيٌّ   يَحُضّ على التّبَاقي بالتّفاني
بضَرْبٍ هَاجَ أطْرَابَ المَنَايَا   سِوَى ضَرْبِ المَثَالِثِ وَالمَثَاني

---

(1) **تفسير القرآن العظيم 3/473.**

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 509.

كأنّ دَمَ الجَماجِمِ في العَناصِي كَسَا البُلدانَ رِيشَ الحَيقُطانِ

يقول الشكعة عن هذا المقطع من القصيدة مركّزًا دراسته على الألفاظ[1]: «إنها ألفاظ غريبة غير شعرية يستعملها الشاعر، وهذا في حد ذاته أمر يفسد الشعر ويبعد به عن هدفه، بل عن اسمه، فألفاظ التباقي والتفاني أبعد ما تكون عن الشعر، والعناصي والحيقطان أبعد ما تكون عن الشعر، بل وعن النثر المقبول».

وفي نموذج آخر من قصائد المتنبي عند عضد الدولة يورد الشكعة ﷺ بعض الآراء التي يؤيد بها هبوط المستوى الفني لشعر أبي الطيب المتنبي في العراق العجمي.

يقول أبو الطيب في قصيدته[2]:

أثلِثْ! فإنّا أيّهَا الطّلَلُ نبْكي وَتُرْزِمُ تَحْتَنَا الإبِلُ
أوْ لا فَلا عَتْبٌ عَلى طَلَلٍ إنّ الطُّلُولَ لمِثْلِهَا فُعُلُ
لَوْ كُنْتَ تَنْطِقُ قُلتَ مُعتَذِرًا بي غَيرُ ما بكَ أيّهَا الرّجُلُ

هنا يخاطب المتنبي الطلل ويريد منه أن يكون ثالثًا له وللإبل، فهو يبكي والإبل تحنّ فيريد منه أن يشاركهما في هذا البكاء والحنين، وإن لم يفعل هذا الطلل فلا عتب عليه لأنه ليس من عادة الطلل البكاء على مثل ذلك، ولكن لو كان هذا الطلل ينطق لقال إن بي غير الذي بك من الحزن والأسى، وأحزانك بادية ظاهرة، وأمّا أنا فغير ذلك.

هذه القصيدة قيلت في مدح عضد الدولة ويذكر إحدى معاركه، التي لم يكن وصف المتنبي لها كوصف معارك سيف الدولة، والشكعة يذكر لهذا الوصف الضعيف الأسباب التالية[3]:

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 516.
(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 93
(3) انظر، **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 250.

1 ـ انحسار شاعرية المتنبي.

2 ـ المناسبة لم تكن كافية لتفجير صيغة حربية جيدة لديه.

3 ـ السرعة في إعداد القصيدة.

هذه المرّة الثانية التي يذكر فيها الشكعة رأيًا جريئًا في شعر المتنبي، فبعد أن ذكر أنّ قريحة الشاعر نضبت، كما أشرنا إلى ذلك في عرضنا لآرائه في قصائد المتنبي عند ابن العميد، ها هو يعود ويأتي برأي آخر حيث يصف شاعرية المتنبي بالانحسار؛ ولو افترضنا صحة الرأيين، لكان الأولى أن يصف شاعرية المتنبي بالانحسار أولًا عند ابن العميد، ثم يصفها بالنضوب عند عضد الدولة، فهذا هو التسلسل العملي، فالانحسار أولًا ثم يأتي النضوب، وما عبّر به الشكعة مخالف لهذا التسلسل، مع تحفظي عن هذين الرأيين من انحسار ونضوب شعر المتنبي مثلما بيناه سابقًا في دراسة الشكعة لقصائد المتنبي في ابن العميد.

ويجمل الشكعة رأيه في هذه القصيدة بقوله[1]: «هذا ولا زلنا على نفس الرأي الذي يقرر هبوط القصيدة المتنبية صوغًا ومعنى وحسن عرض بالمقارنة بسائر قصائده قبل أن يدخل العراق العجمي».

أمّا قصيدة الوداع التي ودّع بها أبو الطيب المتنبي عضد الدولة فيقول في مطلعها[2]:

فَدَى لكَ مَن يُقَصّرُ عَن مَداكا فَلا مَلِكٌ إذَنْ إلاّ فَدَاكَا

وَلَوْ قُلْنا فَدًى لكَ مَن يُساوي دَعَوْنَا بالبَقَاءِ لِمَنْ قَلاكَا

ومنها:

أرُوحُ وَقد خَتَمتَ على فُؤادي بحُبّكَ أنْ يحِلَّ بهِ سِوَاكَا

---

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 521.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 385.

وخاتمتها:

حـيـيٌّ مِـنْ إلـهـي أن يَـرانـي   وقَـدْ فـارقـتُ دارَكَ واْصـطَـفـاكَـا

في البيتين الأولين من مطلع القصيدة يدعو المتنبي لعضد الدولة بأن يفديه كل من يقصّر عن مداه، فجميع الملوك يقصرون عن مداه، وهم فداءٌ له ولو قال فداؤك من يساويك لكانت هذه دعوة لمن هجرك وتركك وهم أعداؤك؛ فهم أقل قدرًا منك ولا يساوونك، وفي هذه القصيدة من معاني الوداع الشيء الكثير، حيث يقول، إنني أتركك وقد ختمت على قلبي فلا يحل به سواك، وفي خاتمتها بين أنه يستحيي من الله عزّ وجل أن يراه مفارقًا لدار عضد الدولة وقد اصطفاه حسب زعم المتنبي.

إن الشكعة رحمه الله لا يخفي إعجابه بهذه القصيدة في عدّة مواضع، يقول عن المطلع[1]:

«إنّه استهلال لطيف فيه روح جديدة بعيدة عن التصنع الذي يغلب على استهلالات قصائد المتنبي لولا هذه الهفوة الصغيرة التي اقتضتها طبيعة الوزن في الفعل» يساوي «في البيت الثاني».

أما قوله:

أرُوحُ وَقد خَـتَـمـتَ عـلـى فُـؤادي   بـحُـبّـكَ أنْ يـحِـلّ بـهِ سِـوَاكَـا

فيقول عنه الشكعة[2]: «إنه أحد المعاني التي لا ينتبه إليها فكرة وصيغة إلا المتنبي، وهو معنى جليل على الرغم من غرابته».

وعن أبيات المتنبي التي يقول فيها:

لَـعَـلّ اللهَ يَـجْـعَـلُـهُ رَحِـيـلاً   يُـعِـيـنُ عـلـى الإقـامَـةِ فـي ذَرَاكَـا

فلوْ أنّي استَطَعتُ خفَضْتُ طرْفي   فَـلَـمْ أُبْـصِـرْ بـه حـتـى أرَاكَـا

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 530.

(2) نفسه، ص 531.

وَكَيفَ الصّبرُ عَنكَ وَقد كَفَاني   نَداكَ المُسْتَفيضُ وَما كَفَاكَا

يقول الشكعة [1]: «هذا شعر جميل مفرط في الرّقة، نفيس في محتواه، إن هذه المقطوعة الصغيرة من أرق شعر المتنبي» ويقول كذلك[2]: «ويمضي الشاعر على رسله في هذه القصيدة الثرية بنفيس المعاني المفعمة برفيق المشاعر، الفنيّة بألوان المذاق والطعوم، مطلقًا هذين البيتين العميقين اللذين شاء كثير من النقاد القدامى أن يجعلهما مع غيرهما من بعض ما ذكرنا علامة طيرة وإشارة هلاك وذلك في قوله»:

فَزُلْ يا بُعدُ عن أيدِي رِكَابٍ   لها وقعُ الأسنةِ في حشَاكَا
وأيًّا شئتِ يا طُرُقِي فكُونِي   أذاةً أو نجاةً أو هَلاكَا

أورد هذه المقولات للشكعة عن عمد، وذلك لأن هذه المقولات تفنّد رأيه في أن شعر المتنبي في العراق الفارسي قد نضب وانحسر كما ورد سابقًا، وهي في الوقت نفسه تعضد رأيي الذي خالفت فيه الدكتور الشكعة رحمه الله وهو: أنّ المتنبي لم ينضب شعره عند ابن العميد، ولم ينحسر عند عضد الدولة ولو عاش المتنبي لرأينا من روائعه الشيء الكثير وهذه القصيدة إحداها وآخر ما أثبت في الديوان، حيث كتبت بعد قصائده في ابن العميد ومن آخر ما كتبه في عضد الدولة.

ويختم الشكعة رحمه الله هذا المبحث برأيه قائلًا[3]: «وبعد: فإن الحقيقة التي لاشك فيها هي أن شعر المتنبي قد تدنى وضعف بعد مغادرته مصر أو بالأحرى بعد دخوله فارس» وهذا الرأي في نظري ليس على إطلاقه، نعم ضعف، ولكن رأينا بعض القصائد الرائعة الجيدة السبك والمضمون كما هو الحال في قصيدة الوداع لعضد الدولة.

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 532.
(2) نفسه، الصفحة نفسها.
(3) نفسه، ص 539.

ثانيًا: مطالع الكافوريات

مرّت حياة أبي الطيب المتنبي بمراحل عدّة، وذلك من خلال ترحاله وتنقله في عدد من الأمصار، ودخوله على عدد من الأمراء والملوك، ومدحه إياهم، فبعد أن مكث المتنبي في بلاط سيف الدولة قرابة تسع سنوات كانت من أغنى وأثرى مراحل حياته، وبعد أن بدأت الجفوة بين الشاعر الكبير ومضيفه بدأ يفكر في الرحيل، وفعلًا بدأ المتنبي في ذلك، وكانت وجهته مصر، إلى كافور الإخشيدي.

في هذه المرحلة من مراحل حياة المتنبي أنشد عدة قصائد بين يدي كافور الإخشيدي، وكانت هذه القصائد فيما بعد مثارًا للجدل من النقاد ودارسي شعر المتنبي، حيث اتسمت تلك القصائد بالتشاؤم، بل إن واحدًا من دارسي الأدب قد ألفّ مؤلفًا خاصًا في قصائد المتنبي، وقلب تلك المدائح التي قالها المتنبي إلى هجاء وهي: «رسالة في قلب كافوريات المتنبي من المديح إلى الهجاء». لحسام زاده الرومي، حيث جعل كل مَديحةٍ من مدائح المتنبي هجاء، يقول الرومي عن رسالته هذه[1]: «ومما شجعني أيضًا ما نقله بعض الشُّراح عن ابن جنيّ أن المتنبي قال له: لو شئتُ لقلبت الكافوريات كلها إلى الهجو».

إن الشكعة ﷺ من خلال دراسته لشعر أبي الطيب ومراحل حياته يقرر أن هناك خطأً شائعًا عند النقاد، ودارسي الأدب الذين اهتموا بدراسة قصائد المتنبي وخصوصًا قصائده في كافور الإخشيدي وهو أنهم دائمًا ما يرون ـ حسب قول الشكعة ـ أن هذه القصائد تدعو إلى التشاؤم وخصوصًا قصيدته التي ابتدأ بها مدائحه في كافور الإخشيدي.

---

(1) **رسالة في قلب كافوريات المتنبي من المديح إلى الهجاء**، عبد الرحمن حسام الدين زاده الرومي، دار صادر، بيروت، 1413هـ. 1993م، ص 40.

يقول المتنبي[1]:

كَفَى بِكَ داءً أنْ ترَى الموْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ المَنَايَا أنْ يكُنَّ أمانِيَا

تَمَنّيْتَهَا لمّا تَمَنّيْتَ أنْ تَرَى صَديقًا فأعْيَا أوْ عَدُوًا مُداجِيَا

كفى بك داءً عظيمًا أن ترى الموت شافيا، ويكفي من البلاء الذي أصابك أن تكون المنايا أمانيا، مع شدة هذه المنايا، وما فيها من مفارقة الدنيا ولم تتمنّ هذا الموت وهذه المنايا إلّا عندما طلبت صديقًا مخلصًا وفيًا، وعجزت أن تجده، أو أن تجد عدوًا مداجيًا ساترًا لتلك العداوة غير مظهر لها عند ذلك تمنيت تلك الأماني غير الجيدة.

نعود ونقول إن الشكعة يرى أن كثيرًا من دارسي شعر المتنبي يرون التشاؤم في قصائد المتنبي في هذه المرحلة وخصوصًا هذه القصيدة، وهو استهلال غير موفق في نظرهم يقول ﷺ[2]:

«وقبل أن نختم الحديث عن مدائح المتنبي في كافور ينبغي أن نلفت النظر مرة أخرى إلى ذلك الخطأ الذي وقع فيه كثير من دارسي شعر المتنبي وناقديه حين اتخذوا من استهلاله قصيدته البائية «كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا» قرينة على سوء رأى الشاعر في ممدوحه، وحجتهم أنه استهلال يدعو إلى التشاؤم والطيرة وهي في واقع الأمر استنتاج لا ينتهي إلى هذه النتيجة».

إن الشكعة ﷺ وقد عنون لذلك بعبارة[3]: «خطأ شائع حول استهلال الكافوريات»، فإن اعتراضه على النقاد والدارسين لشعر المتنبي حول مطالع الكافوريات يكمن في أن مجانبة الصواب والذوق في مطالع أبي الطيب المتنبي لم تكن مقتصرة على قصائده في مدح كافور الإخشيدي، وإنما كان ذلك ملازمًا له قبل وصوله إلى مصر ومدح كافور.

---

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 281

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 307.

(3) نفسه، الصفحة نفسها.

يقول الشكعة[1]: «ذلك لأن للمتنبي استهلالات كثيرة جانبها الذوق وتخلى عنها الرشد قبل أن يفد إلى كافور أو يراه قبل سنوات كثيرة».

إذن عدم التوفيق الذي يراه النقّاد والدارسون في استهلال المتنبي في أثناء وجوده في مصر لم يكن وليد تلك المرحلة وإنما كان سابقًا لها، وكذلك لاحقًا فيما يأتي من مراحل حياة أبي الطيب المتنبي.

إن الشكعة ﷺ يرى أن الاستهلالات غير الموفّقة، بل صدور القصائد التي كانت تمتلئ بمعاني الشؤم وذكر الموت واحتواء القبر لم تكن ظاهرة في استهلالات قصائد المتنبي إبّان وجوده عند كافور، وإنما كان هذا الأمر ظاهرًا جليًا في قصائد المتنبي في صباه، ويورد على ذلك بعض الشواهد من قصائد المتنبي ومنها: قصيدته التي قالها في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أوس بن الرضاء الأزدي، يقول في مطلع القصيدة[2]:

أرَقٌ عَلى أرَقٍ وَمِثْلي يَأرَقُ وَجَوىً يَزيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ

تراكم على الشاعر سهاد بعد سهاد، وليس غريبًا عليه ذلك السهادُ وليس عدم النوم فقط وإنما حزن متزايد وعبرة في العين تترقرق وتتردد في النزول فهو مشهد حزين باكٍ.

ومن الأبيات التي تدل على التشاؤم وذكر الموت قوله:

أبَني أبِينَا نَحْنُ أهْلُ مَنَازِلٍ أبَدًا غُرابُ البَينِ فيها يَنْعِقُ
نَبْكي على الدّنْيا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعَتْهُمُ الدّنْيا فَلَمْ يَتَفَرّقُوا

فهو يقول يا إخواننا نحن في هذه الدار أهل منازل، نذير الموت والفراق فيها دائمًا يصيح ونحن نبكي على الدنيا وهي دار فراق، فمهما جمعت لابد أن تفرّق وليس هناك من جماعة ألفت بينهم هذه الدنيا إلّا وقد

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 307.
(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 332

تفرّقوا، فهي دار تفرّق بعد اجتماع، وتشتت بعد ألفه. هنا تبدو معالم التشاؤم في هذه الأبيات وبعض أبيات القصيدة.

وعن نموذج آخر يقول الشكعة[1]: «ومن المدائح التي استهلها المتنبي بأبيات هي السوء بعينه قصيدته التي مدح بها محمد بن سيّار بن مُكرَم التميمي، لقد جمع المتنبي في أبيات الاستهلال معاني متضادة وموضوعات متنافرة، من فخر بنفسه، وضرب وبطش، وذم للزمان، وسخرية به، وتشكيك في وفاء الناس، ولعنهم جميعًا في هذا القول العجيب الذي لا يصدق القارئ كائنًا من كان أن هذا الشعر استهلال لقصيدة مدح».

يقول أبو الطيب في هذه القصيدة[2]:

أَقَلُّ فَعَالي بَلْهَ أَكْثَرُهُ مَجْدُ وذا الجِدُّ فيهِ نِلْتُ أم لم أنَلْ جَدُّ

سأطْلُبُ حَقّي بالقَنَا ومَشايخٍ كأنّهُمُ من طولِ ما التَثَموا مُرْدُ

ثِقالٍ إذا لاقَوْا خِفافٍ إذا دُعُوا كَثيرٍ إذا شدّوا قَليلٍ إذا عُدُّوا

يقول إن أفعالي قليلها وكثيرها مجد، وهذا الجهد والاجتهاد الذي أنا فيه سواء نلت أو لم أنل فهو جد وخط، ويبيّن أنّه سيطلب حقّه بنفسه وبأصحابه الذين من طول ما جربوا الحرب فهم ملثّمون، فلا ترى لحاهم فكأنهم مرد لا لحى لهم، فهؤلاء الأصحاب ثقال إذا لاقوا الأعداء من شدة وطأتهم عليهم، ويخفّون ويسرعون لنصرة من دعاهم، كثير إذا شدوا فهم يفعلون فِعال الكثير وإن كان عددهم قليلًا، فالواحد منهم يسدُّ مسد العدد الكثير من الرجال، فالشكعة يسوق هذه الأبيات وأمثالها، التي تحمل التشاؤم وسوء المطلع، ليؤكد أن هذا داء قديم لدى المتنبي، وليس كما يظنّه ويتوهمه بعض الدارسين والنقّاد أن هذه الظاهرة، وهي ظاهرة

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 309.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 1/ 373.

الاستهلال السيئة تدل على سوء رأي الشاعر في ممدوحه، فهي لم تظهر في مدائح المتنبي لكافور فقط، وإنما ظهرت في مدحه لأبي المنتصر الأزدي، ومحمد بن سيّار التميمي كما في الأبيات السابقة.

ويختم الشكعة رأيه بقوله[1]: «على أن حقيقة الأمر أن أبيات المتنبي في كافور لا تعني إلّا معناها الظاهر، وفي حالات خاصة قليلة حملت معاني أخرى مغايرة لظاهرها، ربما جاءت عفو الخاطر وليست عن سابق قصد وتخطيط، وأمّا اضطراب المعاني في أبيات الاستهلال وما تحمل من سمات الطيرة وعلامات التشاؤم فذلك داء قديم عند المتنبي عايشه وسايره طيلة أيامه ولم يبرأ منه حتى آخر حياته». والذي يبدو لي أنّ مع النقّاد والدارسين بعض الحق في انتقاد المتنبي، عندما ابتدأ أولى قصائده مع كافور وكانت يجب أن تكون مدحًا ـ حين ابتدأها بذلك المطلع «كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا» ولم يكتف بالمطلع والأبيات التي بعده، وإنما استمر في اثني عشر بيتًا دون ذكر لكافور، ولم يبتدئ المدح إلّا في البيت الثالث عشر، هذه أول قصيدة للمتنبي عند كافور، وهذا ملك ينتظر أن يُمدح، فلذلك ربما كانت نظرة بعض النقّاد والدارسين لبداية المتنبي مع كافور صحيحة وأنها غير موفقة. أما فيما يخصّ سوء المطالع وملازمتها للمتنبي وأنّ ذلك داء قديم عند المتنبي وأنّه لم يبرأ منه حتى آخر حياته كما يقول الشكعة، فإن هذا القول ـ في نظري ـ ليس على إطلاقه فقد رأينا قصائد للمتنبي ذات مطالع رائعة سواء إبّان وجوده في بلاط سيف الدولة قبل كافور أو إبان وجوده عند عضد الدولة، ونونيته ومطلعها في وصف شعب بوّان خير شاهد على ذلك، بل بشهادة الشكعة نفسه ﷺ كما رأينا عند الحديث عن المستوى الفني لعضديات أبي الطيب المتنبي.

---

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 312.

ثالثًا: معاصرو المتنبي ومآخذهم على شعره

لقد مرّت حياة أبي الطيب المتنبي بمراحل وأطوار عدة، جعلت منه واحدًا من أكثر الشخصيات الأدبية جدلًا بين النقّاد والدارسين. إن شخصية المتنبي وطباعها المختلفة من طموح، واستعلاء، وفلسفة، خلقت له كثيرًا من الحسّاد، وكثيرًا من المناوئين الذين ما فتئوا يتربصون به، ومع ذلك فإن المتنبي كان يثير الجدل كثيرًا بين معاصريه ودارسي أدبه، وما يزالون يختصمون فيه بين مؤيدٍ ومعارض له، وهو كما يقول عنه نفسه في هذا الأمر[1]:

أنامُ مِلءَ جُفوني عَن شَوارِدِها ويَسهَرُ الخَلقُ جَرّاها وَيَختَصِمُ

يريد أن ينام قرير العين عن الذي يبدعه من الغرائب والنوافر من الكلام، ولكن الخلق لأجل ذلك يسهرون ويختصمون في دراسة تلك الشوارد التي أبدعها.

أبو الطيب المتنبي غشي كثيرًا من مجالس الملوك والأمراء، بدءًا بمجلس الأمير الحمداني سيف الدولة الذي كان عامرًا بالعلماء والأدباء والشعراء وكذلك مجلس كافور الإخشيدي في مصر، وما كان يحفل به أيضًا من نخبة من أولئك العلماء والشعراء. وفي مصر كذلك حضر أبو الطيب بعض مجالس العلم في الفسطاط بمسجد عمرو بن العاص، وكذلك ما كان بينه وبين الورّاقين هناك وجلوسه معهم في دكاكينهم، ومن ثم حضوره مجلس ابن العميد الوزير الشاعر، وندوة عضد الدولة التي كانت تزخر بعدد من علماء اللغة والشعراء، أمثال: أبو علي الفارسي وابن جني، وبين هذه المجالس كانت تعقد بعض المناظرات التي كان المتنبي طرفًا فيها مثل: مناظرته مع الحاتمي، وكذلك ما حدث بينه وبين الشعراء والنقّاد واللغويين في العراق.

---

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 367.

إن كل تلك المراحل جعلت الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: قسم مؤيد للمتنبي مثل أبي الفتح ابن جني شارح ديوانه، وقسم معارض له مثل الحاتمي، الذي ألّف رسالة في نقد المتنبي، وكذلك العميدي الذي ألّف[1]: الإبانة عن سرقات المتنبي، وكذلك الصاحب بن عبّاد في مؤلَّفة: الكشف عن مساوئ المتنبي. وقسم ثالث يقف موقف المحايد مثل: صاحب «الوساطة بين المتنبي وخصومه» القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني الذي يقول[2]: «وما زلت أرى أهل الأدب ـ منذ ألحقتني الرغبة بجملتهم، ووصلت العناية بيني وبينهم ـ في أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي فئتين: من مطنب في تقريظه، منقطعٍ إليه بجملته منحطّ في هواه بلسانه وقبلهِ، يلتقي مناقبه إذا ذُكرت بالتعظيم ويشيع محاسنه إذا حكيت بالتفخيم، ويُعجب ويعيد ويكرر، ويميل على من عابه بالزّراية والتقصير، ويتناول من ينقُصُه بالاستحقار والتجهيل، فإن عَثَر على بيت مختل النظام، أو نَبِه على لفظ ناقص عن التمام التزم من نُصرة خطئه، وتحسين زلـله ما يزيله عن موقف المعتذر، ويتجاوز به مقام المنتصر. وعائب يروم إزالته عن رتبته فلم يسلِّم له فضله، ويحاول حطّه عن منزلةٍ بوّأه إياها أدبه؛ فهو يجتهد في إخفاء فضائله، وإظهار معايبه، وتتبع سقطاته وإذاعة غفلاته».

يقول الدكتور يوسف خليف[3]: «وأهم ما أخذه عليه القدماء خروجه على النحو واللغة والوزن في بعض أبياته والتعقيد المعنوي بسبب بعد استعاراته تارة، وغموض معانيه والتناقض والإحالة منها تارة أخرى، والتعقيد اللفظي نتيجة لغرابة لغته وتنافر كلماته، والخروج بالشعر عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة، ثم التفاوت في مستواه الفني، وأخيرًا مسألة السرقات».

---

(1) **الإبانة عن سرقات المتنبي**، لأبي سعد محمد بن أحمد العميدي، تقديم وتحقيق وشرح إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف بمصر.

(2) **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، ص 12.

(3) **في الشعر العباسي نحو منهج جديد**، يوسف خليف، دار غريب، القاهرة، ص 140.

إن الدكتور مصطفى الشكعة ﷫ بيّن من خلال دراسته للمتنبي بعض مآخذ معاصريه عليه ويبدأ ببيان السبب الذي جعل للمتنبي كل أولئك المناوئين[1]: «غير أن حسّاد المتنبي كانوا يشكلون أكبر عدد من الخصوم رُزئ بهم شاعر واحد، وإذا كان كل ذي نعمة محسودًا حسبما هو ذائع بين الناس عقيدة وتقليدًا، والمتنبي واحد من أصحاب النعم التي تتمثل في تفوقه ونبوغه؛ فإنه يتحمّل أيضًا جانبًا من مسئولية وقوعه في براثن الحسّاد لصلفه وغروره وتعاليه على شعراء زمانه، ومواصلة النيل من فنهم بالحق حينًا وبالباطل حينًا آخر هذا فضلًا عن تيهه بشعره وافتخاره بفنه إلى المدى الذي يجعل أوسع الناس صدرًا وأكثرهم تسامحًا يضيق به وينصرف عنه».

إذن الشكعة ﷫ يعزو كثرة مناوئي المتنبي، إلى أنه صاحب نعمة، وأنه صَلِف متعالٍ وكذلك إلى تيهه وافتخاره بفنّه.

إن الشكعة ﷫ يبدأ بما تعرض له المتنبي من نقد معاصريه في مجلس سيف الدولة الحمداني، ذلك المجلس الذي كان يضم عددًا كبيرًا من الشعراء والعلماء، يقول الثعالبي[2]:

«ويُقال إنّه لم يجمّع قطّ بباب أحدٍ من الملوك ـ بعد الخلفاء ـ ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر، ونجوم الدهر».

إن أول من أخذ على المتنبي في ندوة سيف الدولة هو الأمير نفسه، حيث كان يتمتع بروح نقدية لأبيات الشعر، فضلًا عن أنه كان شاعرًا.

فقد أنشد المتنبي قصيدته التي مطلعها[3]:

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأتي العَزائِمُ   وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 113.

(2) **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر 15/1.**

(3) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 378

فلما بلغ قوله:

وَقَفْتَ وَما في المَوْتِ شكٌّ لوَاقِفٍ كأنّكَ في جَفنِ الرّدَى وهْوَ نائِمُ
تَمُرّ بكَ الأبطالُ كَلْمَى هَزيمَةً وَوَجْهُكَ وَضّاحٌ وَثَغْرُكَ باسِمُ

فيقول له الأمير: قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتُقد على امرئ القيس بيتاه[1]:

كأنيَ لم أركبْ جوادًا للذّةٍ ولم أتبطّن كاعبًا ذاتَ خِلْخَالِ
ولم أسبأْ الزِّقَّ الرويَّ ولم أقُلْ لخيليَ: كُرّي كرّةً بعدَ إجفالِ

ولك أن تقول[2]:

وَقَفْتَ وَما في المَوْتِ شكٌّ لوَاقِفٍ وَوَجْهُكَ وَضّاحٌ وَثَغْرُكَ باسِمُ
تَمُرّ بكَ الأبطالُ كَلْمَى هَزيمَةً كأنّكَ في جَفنِ الرّدَى وهْوَ نائِمُ

وعلى أية حال فإني أرى أن انتقاد سيف الدولة لم يكن يمثل ذلك الرأي الحصيف، ولكن يبدو أنّه قاله لمجرد المشاركة، كما أنّ سيف الدولة لم يذكر موضع الانتقاد في بيتي امرئ القيس وإنّما ذكر البيتين دون تفصيل لذلك الانتقاد.

وفي مجلس سيف الدولة ينشد المتنبي قصيدة في رثاء أم سيف الدولة، ذلك المجلس الذي لم يكن أبو الطيب المتنبي معتادًا إلا أن ينشد فيه المدائح، فالبرغم من الإبداع الذي تعودناه من المتنبي في بلاط سيف الدولة، إلا أنه عندما أنشد قصيدته هذه التي يقول فيها[3]:

نُعدُّ المشرفيةَ والعَوَالي وتقتلُنا المَنونُ بلا قتالِ

يقول الشكعة رحمه الله[4]: «ولكن على الرغم من جودة هذه الأبيات

---

(1) **ديوان امرئ القيس**، دار صادر ـ بيروت ـ 1421هـ، 2000م، ص 143.
(2) انظر، **سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام**، مصطفى الشكعة، عالم الكتب ـ بيروت ـ ومكتبة المتنبي ـ القاهرة، ص 162 وما بعدها.
(3) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 8.
(4) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 103.

وتوفيق الشاعر في صوغ المعاني التي قصد إليها فقد تعرّض لحملة من النقد ضارية بلغت حدّ السخرية به، والنيل من ذوقه الفني والاجتماعي، وأنّه قد زجّ بنفسه فيما لا يحُسن بالغريب أن يعرض له إذا ما رثى امرأة أجنبية عنه».

في هذه القصيدة عدّة مآخذ أخذها النقّاد على المتنبي منها[1]:

قوله:

صلاةُ اللهِ خالِقُنا حنوطٌ على الوجهِ المكفَّنِ بالجمالِ

حيث ذكر مالا يحسن التعرض له هنا من ذكر جمال وجهها وهي امرأة غريبة عنه.

ومن ذلك قوله:

رواقُ العزِّ حولكِ مُسبطِرٌ ومُلْكُ عليّ ابنك في كمالِ

حيث أتى بكلمة «مسبطر» وهي لفظة غريبة في سياقها:

يقول الثعالبي[2]: «ولعلّ لفظة الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المتبر».

وكذلك قوله:

سَقَى مَثْواكِ غادٍ في الغَوادي نَظيرُ نَوَالِ كَفّكِ في النَّوالِ

لِساحيَةٍ على الأجداثِ حَفْشٌ كأيدي الخَيلِ أبصَرتِ المَخالي

في البيت الأول من هذين البيتين يدعو لها بأن يسقي قبرها سحاب يشبه عطاءها، وتلك السقيا تشبه نوالها وعطاءها، ويشبه ذلك المطر الذي وقع على الأرض بشدة وقع أيدي الخيل أبصرت المخالي وهي الأوعية

---

(1) **الكشف عن مساوئ شعر المتنبي**، للوزير أبي القاسم إسماعيل بن عباد المشهور بالصاحب، المتوفى عام 385هـ، مكتبة القدس، القاهرة، 1349هـ، ص 13.

(2) **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر 1/168.**

التي يكون فيها الشعير والتبن للخيل. وهذه الصورة ولا سيما في البيت الثاني فيها من الجلافة التي لا تصلح أن تكون في قصيدة رثاء.

وعن هذه المآخذ لا يخبرنا الشكعة ﷺ من الذين قدّموا تلك المآخذ على المتنبي في قصيدته، ولكننا نرى أن واحدًا ممن أفرد جزءًا كبيرًا للمتنبي يذكر أحد تلك المآخذ، وهو الثعالبي في يتيمة الدهر كما مرّ معنا ذلك. ومازال المتنبي في بلاط سيف الدولة وهناك ينشأ نقاش بين الأديب[1]ابن خالويه، والمتنبي حول مطلع قصيدة المتنبي.

وَفاؤكُما كالرَّبْعِ أشْجاهُ طاسِمُهْ بأنْ تُسعِدا والدّمْعُ أشفاهُ ساجِمُهْ

حيث نشأ النقاش حول كلمتي «أشجاه، وأشفاه»، وكان ابن خالويه يظنّ أنهما فعلان، ويأخذ ذلك على المتنبي ولكنّه يردّ عليه بأنهما أفعل تفضيل وليسا فعلين، ومن هنا ينشأ ما يشبه العداء بين المتنبي وابن خالويه حين أنشد المتنبي قصيدته الأخيرة عند سيف الدولة التي يقول في مطلعها[2]:

واحَرَّ قَلباهُ مِمَّن قَلبُهُ شَبِمُ وَمَن بِجِسمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ

ويستمر في تلك القصيدة وابن خالويه حاضر المجلس، يقول الشكعة[3]: «ويفيض الكيل بالأمير وهو يسمع هذا التعنيف الجريء من شاعر كان حتى الأمس يملأ الدنيا بمدائحه، ويلحظ ابن خالويه سخط الأمير فيجدها فرصة سانحة للانتقام من غريمه، فيضربه بمفتاح يشج رأسه ولكن الشاعر لا يتراجع عن المضي من إسماع الأمير قوارص الأبيات فيقذفه الأمير بمحبرة في وجهه، ولا يمضي غير قليل وقت

---

(1) الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان أبو عبد الله اللغوي النحوي من كبار أهل اللغة والعربية وأصله من همذان. (**معجم الأدباء**، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان الطبعة الثانية، 2009م ـ 1430هـ، 4/ 115).

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 362.

(3) **سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام**، ص 204.

حتى يهجر المتنبي حلب إلى مصر حيث يستأنف حياة جديدة صاخبة مع كافور الإخشيدي».

والذي يبدو لي أن حادثة ضرب المتنبي من ابن خالويه لم تكن في المجلس الأخير الذي قيلت فيه هذه القصيدة، وما لحظه ابن خالويه من تطاول المتنبي على الأمير، وإنما كانت في مجلس ضمهما مع سيف الدولة وكان النقاش حول مسألة لغوية، والدليل ما ذكره صاحب الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، يقول[1]: «قال عبد المحسن علي ابن كوجك: إن أباه حدثه قال: كنت بحضرة سيف الدولة وأبو الطيب اللغوي، وأبو الطيب المتنبي، وأبو عبد الله بن خالويه النحوي، وقد جرت مسألة في اللغة تكلّم فيها ابن خالويه مع أبي الطيب اللغوي، والمتنبي ساكت، فقال له سيف الدولة، ألا تتكلّم يا أبا الطيب، فتكلّم فيها بما قوّى حجة أبي الطيب اللغوي، وضعّف قول ابن خالويه. وأخرج من كمّه مفتاحًا حديديًا ليلكم به المتنبي، فقال له المتنبي: اسكت ويحك؛ فإنك أعجمي، وأصلك خوزي، فمالك وللعربيّة؟ فضرب وجه المتنبي بذلك المفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه، فغضب المتنبي من ذلك، إذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولًا ولا فعلًا، فكان ذلك أحد أسباب فراقه سيف الدولة».

والذي يظهر لي أيضًا أن هذا الموقف لم يكن سببًا في مغادرة المتنبي بلاط سيف الدولة، وإنما كان سببًا في إنشاء المتنبي لقصيدة الوداع «واحرّ قلباه» التي أسمع فيها سيف الدولة شيئًا من العتاب المرّ، الذي لم يكن سيف الدولة يتوقع أن يسمعه من شاعره المادح.

ومن بلاط سيف الدولة ينتقل المتنبي إلى مصر حيث كافور الإخشيدي الذي لم يكن مجلسه يخلو من الأدباء والشعراء، يقول الشكعة[2]: «ومن ثمّ فإننا نقرر أننا ونحن نتابع الجهد في التعرف على

(1) **الصبح المنبي عن حيثية المتنبي**، ص 87.

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 162.

الشعراء في مصر في العصر الإخشيدي قد وقعنا على أكثر من خمسة وأربعين شاعرًا مصريًا إخشيديًا غير الوافدين، وغير من امتد بهم العمر من شعراء الطولونيين فلحقوا بالعصر الإخشيدي وعاشوا فيه شطرًا من حياتهم، وانخرطوا في سلك عقد شعرائه، وشكلوا عددًا من نفيس حباته».

وكذلك ما كان من المتنبي من جلوسه في جامع عمرو بن العاص، والتقائه عددًا كبيرًا من الشعراء والأدباء والورّاقين.

لقد تعرّض المتنبي للنقّد من عالم من علماء مصر وهو سيبويه المصري حيث اعترض على بيت المتنبي الذي يقول فيه:

ومِن نكدِ الدّنيا على الحُرِّ أن يَرى عـدوًا لـه مـا مِـنْ صـداقـتِـه بُـدُّ

قال ابن زولاق وهو صاحب كتاب أخبار سيبويه المصري[1]: «وحدثني محمد بن الحسين الخوارزمي قال مررت بسيبويه يومًا وهو جالس في مسجد ابن عمروس وهو يقول: مدح الناسُ المتنبي في قوله:

ومن نكدِ الدنيا على الحُرّ أن يَرى عـدوًا لـه مـا مـن صـداقـتِـه بُـدُّ

وهذا كلام فاسد لأن الصداقة ضد العداوة والصداقة مأخوذة من الصدق ولو كان قال:

ومن نكدِ الدّنيا على الحُرّ أن يَرى عـدوًا لــه مــا مــن مــداراتِــه بُـدُّ

لكان أحسن وأجود».

يقول الشكعة[2]: «يرى سيبويه أن هذا المعنى لا يستقيم من حيث المنطق، إذ كيف يضطر المرء إلى مصادقة عدوه، والصداقة والعداوة ـ ضدان ـ لا يجتمعان؟ وكان سيبويه المصري يرى أن المعنى لا يصح إلا إذا جاءت صياغته على النحو التالي:

---

(1) **أخبار سيبويه المصري**، الحسن بن زولاق، مكتبة الأبحاث العلمية لنشر علوم العربيّة، ص 44.

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 326.

ومن نكدِ الدّنيا على الحُرِّ أن يَرى   عـدوًا لـه مـا مـن مـداجـاتِـه بُـدُّ»

ونلاحظ هنا أن الشكعة ﷺ يورد كلمة «مداجاته» بدلًا من مداراته التي ذكرها ابن زولاق في الكتاب الذي وقفت عليه.

هذا أحد المآخذ التي أخذها معاصرو المتنبي من أهل مصر أو من كان في بلاط كافور الإخشيدي، التي ذكرها الشكعة، وربّما يكون هناك مآخذ في هذه المرحلة ولكن الشكعة يكتفي بهذه من سيبويه المصري.

وبعد أن خرج الشاعر من مصر غاضبًا من كافور هاجيًا له، وبعد أن وصل إلى بغداد، كانت هناك واحدة من المناظرات[1] التي جرت بين المتنبي وأبي علي الحاتمي حيث اعترض عليه في مجموعة من الأبيات، ومن ثم يدافع المتنبي عن نفسه ويورد أبياتًا أخرى يرى أنها من جيّد شعره، ولكن الحاتمي ما يزال به حتى يذكر كلّ بيت ذكره وأنه أخذه أو سرقه عن شاعر سابق له، والمتنبي ينفي ذلك.

ومن المآخذ التي أخذها الحاتمي على أبيات المتنبي قوله:

ولاَ مَـنْ فِـي جَـنَـازَتِـهَـا تِـجَـارٌ   يَـكـونُ وَدَاعُـهُـمْ نَـفْـضَ الـنِّـعَـالِ

فيقول له أهكذا تمدحُ أم الملك؟ والله لو قلت هذا في أدنى عبيدها لكان قبيحًا.

وأخذ عليه قوله:

وإذا أَشَـارَ مُـحَـدِّثًـا فـكـأنَّـه   قِـرْدٌ يُـقَـهْـقِـهُ أوْ عَـجـوزٌ تَـلْـطُـمُ

فيقول له: أما كان في أفانين الهجاء التي تصرفت فيها الشعراء مندوحة عن هذا الكلام الذي تنفر منه الأسماع ويمجه كل طبع؟. وغيرها الكثير مما ورد في تلك الرسالة التي تعد من أشهر مآخذ معاصري المتنبي عليه.

---

(1) انظر، **نقد الحاتمي للمتنبي دراسة وتحليل**، د. ضيف الله بن هلال العتيبي، 1424هـ، ص 73 وما بعدها.

يقول الشكعة[1]: «ولكن ما الحيلة وللمتنبي سقطات في شعره استطاع حساده الكثيرون أن يحصوها عليه، وكان الحاتمي واحدًا من الذين سلّطوا عليها الأضواء فضلًا عن معانٍ أخرى عديدة ضمتها رسالته الحاتمية المشهورة التي حوت الكثير من النقد المستساغ وغير القليل من النقد المتهافت».

ومن ثم يرحل المتنبي من بغداد إلى أرَّجَان، وينشد ابن العميد شيئًا من شعره، وما كان من اعتراض ابن العميد على بعض أبيات قصيدته الرائية، كما بيّنّا في حديثنا عن العضديات في بداية هذا المبحث.

أما آخر المطاف وفي ندوة عضد الدولة، فلم تكن الاعتراضات قائمة على أشدها كما كان في السابق؛ في مجلس سيف الدولة، وفي مصر، وفي العراق، وعند ابن العميد.

إن العلاقة هنا كانت قائمة على الود بين أبي الطيب المتنبي وعلماء الندوة، بل إن بعضهم كان ينافح عنه، مثل أبي الفتح ابن جنّي الذي كان يدافع عن شعر المتنبي أمام إمام اللغة أبي علي الفارسي.

بل إن أبا علي الفارسي وجّه سؤالا ذات مرة للمتنبي قال فيه[2]: كم الجموع التي على وزن فِعْلَى؟ فأجابه المتنبي في الحال: حِجْلَى، وظِرْبَى. قال أبو علي الفارسي: فطالعت كتب اللغة ثلاث ليالٍ على أن أجد لهما ثالثًا فما وجدت.

وإن كان ما جرى في ندوة عضد الدولة لم يكن من باب المآخذ التي أخذها معاصرو المتنبي على شعره، إلا أنها تدل دلالة واضحة على ما كان يتمتع به المتنبي من مكانة عالية سواء كان ذلك في المجال الأدبي أو المجال اللغوي. وإذا كان الشكعة رحمه الله قد أورد بعض مآخذ معاصري

---

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص447.

(2) انظر، **الصبح المنبي عن حيثية المتنبي**، ص 143.

المتنبي على شعره، إلا أنني أرى أنه قد ركّز على ماحدث بينه وبين من ضمتهم المجالس الأدبية، ولم يذكر بعض ما كُتب عن مآخذ معاصري المتنبي على شعره؛ وذلك مثل ما كتبه الصاحب ابن عبّاد المتوفى سنة 385هـ في كتاب[1]: «الكشف عن مساوئ شعر المتنبي» وكذلك ما كتبه الحاتمي، فقد ذكر الشكعة مناظرة الحاتمي للمتنبي، وطرفًا من الرسالة الحاتمية؛ ولكنه لم يذكر ما حوته الرسالة الموضِحَة التي ألفها الحاتمي بعنوان[2]: «الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره» فهذان الكتابان يعدان من أشهر مآخذ معاصري المتنبي على شعره، وكلٌ من الصاحب بن عباد والحاتمي من معاصري أبي الطيب المتنبي.

(1) انظر، **الكشف عن مساوئ شعر المتنبي**، ص 5 وما بعدها.

(2) انظر، **الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره**، من كلام أبي علي محمد بن الحسن الحاتمي الكاتب، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم الجامعة الأمريكية بيروت، دار صادر، دار بيروت، بيروت ـ لبنان 1385هـ ـ 1965م.

الفصل الثاني

مناهج دراسة شعر المتنبي
عند مصطفى الشكعة

المبحث الثالث: المنهج الاجتماعي.

أولًا: الحياة الثقافية في بلاط سيف الدولة وأثرها في شعر المتنبي.

ثانيًا: البيئة المصرية وأثرها في شعر المتنبي.

ثالثًا: بيئة العراق العجمي وأثرها في شعر المتنبي.

الفصل الثاني

مناهج دراسة شعر المتنبي عند مصطفى الشكعة

لقد تنقل مصطفى الشكعة ﷺ في دراسته لشعر أبي الطيب المتنبي بين طرائق مختلفة ومناهج متعددة. فقد استخدم عدة طرائق في دراسته لشعر المتنبي متنقلًا في ذلك؛ من عقد الموازنة، التي وازن فيها بين المتنبي وأبي فراس الحمداني، وذلك من خلال شعر الرثاء، وشعر الفخر، وشعر الحرب، إلى دراسة القضايا، التي ركزّ فيها على أهم القضايا التي يراها بارزة في شعر المتنبي؛ فدرس قضية التجديد عند المتنبي، وقضية الفلسفة عنده، وقضية حجب المتنبي لبعض شعره، ثم درس الخصائص الفنية؛ وفيها درس المستوى الفني لقصائد المتنبي في العراق الفارسي وكذلك درس مطالع الكافوريات، وحاول تصحيح ما يراه هو خطأً شائعًا عند دارسي الأدب حول تلك المطالع، ثم درس مآخذ معاصري أبي الطيب المتنبي على شعره. وهذا ما أشرنا إليه في الفصل الأول من هذا البحث.

ونجد أن الشكعة ﷺ إضافة إلى أنه سلك طرقًا متنوعة في دراسته لشعر المتنبي، يستخدم عددًا من المناهج النقدية في دراسته لشعر المتنبي، وقد اقتصر على استخدام ثلاثة مناهج للدراسة، بما يخدم موضوعه. حيث إن التنوع في مناهج الدراسة يعطي ثراءً أكثر للدراسة، فقد شملت دراسته باستخدام المناهج جوانب لم تشملها دراسته للموازنة، والقضايا، والنواحي الفنية.

فقد استخدم المنهج التاريخي، والمنهج النفسي، والمنهج الاجتماعي، وذلك دونما ترتيب معين، وإنما كان استخدامه لنوع المنهج في كل مرحلة من مراحل حياة المتنبي حسب ما تقتضيه الدراسة.

وفيما يلي تفصيل الحديث عن كل منهج من هذه المناهج الثلاثة وكيفية استخدامه لها: فالمنهج التاريخي الذي استعمله الشكعة أداةً من أدوات الدراسة شمل شيئًا من مولد أبي الطيب المتنبي، ونشأته، ونسبه، إضافة إلى ما دار حول انتساب المتنبي إلى القرامطة، وكذلك الأمر الشهير في حياة أبي الطيب المتنبي وهو: تنبؤ أبي الطيب، وهل ادعى النبوة أم لم يفعل؟ إضافة إلى مصرع المتنبي والأحداث التي أحاطت بتلك القضية.

وأما المنهج النفسي الذي درس به الشكعة شيئًا من شعر المتنبي، فقد وجدت مفرداته مبثوثة في أثناء ما كتبه عن دراسته للمتنبي، وقد درس في ظل هذا المنهج: نفسية المتنبي قبل كافور، والقلق النفسي للمتنبي في أثناء وجوده في مصر، واستعلاء أبي الطيب المتنبي.

وآخر المناهج التي درس بها الشكعة شعر المتنبي: المنهج الاجتماعي، الذي تحدث فيه عن الحياة الثقافية في بلاط سيف الدولة الحمداني وأثرها في شعر المتنبي، وهي مرحلة من أغنى وأثرى المراحل الثقافية في حياة المتنبي، حيث مكث عند سيف الدولة ما يقارب التسع سنوات في بيئة زاخرة بالأدباء والشعراء والعلماء. وكذلك تحدث عن البيئة المصرية وأثرها في شعر أبي الطيب المتنبي، حيث عاش مرحلة من الزمن في مصر متنقلًا ما بين مجلس كافور الإخشيدي، وجامعة الفسطاط، وكذلك دكاكين الوراقين التي كان أبو الطيب المتنبي يذهب إليها ما بين مدة وأخرى، وآخر البيئات التي كان لها أثر في حياة المتنبي هي بيئة العراق الفارسي التي كان للمتنبي حضور فيها، سواء في بلاط الوزير الأديب ابن العميد، أو في ندوة عضد الدولة الملك البويهي التي كانت تزخر بعدد من العلماء.

كل المناهج التي استعملها الشكعة في دراسته لشعر المتنبي، لم يكن هو أول من وظفها في دراسة الشعر، وإنما هي مناهج في الدرس الأدبي سبق أن تم توظيفها من دارسي الأدب العربي عمومًا والشعر العربي خصوصًا.

المبحث الأول

المنهج التاريخي

المنهج التاريخي من المناهج النقدية التي عنيت بدراسة الأدب العربي، حيث يركز هذا المنهج على حياة الشاعر وأسرته ونسبه، ولعل من أبرز من درس شعر أبي الطيب المتنبي الدكتور طه حسين في كتابه: مع المتنبي[1] الذي درس المتنبي دراسة تاريخية، بدءًا من مولده حتى وفاته. وغير ذلك من دارسي الأدب العربي ممن اتخذوا المنهج التاريخي وسيلة من وسائل دراستهم للأدب والشعر العربي.

إذن فالشكعة ﷺ درس شعر أبي الطيب المتنبي وفق المنهج التاريخي في الدراسة الأدبية، وقد أشار في هذه الدراسة التاريخية لشعر المتنبي إلى ما يلي: أبو الطيب المتنبي، مولده ونشأته، ونسبه، ثم قرمطية أبي الطيب المتنبي، ثم مصرع المتنبي وعلاقة عضد الدولة بذلك. وسنعرض في هذا المبحث إلى كل أمر من هذه الأمور بالتفصيل، وذلك في ضوء ما ذكره الشكعة ﷺ في دراسته، مع الإشارة إلى بعض الآراء التي ذكرها النقاد والدارسون حول تلك الموضوعات، التي استخدموها في دراستهم للمتنبي وفقًا للمنهج التاريخي.

أولًا: أبو الطيب المتنبي: مولده، ونشأته، ونسبه

يذكر الشكعة ﷺ[2]: أن اسم أبي الطيب المتنبي هو: أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكوفي، وكان والده يعرف بعبدان السقاء.

---

(1) انظر، **مع المتنبي**، ص12

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 27.

ويعتمد في ذلك على كتاب: «الصبح المنبي عن حيثية المتنبي»، وقد وقفت على بعض من ترجم للمتنبي، ووجدت أنهم يتفقون مع الشكعة فيما نقله عن يوسف البديعي[1]، في اسم أبي الطيب المتنبي. ونجد أن الشكعة هنا كثيرًا ما يعوِّل على النقل والإحالة إلى المراجع الأدبية والمصادر التاريخية، ومادام الشكعة يسير في ذلك تحت مظلة المنهج التاريخي، فإنه في ــ نظري ــ لا تثريب عليه من كثرة الإحالات والنقولات، لأن هذه هي طبيعة المنهج التاريخي الذي سلكه الشكعة في دراسته لحياة المتنبي.

أما والده فقد ذكر الشكعة اختلاف كثير من الدارسين حوله، يقول[2]: «ولئن كان والده خامل الشأن الأمر الذي حدا ببعض الدارسين إلى أن يجعلوا منه لغزًا، ودفع ببعض آخر إلى أن ينكر وجوده أو يحط من شأنه لأنه كان يعمل سقّاءً».

ولم يذكر الشكعة من هم أولئك الدارسين الذين جعلوا منه لغزًا، أو أنكروا وجوده، ومع ذلك فإنني أرى أنه كان يشير إلى واحد من أشهر مَنْ درسوا المتنبي، وتعرضوا لهذه القضية، وهو الدكتور طه حسين في كتابه «مع المتنبي» الذي بناه على المنهج التاريخي، ودرس فيه المتنبي بدءًا من ميلاده واسمه، ونسبه حتى وفاته، حيث كان الدكتور طه حسين يشكك في نسب أبي الطيب المتنبي، وأنّه قد يكون ولد من سفاح، لأنه ولد في مدة النفوذ القرمطي في العراق، وهي مرحلة قتل وسلب ونهب وانتهاك للأعراض وهذا ما سنعرض له لاحقًا.

(1) انظر، **أمراء الشعر في العصر العباسي**، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، إعادة طبع 22، 2007م، ص 326. **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 22/ 230. **البداية والنهاية**، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى 774هـ، دار المعرفة بيروت، الطبعة الخامسة، 11/ 307.

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص27.

يقول طه حسين بعد أن تحدث عن مولد المتنبي وما يثار حوله[1]: «هذا كله يكفيني لأقتنع بأن مولد المتنبي كان شاذًا، وبأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ وتأثر به في سيرته كلها».

وأبوه عبدان السقاء، والسقاء لقب أبيه لأنه كان له بعير يستقي عليه. يقول محمود شاكر ﷺ[2]: «وكان أبوه الحسين سقاءً يسقي الناس على جمل له بالكوفة، وكان لقبه الذي يلقب به هو: عِبدَان السَّقَّاء. «أما مولد أبي الطيب المتنبي فقد ذكر الشكعة ﷺ أن هناك اتفاقًا بين مؤرخي ودارسي الأدب، وأصحاب التراجم على أن المتنبي قد ولد في الكوفة في حي كندة يقول الشكعة[3]: «من الأمور المتفق عليها في شأن أبي الطيب المتنبي أنه ولد في مدينة الكوفة في حي كندة في سنة ثلاث وثلاث مئة هجرية».

إذن فأبو الطيب المتنبي كوفي المولد، ولا خلاف على أنه قد ولد فيها، وأنه قد نشأ محبًا للعلم والأدب، والفضل يعود بعد الله عز وجل في ذلك إلى والده الذي كان رجلًا بسيطًا مغمورًا يعمل سقاءً عند من يرى أن عبدان السقاء هو والد أبي الطيب المتنبي، فوالد المتنبي كان له فضل في تكوين شخصية المتنبي الأدبية، حيث ارتحل به من الكوفة إلى بادية الشام، وتردد به على القبائل، حتى نضج أبو الطيب المتنبي وذاع صيته.

يقول الثعالبي[4]: «ذكر الرواة أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاث مئة، وأن أباه سافر إلى بلاد الشام، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها، ومن مدرها إلى وبرها، ويسلمه في المكاتب، ويردده في القبائل، ومخايله نواطق الحُسنَى عنه، وضوامن النجح فيه، حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب المتنبي وشعر وبرع».

---

(1) **مع المتنبي**، ص 25.

(2) **المتنبي**، 137.

(3) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين**، ص 27.

(4) **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، 1/ 111.

وينقل الشكعة هذا الرأي من الأديب الكبير أبي منصور الثعالبي في الرد على الدكتور طه حسين الذي يرى[1]: أن شعر المتنبي نشأ أول ما نشأ في العراق، وكذلك يستثمر هذا الرأي في إثبات أن والد أبي الطيب المتنبي هو عبدان السّقاء، وأنه لم يولد من سفاح كما يزعم الدكتور طه حسين. وهذا الرأي مهم في نظري لأن الثعالبي من الأدباء الذين كتبوا عن المتنبي، وكانوا قريبي عهد من حياة المتنبي، فقد توفي الثعالبي سنة 429هـ والمتنبي سنة 354هـ.

وعلى كل حال فإن المتنبي ظل يتنقل في بادية الشام ويزور ويمدح عددًا من الأعيان حتى استقر به المقام في بلاط سيف الدولة الحمداني.

أما نسب أبي الطيب المتنبي فقد كتب عنه كثير من دارسي الأدب ومؤرخيه، وقد ناقش الدكتور الشكعة هذه القضية مناقشة مستفيضة حيث ذكر أن هناك من يرى أن المتنبي ولد من سفاح، وأشهر من تبنّى هذا الرأي الدكتور طه حسين، بل وصل به الأمر في فترة من الفترات إلى أنْ عدّ ذلك سبقًا علميًا لم يُسبق إليه من قبل. يقول طه حسين[2]: «فقد اتهم الرجل في نسبه، وسئل عن أبيه وجده فلم يستطع، أو لم يرد، أن يجيب سائليه وآثر أن ينتسب إلى المجد والكرم والبأس» يقول الشكعة[3]: «وتمضي سنوات طوال بين الفترة الزمنية التي كتب فيها أستاذنا طه حسين كتابه هذا والفترة الزمنية التي تتلمذنا له خلالها في كلية الآداب في العقد الرابع من هذا القرن. فلا يغير من رأيه ولا يخفف من هجمته، وإنما ينتقل من التلميح إلى التصريح، ويمضي يكرر في محاضراته علينا أن المتنبي ابن سفاح مقرًا فيما يشبه الزهو بأنه أول من اكتشف هذا الأمر».

أما الرأي الآخر في نسب أبي الطيب المتنبي، فهو ما ذكره بعض

(1) انظر، **مع المتنبي**، ص34 وما بعدها.

(2) نفسه، ص 16.

(3) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 31.

الباحثين من نسبة أبي الطيب المتنبي إلى النسب الشريف من آل بيت رسول الله ﷺ. يقول الشكعة[1]:

«وعلى الجانب الآخر أيضًا وجد مذهب غالٍ حول نسب المتنبي، وإذا كان التطرف يستتبع التطرف، فإنه وجد بين الباحثين من قصد إلى الناحية الأخرى من الغلو، فذهب إلى أن المتنبي ليس إلا الابن الشرعي للإمام محمد المهدي القائم بالحجة ابن الإمام الحسن العسكري».

وقد ناقش الشكعة هذين الرأيين؛ حيث ناقش الرأي الأول الذي تبنَّاه الدكتور طه حسين، وهو ولادة المتنبي من سفاح، وأنه لا يُعرف من أبوه، ويورد الشكعة بعض المقولات التي تحدثت عن أبي الطيب المتنبي وأبيه، فيذكر ما قاله العالم الشريف أبو الحسن محمد بن يحي العلوي الزيدي[2]: «كان المتنبي وهو صبي ينزل في جواري بالكوفة، وكان يعرف أبوه بعبدان السقاء، يسقي لنا ولأهل المحلّة ونشأ وهو محب للعلم والأدب وكان عبدان والد المتنبي يذكر أنه من جعفَى، وكانت جدة المتنبي من أبوه همذانيَّة صحيحة النسب لا أشك فيها، وكانت جارتنا وكانت من صلحاء النساء الكوفيات «وعندما يزعم طه حسين أن المتنبي لم يذكر أباه في شعره وأن هذا دليل على عدم معرفة أبيه، يقول طه حسين[3]: «أكان المتنبي يعرف أباه؟ قال المؤرخون نعم، ولم يقل المتنبي شيئًا.

فأنت تقرأ ديوانه من أوله إلى آخره وتقرؤه مستأنيًا متمهلًا، فلا تجد فيه ذكرًا لهذا الرجل الطيب الذي أنجب للقرن الرابع شاعره العظيم».

ويرد عليه الشكعة[4]: «وتلك قرينة مهيضة الجناح، لأن العديد من

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 33.

(2) انظر، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463هـ**، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة 463هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 4/ 102.

(3) **مع المتنبي**، ص 2.

(4) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 32.

شعراء العربية الكبار لم يذكروا آباءهم في أخبارهم وأشعارهم. وهنا يحق للمرء أن يتساءل عن الموقف فيما لو طبّقنا القرينة التي ساقها طه حسين وجعلناها مقياسًا ومعيارًا؟ أيكون جميع هؤلاء الشعراء وغيرهم من أعلام التاريخ أبناء سفاح؟؟» وهذا ردّ سديد من الدكتور الشكعة على أستاذه طه حسين، فلماذا لم يذكر كل شاعر أباه؟ فهل يجوز فعلًا أن نشكك في نسبتهم لآبائهم؟

إنّ هذا ـ في نظري ـ امتداد ونتاج لمنهج الشك الذي انتهجه الدكتور طه حسين، والذي لم يكن شكًا يوصله إلى الحقيقة كما عند ديكارت، وإنما هذا المبدأ هو الذي جعله يشك في صحة الشعر الجاهلي، ومن ثم فليس بغريب أن يأتي الدكتور طه حسين برأي قد يخالف المألوف، ناتج من منهج الشك الذي اتبعه والذي يبدو لي أنه اتبعه بشكل غير صحيح.

وأما الرأي الآخر الذي يشير إلى انتساب أبي الطيب المتنبي إلى أبي الحسن العسكري وأنه أحد أحفاده.

يقول الشكعة[1]: «وإذا كنا قد عارضنا نظرية طه حسين في «سفاحية» مولد المتنبي فإن ثمة قرائن أيضًا تاريخية واجتماعية وسلوكية تباعد بين المتنبي وبين بيت النبوة، وتجعل المسافة شاسعة بينه وبين بيت الإمامة».

ويذكر من الأسباب ما يلي[2]:

أما التاريخية فتكمن في: أن الإمام محمد المهدي غاب وهو طفل صغير.

وأما الأسباب الاجتماعية والسلوكية فيذكر منها: البعد عن سلوك أبناء بيت الإمامة. وأنه شاع عن المتنبي البخل الشديد الذي لم يكن من

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 34.
(2) نفسه، ص 35 وما بعدها.

سمات أهل البيت، وكذلك تكسب أبي الطيب المتنبي بشعره ووقوفه على أعتاب الممدوحين.

هذه بعض الأسباب التي يرى الشكعة أنها دلائل وقرائن على ابتعاده عن نسب آل بيت رسول الله ﷺ، سواء اتفقنا معه أو لم نتفق.

ويختم الشكعة رحمه الله هذا المبحث بإيراد خلاصة رأيه فيه فيقول[1]: «ومجمل القول في هذا الفصل أن القول الفيصل فيه هو أن المتنبي موضع للتجني من قبل الذين شوَّهوا نسبه وجعلوه ابن سفاح، ومن قبل الذين حاولوا أن يجدوا له مكانًا في شجرة آل البيت، والحقيقة أن الرجل شاعر بارع نابه نابغة، ولد في بيت فقير لأب فقير، شأن كثير من العباقرة الذين يولدون في بيئات الفقر والحرمان، ومن المعروف أنه كان للمتنبي من الأعداء ما يصعب عدهم لكثرتهم، ولو عرفوا شيئًا من سقوط نسبه ما سكتوا عنه، فقد ثلبوه كثيرًا وعرّضوا بأخلاقه وسلوكه، وما استطاع واحد منهم أن ينال من أبيه أو أمه أو أسرته على الرغم من الفقر الذي كانت تتلفّع به، والحرمان الذي صاحب مولده وطفولته وصباه».

إن هذا الذي أورده الشكعة فيما يبدو أنه الصواب، ولو عرف خصوم المتنبي بنقص في نسبه لما توانوا في ذمه به، حيث إننا لو سلّمنا بأن مناظرة الحاتمي للمتنبي كانت مناظرة في سقطات المتنبي الشعرية فحسب، فإنني لا أشك أن أبا محمد المهلبي وزير معزّ الدولة الذي أراد من المتنبي أن يمدحه ولم يفعل، ثم أغرى به شعراء ندوته، أقول: إنني لا أشك أنهم لو عرفوا منقصة في نسبه لذاعت في أشعارهم وقصائدهم، ولاسيما أنهم من الشعراء الذين كان فيهم فحش وانحلال من أمثال ابن الحجاج، وابن سكرة الهاشمي.

---

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 40.

ثانيًا: قرمطيّة أبي الطيب المتنبي

إن الأطوار التي مرت بها حياة أبي الطيب المتنبي، كانت مثار جدل ونقاش بين كثير من دارسي المتنبي، فبعد أن دار الجدل حول نسبه نجد أن الجدل لا يزال مستمرًا حول قرمطيته وهل كان على علاقة بالقرامطة بأي شكل من الأشكال وكما سنرى لاحقًا، أن الجدل والنقاش والحوار بين دارسي الأدب دار حول تنبؤ المتنبي، وهل تنبأ فعلًا، أم ماذا؟

وبعد كل هذا وغيره من سيرة المتنبي وشعره، وكيف اختلف الناس فيها، نجد أن ابن رشيق القيرواني كان محقًّا عندما أطلق على المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس، حيث تحدث عن عدد من مشاهير الشعراء منهم المتنبي[1]: «وليس من المولدين أشهر اسمًا من الحسن أبي نواس ثم حبيب والبحتري، ويقال: إنهما أخملا في زمانهما خمس مئة شاعر كلهم مجيد، ثم يتبعهما في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز، فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وامرئ القيس في القدماء فإن هؤلاء الثلاثة لا يكاد أن يجهلهم أحد من الناس، ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس».

وقبل أن نورد ما ذكره الشكعة عن قرمطية المتنبي لابد من بيان وتوضيح مصطلح القرامطة، يقول صاحب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة[2]: «القرامطة حركة باطنية هدامة تنسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه وهو من خوزستان في الأهواز ثم رحل إلى الكوفة، وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت

(1) **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 89/1.**

(2) **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، مانع حمّاد الجهني، دار الندوة العالمية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الخامسة، 1424هـ. 2003م، ص 287.

والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية».

وعندما يعرض الشكعة ﷺ لقرمطية أبي الطيب المتنبي وكيف درسها، فإننا نجد أنه يستشهد بأقوال عدد من دارسي أدب المتنبي سواء كانوا عربًا أو مستشرقين، وكذلك يعرض لما ورد من مصطلحات للقرامطة في شعر أبي الطيب المتنبي، ثم يذكر أخيرًا كيف انقلب المتنبي على القرامطة.

فالدكتور عبد الوهاب عزام ﷺ يرى[1]: أن المتنبي لم يكن قرمطيًّا وأن هذه دعوى ينقصها الدليل. وأما الدكتور طه حسين في كتابه «مع المتنبي»[2]: فإنه يرى أن المتنبي كان قرمطيًّا ثم خانهم في آخر حياته فقتلوه.

وأما الدكتور محمد محمد حسين فهو يرى[3]: أن المتنبي عكس من ذلك وكان عدوًا للقرامطة. وأمّا الأستاذ محمود محمد شاكر فيرى أنّ المتنبي علوي النسب اضطره العلويون إلى ستر هذا النسب بعد أن فرّقوا بين أمه وأبيه.

يقول محمود شاكر[4]: «وكأني بالمتنبي في طريقه يظهر في القبائل والمدن أمر نسبه، ويذيع بينهم أنه علوي الأصل شريف النسب، محتالًا لذلك بالدهاء، مجتهدًا في اتخاذ العضد قبل أن يعلن أمره إعلانًا صريحًا لئلا يواقعه العلويون وينزلوا به كيدهم الذي يكيدون له».

---

(1) **ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام**، عبد الوهاب عزام، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1375هـ 1956م، ص 52.

(2) **مع المتنبي**، ص 375.

(3) انظر، **المتنبي والقرامطة**، الدكتور محمد محمد حسين، دار الرفاعي، الرياض.

(4) المتنبي، ص 222.

وأمّا المستشرقون الذين ذكرهم الشكعة وقد عرضوا لقرمطية المتنبي فهم[1]: ماسنيون وبلاشير، فماسنيون يقرر أن المتنبي كان قرمطيًا وهو بذلك يوافق الرأي الذي ذكره طه حسين، وأما بلاشير فقد ذكر أن المتنبي لم يكن قرمطيًا ولكنه تأثر بآراء القرامطة.

ويذهب الشكعة إلى موافقته رأي بلاشير، حيث يرى أن المتنبي لم يكن يسلم من مذهب القرامطة، وأفكارهم وخصوصًا في بداية حياته، ثم بدأ يتخلى عن ذلك الفكر تدريجًا حتى ترك ذلك تمامًا[2] يقول: «والرأي ــ عندنا ــ أن أبا الطيب لم يكن بمنأى عن الفكر القرمطي في مطلع عمره وبداية حياته الشعرية، فقد كان يتأثر بمعانيهم ويستعمل مصطلحاتهم، ثم بدأ يبتعد عن فكرهم ولكن يتبنى سلوكهم الدموي لفترة غير قصيرة من شبابه ثم أقلع عن ذلك تمامًا، وشرع يسخر منهم مع بداية اتصاله بسيف الدولة الحمداني وظل كذلك حتى نهاية عمره».

وهذا ما يدلل عليه الشكعة ﷺ حيث أورد أبياتًا من شعر المتنبي تبيّن معرفته بمصطلحات القرامطة، وكذلك بعض الأبيات التي تعضد رأي الشكعة الذي يذهب فيه إلى أن المتنبي قد انقلب على القرامطة في آخر أيام حياته بل وسخر منهم.

1 ـ المتنبي ومصطلحات القرامطة

إننا نجد أن أبا الطيب المتنبي لم يسلم شعره من بعض مصطلحات القرامطة وعلى الخصوص في أيام شبابه وذلك يتجلى في قوله[3]:

يا أيُّها المَلِكُ المُصفَّى جوهرًا من ذاتِ ذي الملكوتِ أسمَى مَنْ سَمَا
نورٌ تَظاهرَ فيكَ لاهوتيةً فتكادُ تعلمُ علمَ مَا لنْ يُعلمَا

(1) انظر، **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 44.
(2) نفسه، ص 45.
(3) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 30.

في هذين البيتين يمدح الملك ويصفه بأن معدنه من الجوهر الخالص الذي تولى الله عزّ وجل تصفيته بنفسه، ويخبره أنه قد ظهر فيك نورٌ إلهي، تكاد تعلم به الغيب الذي اختّص الله عزّ وجل بعلمه، وفي هذا مخالفه صريحة للمنهج العقدي السليم الذي يؤمن بأن الله عزّ وجل هو الذي يعلم الغيب وحده دون سواه.

وفي أبيات أخرى تبين نزعة القرامطة لدى المتنبي، يقول[1]:

كَذَا الفَاطِميونَ النَّدَى فِي بَنِانِهِمْ أعزُّ أمّحَاءً مِن خُطوطِ الرَّوَاجِبِ

أُنَاسٌ إِذَا لاَقَوا عِدىً فَكأنَّما سِلاحُ الَّذِي لاقوا غُبارَ السَّلاهِبِ

إِذا عَلَوِيٌ لَمْ يَكنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُو إلاّ حُجَّةٌ للنَّواصِبِ

هُوَ ابْنُ رسولُ اللهِ وابنُ وَصِيِّهِ وشِبْهَهُما، شَبَّهْتُ بَعَدَ التَّجَارِبِ

يقول الكرم ملازم لبنان الفاطميين، فهو لا يمكن أن يُمحى، فهو مثل خطوط الرواجب وهي مفاصل الأصابع التي لا يمكن أن تمحى تلك الخطوط منها.

فهم أناس شجعان لا يأبهون لعددهم فكان سلاحه غبار خيولهم، ويبيّن أن العلوي إذا لم يكن مثل طاهر الممدوح في التقى والورع، فإنه سيكون حجة على علي رضي الله عنه من قبل النواصب الذين نصبوا العداوة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حسب زعم المتنبي ـ وطاهر هذا هو ابن رسول الله وابن وصيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وشبهته بهما بعد أن جربته.

ومن العبارات التي سيطرت على شعر المتنبي، وخصوصًا في أيام شبابه عبارة سفك الدماء، التي هي في أساسها نزعة القرامطة الذين استباحوا الدماء والأموال والأعراض، حيث نجد أن أبا الطيب يذكر الدماء والقتل في كثير من شعره وخصوصًا في أيام شبابه وصباه حيث يشير في

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 1/ 152.

قصيدة له إلى ما حدث من القرامطة لحجاج بيت الله الحرام من قتل واستباحة أموال وأعراض يقول في مطلع القصيدة[1]:

ضَيفٌ ألَمَّ براسِي غَيرَ مُحتشِمِ والسَّيفُ أحْسنُ فِعلاً مِنهُ باللِّمَمِ

ومنها قوله:

بِكُلِّ مُنْصَلتٍ مَازالَ مُنْتَظِري حَتَى أَدَلْتُ لَــهُ من دولةِ الخدمِ
شَيخٌ يرى الصَّلواتِ الخَمسَ نافِلةً ويَستحلُّ دمَ الحجاجِ في الحرمِ

بعد أن وصف الشيب وأنه نزل برأسه دفعةً واحدة، فالسيف ووقعه في رأسه أهون عليه من هذا الشيب، وبين أنّه سيجعل الحرب قائمة بكل فارس حازم مازال ينتظره حتى يعطيه الملك من يد الخدم الذين لا يستحقونه، فهو ينتصر بفارس أو بسيف لا يرى العواقب، ولا يبالي بالقرامطة، ومن كثرة نزقه وجيشه يستحل دم الحجاج في الحرم. كما فعل ذلك القرامطة من قبل في عام 317هـ. وفي هذه الأبيات استنساخ للقرمطية في أحقر صورها من أبي الطيب المتنبي.

وعند ما قال[2]:

ومَنْ عَرَفَ الأيامَ معرفتِي بِها وبالناسِ رَوَّى رمحَهُ غيرَ رَاحِمِ
فَليسَ بِمرحُومٍ إذا ظَفِرُوا بِهِ ولا في الرَّدَى الجَارِي عليْم بِآثِمِ

والمعنى هنا أن من عرف الأيام والناس معرفته بهما، لما فيها من الخداع والغدر، فإنه يروّي رمحه بالطعن غير راحم لأحد، لأنهم إن ظفروا به لم يرحموه، وليس عليه إثم ـ حسب رأي الشاعرـ فيما يفعل بهم من الطعن والقتل وإرواء رمحه من دمائهم.

يقول الشكعة معلقًا على هذين البيتين[3]: «إن البيتين الأخيرين يمثلان

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 34.
(2) نفسه 4/ 112.
(3) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص51.

شريعة القرامطة إلى حدٍ بعيد، ولا نقول إنهما يمثلان شريعة الغاب، ذلك أن شريعة الغاب تدفع القوي إلى التغلب على الضعيف في أوقات متفاوتة، أما شريعة القرمطي فإنها تدعو إلى قتل الناس دائمًا وبشكل مستمر، لأن الناس جميعًا ـ في وجهة نظرهم ـ جديرون بالقتل حتى ولو لم يظهر منهم ما يُلحق بهم أذىً أو يُوقع بهم ضرًا».

2 ـ المتنبي ينقلب على القرامطة

يرى الشكعة رحمه الله أن حياة أبي الطيب المتنبي لم تكن على وتيرة واحدة فيما يخصّ علاقته بالقرامطة، فإنّه وإن كان معجبًا بالقرامطة في صباه، وبداية شبابه إلّا أن علاقته بهم قد تغيرت تمامًا وأصبح المتنبي ـ مضادًا للقرامطة ـ بعد اتصاله بسيف الدولة الحمداني وقد مدح سيف الدولة عندما انتصر على القرامطة عام 337هـ في قصيدة يقول في مطلعها[1]:

إلامَ طَمَاعِيةُ العاذلِ ولا رأيَ فِي الحُبِّ للعاقلِ

ومنها:

وجيشِ أمامٍ على نَاقةٍ صَحيحِ الإمَامةِ في البَاطلِ
فأقْبلْنَ ينحزْنَ قُدَّامَهُ نوافرَ كالنَّحْلِ والعَاسِلِ
إذا ما نظرتَ إلى فارسٍ تحيَّرَ عن مذهبِ الراجلِ
فظلَّ يُخضِّب منها اللِّحَى فتىً لا يُعِيدُ على النَّاصِلِ

فالمتنبي في هذه الأبيات يصف جيش الخوارج عندما لقيته الجيوش فإمامهم يركب على ناقة وإمامته صحيحة ولكنها في الباطل، ويصف جيوش الإمام وهي تهرب أمامه كهروب النحل من العاسل وهو الذي يشتار العسل، ويصف هيبة سيف الدولة وأنّه إذا ما نظر إلى أحد من فرسان الأعداء لم يستطع الذهاب والحركة على رجليه هيبة له، ومن شدة ضربه

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 21.

لهم خضب لحاهم بالدماء، فهي ضربة قوية لا تحتاج إلى إعادة مرة ثانية.

فهذه الأبيات تمثّل ـ كما يرى الشكعة ـ التحول في حياة المتنبي من مذهب القرامطة إلى الانقلاب ضدهم.

ويلخّص رأيه في هذه القضية وهي قضية هل كان المتنبي قرمطيًا فيقول[1]: «ومجمل القول أن أبا الطيب المتنبي كان قرمطي العقيدة في صباه الأول، قرمطي السيف والعزم ـ إن صحّ التعبير ـ في فترة طويلة من شبابه، ظلّ كذلك حتى لقي سيف الدولة بن حمدان على النحو الذي ذكرناه فيما سلف من سطور، فكان تحوّله الكبير الذي انتهى به إلى الناحية المضادة للقرامطة».

والذي أراه فيما يخص تحول المتنبي عن منهج القرامطة وانقلابه عليهم بعد اتصاله بسيف الدولة الحمداني إنما هو تحوّل مصالح لا أكثر وإن كان المتنبي يدّعي الوفاء لمن يصاحبهم حتى قال[2]:

خُلقت ألوفًا لو رجعتُ إلى الصِّبا لفارقتُ شيبي موجعَ القلبِ باكيا

إلا أن قوله هذا يخالف أفعاله، فقد رأيناه عندما اختلف مع سيف الدولة وغادر بلاطه وتوجه إلى مصر، رأيناه يعرّض به ويفضل كافور عليه حيث يقول:

قَواصِدَ كافورٍ توارِكَ غيرِهِ ومَنْ قَصَدَ البَحرَ استقلَّ السَّواقِيَا

فهذا انقلاب على سيف الدولة الحمداني، وكذلك لمّا لم يظفر بما أراد من كافور الإخشيدي انقلب عليه وهجاه هجاءً مرًا مقذعًا، فالذي يبدو لي أن المتنبي يميل حيث يجد مصالحه، وإنما انقلب على القرامطة لأنه قد أيقن أنهم صاروا ورقةً خاسرة، فلا غرابة أن ينقلب عليهم مادامت المصلحة تقتضي ذلك، وإن كانت نفسه ما زالت مليئة بمبادئهم،

---

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين**، ص 54.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 281.

والدليل ما كان يذكره من حثّ على القتل وسفك الدماء في قصائده عند سيف الدولة الحمداني.

ثالثًا: تنبؤ أبي الطيب المتنبي

لعل من أشهر القضايا التي لازمت الشاعر الكبير أحمد بن الحسين قضية ذلك اللقب الذي اشتهر به حيث لازمه لقب المتنبي فأصبح أمرًا لازمًا له يعرف به.

ولكن تنبؤ أحمد بن الحسين أخذ حيزًا كبيرًا، وجهدًا وفيرًا من دراسات دارسي الأدب العربي عمومًا، ودارسي أدب وشعر المتنبي خصوصًا، حيث أخذت هذه القضية حظّها من النقاش والدرس الأدبي، بين مؤيدٍ لتنبؤ المتنبي وفريق آخر معارض لهذه القضية. ولا شك أن أبا الطيب المتنبي كان رجلًا ذا مكانة عالية، ومنزلة رفيعة، جعلت منه موئلًا لآراء الدارسين والنقّاد.

و الذي يظهر لي أن المتنبي كان منذ صباه ذا نفسٍ متمردة، تواقة متطلعة إلى معالي الأمور، بل كان في كثير من الأحيان يسعى إلى تحقيق أهدافه الشخصية، وقد كان أول ذلك التمرد والخروج من أبي الطيب المتنبي في شبابه في بادية حمص.

يقول الشكعة عن هذا الخروج[1]: «والحق أن مؤرخًا واحدًا لم يشذ فيما يتعلق بهذا الخبر سواء أكان من قدامى المؤرخين أم محدثيهم. ولكن هناك خلافًا واضحًا بين جمهرة المؤرخين والدارسين حول طبيعة الخروج، وهل كان تمرّدًا أم ادعاء للنبوة».

وبالمنهج نفسه الذي دأب فيه الشكعة رحمه الله في دراسته للمتنبي وفق المنهج التاريخي يسفر عن آراء دارسي أدب المتنبي الذين تحدثوا عن هذه القضية.

---

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 57.

فالدكتور عبد الوهاب عزّام ﷺ يرى: أن أبا الطيب المتنبي لم يتنبأ وينفي ذلك الأمر، وأن الخبرين اللذين جاءا في يتيمة الدهر وتاريخ بغداد ليسا من الصراحة بحيث يحتجّ بهما.

والخبر الذي جاء في يتيمة الدهر في نظري أنه صريح للغاية في نسبة التنبؤ إلى المتنبي فقد ذكره الثعالبي صراحة بقوله(1): «ويحكى أنّه تنبأ في صباه وفتن شرذمة بقوة أدبه وحسن كلامه».

ويرى عبد الوهاب عزام أن المتنبي إنما لقب بهذا اللقب، بسبب تشبيه نفسه بالمسيح بين اليهود وبصالح في ثمود في بعض قوله(2):

مَا مُقامي بأرضِ نخلة إلاّ كمُقامِ المَسيح بِينَ اليهود
أنَا فِي أُمةٍ تداركَها اللهُ غريبٌ كصالحٍ فِي ثَمود

يذكر في البيت الأول أن إقامته في أرض نخلة وهي القرية القريبة من بعلبك كإقامة عيسى عليه السلام بين اليهود فهم أعداءٌ له، كما أن أهل أرض نخلة أعداء للمتنبي. وفي البيت الثاني بين أنه غريب في هذه الأمة لا يعرفون قدره كما كان صالح عليه السلام في قومه ثمود.

ثم يستعرض الشكعة رأي الأستاذ محمود شاكر الذي يرى(3): أن المتنبي لم يتنبأ، ويفنّد ما نسب من أخبار، وإنما كان ذلك بسبب ذكره الأنبياء في شعره، ولأنه شبه نفسه بهم، ويرى أن هذا اللقب لم يطلق على المتنبي إلّا بعد خروجه من السجن بسنوات.

ومن الذين عرضوا لهذه القضية الدكتور طه حسين حيث يرى أن العداوة التي كانت تحيط بأبي الطيب المتنبي إنما هي بسبب أن المتنبي قد

(1) **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** 113/1.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 1/ 319.

(3) انظر، **المتنبي**، ص 199 وما بعدها إلى ص 213.

تنبأ وأن قرآنًا قد أنزل عليه[1]، وعندما يناقش الشكعة هذه القضية يقول: إن تلقيبه بالمتنبي أمر ثابت ويشهد على ذلك الكلام أحد المقربين من أبي الطيب المتنبي الذي شرح ديوانه ولازمه فترة من حياته، وهو ابن جني حيث يقول ابن جني[2]: «سمعت أبا الطيب يقول إنّما لقبت بالمتنبي لقولي

أنا تِربُ النَّدَى وربُّ القَوافِي وسِمامُ العِدا وغيظُ الحَسُودِ

أنا في أمةٍ تداركَها اللهُ غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ»

إذن هذا اللقب ثابت كما يرى الشكعة ولاسيما أنّه أدلى بهذا الكلام لابن جني في آخر حياته بعد أن بلغ شأوًا عظيمًا. ويورد رأي أبي العلاء المعري في هذا الأمر، وهو أحد المعجبين بالمتنبي، حيث يرى أن المتنبي تحدث عن سبب اللقب فقال[3]: «هو من النّبوة، أي المرتفع من الأرض».

ومن خلال اختلاف رأيي أبي العلاء المعري، وابن جني في سبب التسمية يستنتج الشكعة ضعف الروايتين حول اللقب ولاسيما أنهما من أكثر المعجبين والمفتونين بالمتنبي.

ثم يورد رأيًا آخر لأبي علي الفارسي[4]، وهو أن المتنبي سئل على من تنبأت؟ قال: على الشعراء. فقيل له كل نبي له معجزة. فما معجزتك؟ قال هذا البيت:

ومِنْ نَكدِ الدُّنيا على الحُرِّ أن يَرَى عَدوًا لهُ ما مِنْ صَداقتِهِ بُدُّ

وعندما نقرأ أبيات المتنبي التالية التي قالها في استعطافه لأمير حمص عندما سجن، فإن الشكعة يتساءل لمَ يتوب هذا الشاعر إلّا أن يكون أذنب

(1) انظر، **مع المتنبي**، ص 99.

(2) **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، 1/ 131

(3) **الصبح المنبي عن حيثية المتنبي**، ص 66.

(4) نفسه، ص 64

ذنبًا كبيرًا وهو ما يعطي مؤشرًا قويًا على ادعاء النبوة يقول المتنبي[1]:

بِـيَـدِي أيُّـهـا الأمـيـرُ الأريـبُ   لا لـشـيءٍ إلاّ لأنِّـي غَـرِيْـبُ
أو لأمٍ إذا هِـيَ ذكَـرتْـنِـي   دَمُ قـلـبٍ فِـي دَمـعِ عـيـنٍ يـذوبُ
إنْ أكُـنْ قـبـلَ أنْ رأيـتُـكَ أخـطـأ   تُ فـإنـي عـلـى يـديـك أتـوبُ

ورد ذكر التوبة في هذه الأبيات، والتوبة لا تكون إلّا من ذنب أذنبه الشاعر وهو ادعاؤه النبوة.

يقول الشكعة[2]: «هذا والذي يستعرض ديوان المتنبي ويستقرئه ويقف على ما فيه من تمرّد وتهور واستماتة في طلب المجد، لا يستبعد أن يقدم على ادعاء أي شيء يدفع به إلى المجد الذي سعى إليه».

ويؤيد الشكعة كلامه حول تنبؤ المتنبي بما قاله كافور الإخشيدي عندما كان المتنبي يأمل أن يوليه كافور ولاية، وقد ماطل في ذلك، فسئل عن ذلك فقال[3]: «إنه في سوء الحال وعدم المعين سمت نفسه إلى النبوة، فإن أصاب ولايةً وصار له أتباع فمن يطيقه؟».

ويختم الشكعة رحمه الله بحقيقة تشي بتأكيد ادعاء المتنبي للنبوة، وهي أن قضية ادعاء المتنبي كان مسرحها مدينة سَلَمْية، التي كانت معقلًا للباطنية الإسماعيلية.

يقول الشكعة[4]: «إن خروج أبي الطيب المتنبي في مثل تلك البقعة من الأرض بين أصحاب مثل تلك العقيدة الغالية، يدفع الباحث إلى التوصل إلى طبيعة ذلك الخروج ذي الطابع الديني المتطرِّف في عقيدته،

---

(1) **العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي**، ناصيف اليازجي، دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية، 1431هـ، 2010م، 1/ 18.
(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 71.
(3) **الصبح المنبي عن حيثية المتنبي**، ص 117.
(4) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 72.

المسرف في باطنيته، الأمر الذي لا يجعل المتنبي بريئًا مما نسب إليه من ادعاء للعلوية ثم ادعاء النبوة».

والذي أراه أن الشكعة ﷺ قد وُفّقَ في استقصاء آراء دارسي أدب المتنبي ومن خلالها استطاع أن يضعنا في الصورة الكاملة للمؤيدين والمعارضين لقضية تنبؤ أبي الطيب.

رابعًا: مصرع المتنبي وعلاقة عضد الدولة بذلك

بعد رحلة طويلة من حياة أبي الطيب المتنبي حافلة بالمثيرات والمغامرات، والترحال من بلدٍ إلى آخر، ومن بلاط أمير إلى بلاط أمير آخر، وفي السابع والعشرين من عام أربعة وخمسين وثلاث مئة للهجرة لقي أبو الطيب المتنبي مصرعه على مقربة من دير العاقول[1] وبهذا تكون قد انطوت صفحة من أشهر صفحات شعراء أدبنا العربي، الذي جعل الدارسين للأدب العربي يولونه عنايةً فائقة، وذلك لما أبدعه من قصائد خلّد بها نفسه كلّ هذه السنوات.

لقد درس كثير من النقّاد ودارسي الأدب العربي شعر المتنبي، واختلفوا فيه، وذهبوا فيه كلّ مذهب، اختلفوا في نسبه، وادعائه النبوة وفي بعض قصائده، وفي سبب خروجه من بلاط سيف الدولة، وكذلك اختلفوا في طريقة موته، والأسباب الداعية إلى ذلك المصرع، كلّ ذلك وشاعرنا تحت الثرى ولم يخطئ عندما قال[2]:

أنامُ ملءَ جفُوني عَنْ شَوَارِدِهَا ويَسهرُ الخَلقُ جَرَّاها ويَختصمُ

لقد كان الشكعة ﷺ من أولئك الدارسين الذين تعرّضوا لقضية مصرع أبي الطيب المتنبي، فبعد أن استقر المقام بشاعرنا في بلاط

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 538.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 367.

عضد الدولة رأى أن يذهب إلى الكوفة ليلحق ببعض أهله ثم يعود إلى شيراز مقر عضد الدولة.

ولكنَّ أبا الطيب المتنبي كان يخفي في نفسه شيئًا، وكأنّه يشعر بدنوّ أجله كما يظهر من تلك القصيدة الأخيرة التي قالها في وداع عضد الدولة[1]:

فَدىً لكَ مَنْ يُقصِّرُ عن مَدَاكَا ... فَلا مَلِكٌ إذنْ إلا فَدَاكَا

يقول الشكعة[2]: «لقد كانت هذه القصيدة مدحًا لعضد الدولة ووداعًا له، كما كانت تحمل بين ثناياها معاني تشير ـ بغير قصد ـ إلى نهاية حياة الشاعر».

لقد استعرض الشكعة رحمه الله هذه القصيدة وبين من خلال بعض أبياتها أن المتنبي كان يحسُّ بمصرعه، وبدنو أجله، وأن شعورًا غريبًا كان يختلج في نفسه حول نهاية حياته حيث يرى[3]: «أن مطلع القصيدة على عمقه وبراعة نبوغه يشي بقدر كبير من التطير لاستهلاله بالفداء في بدء المصراع الأول وختام المصراع الثاني».

وفي أبيات أخرى من القصيدة يرى الشكعة أنها من الأبيات التي تنبئ بالمصير الحزين يقول المتنبي:

أرَى أسَفِي ومَاسِرْنَا بَعِيدًا ... فَكَيفَ إذا غَدَا السَّيرُ ابْتِراكَا

وهَذا الشَّوقُ قَبلَ البَيْنِ سَيفٌ ... فَهَا أنَا مَا ضُرِبْتُ وقَدْ أحَاكَا

إذا التَّودِيعُ أعرضَ قَالَ قَلبِي ... عَليْكَ الصَّمتَ لا صَاحبْتَ فَاكَا

ولَوْلا أنَّ أكثرَ مَا تَمنَّى ... مُعاوَدةٌ لقُلْتُ ولا مُنَاكَا

قَدْ اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ ... وأقْتَلُ مَا أعَلَّكَ مَا شَفَاكَا

---

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 385.

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص530.

(3) نفسه، ص 535.

فالشاعر شديد الأسف وهو لم يسر بعد، فكيف إذا أسرع في السير فهو في شوق وهذا الشوق عليه مثل السيف يقطعه ولم يُضرب به، وأمّا إذا حان وقت الوداع فإن قلبه يقول متأسفًا اصمت لا تنطق بهذه الكلمة، ولولا أن ما يتمناه قلبه هو الرجوع والعودة إلى خدمة عضد الدولة لرد عليه وقال: ولا مناكا أي ولا ما تتمناه، ويستمر في مخاطبة قلبه حيث يقول إن كنت قد كتمت شيئًا أهلكك، فإن هذا الشوق هو الذي أهلكك.

يقول الشكعة عن هذه الأبيات[1]: «ويقع البصر على مجموعة من الأبيات عدتها خمسة يمسك بعضها برقاب بعض، يوحي كل منها ـ فضلًا عن جميعها بأسف الفراق المصاحب لشوق متحقق قبل الرحيل، مع احتواء لألفاظ غلاظ من أمثال «الصمت» و«الضرب» و«السيف» و«الداء» و«القتل» مما يغرس في ضمير القارئ أن مصيبة ما متربصة بالشاعر، يدلي بألفاظها ولا يفصح عن سرها لا عن معرفة واضحة ولكن عن إحساس خفي».

لقد ذكر الشكعة بعض الألفاظ في هذه الأبيات التي تدل على أسف الفراق وهذه من المرات القلائل التي يركز فيها الشكعة على المفردة في القصيدة فهو غالبًا ما يمرُّ على الأبيات التي يعرضها بشكل عام ولا يركز على المفردة ودلالتها إلّا في القليل النادر مثلما فعل هنا.

وبعد أن أورد ما يوحي بمصرع المتنبي، واستشهد على ذلك بشيء من شعره، أورد بعض الأقوال التي جاءت في حادثة مقتل المتنبي ومنها: أن عضد الدولة كانت له صلة مباشرة بمصرع أبي الطيب المتنبي، وإن كان ظاهر الأمر أن الذي قتله هو فاتك الأسدي انتقامًا منه لقصيدة قالها في ابن أخته ضبَّة بن يزيد العتبي، هجا فيها المتنبي ضبّة وأمه.

ومن ذلك أن عضد الدولة الملك البويهي، لمّا مدحه المتنبي، أعطاه ثلاثين ألفًا وقال له[2]: امضِ وأحضر عيالك، وكان عضد الدولة قبل ذلك

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 536.
(2) نفسه، ص 538.

أكرمه بثلاثة آلاف دينار، وثلاث خُلع، كل خلعة سبع قطع، وثلاثة أفراس كل فرس بسرج محلّى، ثم دسّ عليه من يسأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة، فقال المتنبي هذا أجزل إلّا أنه عطاءٌ متكلف، وسيف الدولة يعطي سجيّة، فغضب عليه عضد الدولة وأذن لقوم من بني ضبّة فقتلوه».

وإن كان الشكعة يرى أن هذا الخبر يدعو إلى الإثارة وإلى مزيد من التروي على الرغم من أن المصدرين اللذين ذكرا الخبر يصعب تجاهلهما، وهذان المصدران هما: «الوافي بالوفيات» لصلاح الدين الصفدي و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لعبد الرحمن بن علي الجوزي.

إلا أنني وقفت على كلام لمحمود شاكر أرى أنّه يعضد الرأي القائل أن عضد الدولة له يد في مقتل المتنبي، يقول محمود شاكر(1): «والظاهر أن عضد الدولة كان قد علم بكل ذلك الذي يكاد به أبو الطيب ففضَّل أن يرفع يده عن دمه، فأغرى بعض أتباعه بأن يوقع في نفس أبي الطيب المتنبي شيئًا من الخوف والرعب، فيخفَّ أبو الطيب للرحلة عن شيراز، ويبتعد عن دياره ليلقى حتفه في مكانٍ آخر». وعند الرجوع إلى أحد المصدرين وهو كتاب الوافي بالوفيات، لم أجد الخبر مثلما ذكره الشكعة مفصلًا.

وإنمّا ذكر(2) «ولمّا فارق مصر قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة ابن بويه فأجزل جائزته، ورجع من عنده قاصدًا بغداد ثم الكوفة في شعبان لثمان خلون منه فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في عدة من أصحابه وكان مع المتنبي جماعة أيضًا فقتل المتنبي وابنه محسّد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية بمكان يقال له الصافية وقيل عند دير العاقول».

(1) **المتنبي**، ص 390.

(2) **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1420-2000م 6/ 296.

إذن والحال هذه فقد كان عضد الدولة على علم بما يكاد للمتنبي، وعندما أرسل من يستعجله للرحيل، فكأنما كان يريد التخلص منه، مع أنّه كان قادرًا على حمايته والذود عنه، كل هذا يعضد الرأي القائل بأن لعضد الدولة يدًا في مصرع أبي الطيب المتنبي.

ومن الأقوال التي يوردها الشكعة عن مصرع المتنبي قول لطه حسين حيث يرى في إشارة عابرة أنّ الذين قتلوه هم القرامطة، بسب ارتداده عن مذهبهم.

يقول الدكتور طه حسين[1]: «أمَّا أن الذين قتلوه كانوا من القرامطة، فشيء لا أستبعده» مع العلم أنه يقر بأن الذي قتله فعلًا هو فاتك الأسدي خال ضبّة يقول[2]: «وما أدري، إذا كان ضبّة الكلابي داعية من دعاة القرامطة في الكوفة، فما الذي يمنع خاله الأسدي أن يكون متأثرًا بهذه الدعوة أيضًا».

إن الشكعة ﷺ لم يعرض لكل الآراء التي وردت في حادثة مصرع المتنبي، ومن تلك الآراء ما كتبه محمود شاكر حيث يرى أنّه لما خرج من عند عضد الدولة، وكان عارفًا بما يكاد له، ويرى أن بني أسد وبني ضبّة هم من قتل أبا الطيب في دير العاقول بسبب أنّه هجاهم عندما انتصر عليهم سيف الدولة الحمداني. وقد كان هذا الهجاء سببًا في حقد بني أسد وبني ضبّة عليه ثم مقتله على أيديهم.

يقول محمود شاكر[3]: «وكان قد بلغه طرف من أخبار الكيد الذي يكاد به، عرف ما يريده عضد الدولة وما يراد به، ولذلك أشار في آخر قصيدة مدحه بها وهو مفارق له في أول شعبان سنة 354 هـ إشارات كبيرة منها قوله:

(1) **المتنبي**، ص 375.
(2) نفسه، الصفحة نفسها.
(3) **المتنبي**، ص 390.

ومَـنْ يَـظُّـنُّ نَـثْـرَ الـحَـبِّ جُـوُدًا وينصبُ تَحتَ مَا نَثَرَ الشِّبَاكَا»

محمود شاكر يرى أن مقتل المتنبي كان بسبب الهجاء القديم الذي هجا به بني سعد وبني ضبة، عندما انتصر عليهم سيف الدولة يقول عن ذلك[1]: «وقد هجاهم أبو الطيب في مدحه لسيف الدولة في تلك السنة، وكان ذلك المدح وهذا الهجاء سببًا في أن أحفظ عليه هؤلاء القوم من بني أسد وبني ضبّة «بل إنّ محمود شاكر لم يكتف بإيراد هذا الرأي، وهو مقتله بسبب هجائه لهم عندما انتصر عليهم سيف الدولة، ولكنّه يفنّد الرأي الذي أورده الشكعة سابقًا، وهو أن قتله كان على يد فاتك الأسدي انتقامًا منه لقصيدة قالها في ابن أخته ضبّة بن يزيد العتبي، ونال فيها نيلًا شديدًا من المهجو وأمه، يقول محمود شاكر عن ذلك[2]: «أمّا ما يروونه من السخف، في حكاية مقتله بسبب القصيدة التي أولها»:

مـا أنـصـفَ الـقـومُ ضَـبَّـة وأمَّـهُ الـطُّـرطـبَّـةْ
وإنَّـمَـا قُـلْـتُ مَـا قُـلْـتُ رَحْـمَـةً لا مَـحَـبَّـةْ

إلى آخر الفحش القبيح الذي ورد بها، فلنا في نقده ونقضه وجوه لا نطيل القول بها هنا».

على أن محمود شاكر يرى رأيًا آخر وهو أنه كان لكافور الإخشيدي دور في مصرع المتنبي، وذلك فيما يبدو انتقامًا لهجائه إياه.

يقول بعد أن تحدث عن بني أسد وبني ضبّة[3]: «وليس يبعد أن يكون كافور هو الذي أمدّهم بالمال ليقتلوا الرجل، وتوسط له في ذلك أصحابه من أهل العراق العباسيين أو الفاطميين».

هكذا كان عرض الشكعة ﷺ لحادثة مصرع المتنبي، حيث ذكر

(1) **المتنبي**، ص 390.
(2) نفسه، ص 391.
(3) نفسه، ص 391.

بعض الأقوال وناقشها، ولم يذكر بعض الأقوال التي وردت عند بعض مؤرخي ودارسي الأدب.

والذي أراه أن هذه القضية حدث تاريخي لا تحتمل الاجتهادات وإنما تعتمد على ما جاء في كتب التاريخ والأدب، يوردها صاحبها ويعضدها بالأحداث التي يرى أنها تؤيد ما يذهب إليه في حادثة مصرع أبي الطيب المتنبي.

وعلى أية حال، وكيف كان مصرع المتنبي، ومن فعلها، ومن له المصلحة في قتل الشاعر الكبير؟ فإن الساحة الشعريّة والأدبيّة قد فقدت واحدًا من ألمع نجوم الشعر العربي في وقت كان قادرًا على العطاء والإبداع، ولو قدر له أن يعيش أكثر من هذا العمر فربما رأينا من الإبداع الشيء الكثير، ولا أدل على ذلك من قصيدته الكافيّة التي قالها في وداع عضد الدولة.

رحم الله أبا الطيب المتنبي فقد عاش ومات وهو مالئ الدنيا وشاغل الناس.

المبحث الثاني

المنهج النفسي

بعد أن درس الشكعة ﵀ شعر المتنبي مستخدمًا المنهج التاريخي الذي اعتمد على دراسة الأحداث والوقائع التاريخية في حياة أبي الطيب المتنبي، نجد أنه يستخدم منهجًا آخر من مناهج الدراسة الأدبية وهو المنهج النفسي، الذي يعتمد على ما كان يحيط بالشاعر من أحداث نفسية في أثناء كتابته للشعر، بل يعتمد أيضًا على سلوك الشاعر وتصرفاته في أثناء مراحل حياته المختلفة، وما كان يعرض للشعراء من حالات حزن وفرح وغنى وفقر، تتأثر بها النفس البشرية للشاعر، ومن ثم ينعكس ذلك على تصرفاته وسلوكه، معبرًا كل ذلك عن حالته النفسية التي كان يعيشها.

ولعل من أوائل الذين أشاروا إلى النواحي النفسية لدى الشعراء، وتأثيرها في شعرهم ابن قتيبة حيث قال[1]: «وللشعر دواعٍ تحث البطيء، وتبعث المتكلِّف: منها الطمع ومنها الشوق ومنها الشرابُ ومنها الطرب ومنها الغضب».

ومن هنا نجد أن ابن قتيبة ﵀ يشير إلى أشياء ترتبط بنفسية الشاعر، فهو يقعّد للمنهج النفسي وإن كان لا يشعر أن هذه الأمور ستكون ضمن لبِنات لمنهج مستقل في دراسة الأدب وهو المنهج النفسي، إن الطمع، والشوق، والشراب، والطرب، والغضب، كلها أشياء ترتبط بالنفس البشرية وحالاتها، إذا استثنينا منها الشراب.

(1) **الشعر والشعراء**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار إحياء العلوم، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، 1412هـ 1991م، ص34.

وأما المنهج النفسي في العصر الحديث فكانت بدايته بشكل منظم مع بداية علم النفس وصدور مؤلفات العالم: سيغموند فرويد الذي أسس نظرية التحليل النفسي، واستعان في ذلك بدراسة الإبداع في الأدب والفن، كتجليات للظواهر النفسية،[1] وهذا ما يجعل فرويد المؤسس لهذه النظرية النفسية، أما ما قبله فتعد كلها إرهاصات لهذه النظرية.

وإن كنا لم نجد أن الشكعة ﷺ قد أفرد مبحثًا مستقلًا لاستخدامه المنهج النفسي في دراسة شعر المتنبي، إلا أننا نجد أن استخداماته لهذا المنهج في الدراسة مبثوثة، في ثنايا كتاباته عن أبي الطيب المتنبي. فنجد أنه مرة يدرس نفسية أبي الطيب المتنبي قبل وصوله إلى مصر، وما مرّ عليه قبل وصوله إلى هناك من أحداث أثرت في نفسيته، ونجده مرة ثانية يدرس نفسية المتنبي في أثناء وجوده في مصر، وما صاحب ذلك من أحداث وتطلعات وآمال للشاعر، مما انعكس على نفسية أبي الطيب المتنبي، ونجده مرة ثالثة يدرس صفة استعلاء أبي الطيب، تلك الصفة التي تكاد تكون ملازمة له طوال حياته.

أولًا: نفسية المتنبي قبل كافور

لقد تقلبت الحياة بأبي الطيب المتنبي قبل وصوله إلى بلاط كافور الإخشيدي، وتعرض فيها لكثير من الدسائس والمؤامرات من حساده وخصومه، مما جعل شاعرنا الكبير أبا الطيب المتنبي يعيش في كثير من هذه المراحل، في قلق واضطراب.

لقد درس الشكعة نفسية أبي الطيب المتنبي قبل أن يصل إلى بلاط كافور الإخشيدي في مصر، حيث يرى أن الشاعر عندما وصل إلى هناك كان ذا نفسية مليئة باليأس، وهذه المرحلة إنما هي امتداد لما كان يعانيه

(1) انظر، **مناهج النقد المعاصر**، صلاح فضل، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ، ص 64.

المتنبي من قبل، يقول[1]: «كانت بداية المرحلة المصرية من حياة أبي الطيب المتنبي مليئة باليأس، وكانت مشاعره حافلة بالأسى».

ويستشهد على ذلك بقول المتنبي في آخر قصيدة قالها، يقول في أحد أبياتها[2]:

إذا ترحَّلتَ عَنْ قَومٍ وَقَدْ قَدَرُوا   أن لا تُفارِقَهم فالرَّاحِلونَ هُمُ

فالشكعة يقول عن هذا البيت[3]: «إن من يتدبر أعماق هذا البيت يحس أنه يحمل من المعاني المتزاحمة والمشاعر المتطاحنة فوق ما تحمله ألفاظه».

وقد بدأ باستعراض نفسية المتنبي عند سيف الدولة لأنها ستكون مدخلًا للحديث عن نفسيته عند وصوله إلى مصر وبلاط كافور الإخشيدي تحديدًا.

على أنني أرى أن الشكعة لم يستقصِ كل المواقف والأحداث التي حدثت للمتنبي في أثناء بقائه في بلاط سيف الدولة الحمداني حيث اكتفى بالحديث عن قصيدته الميمية، التي كانت آخر قصيدة أنشأها أبو الطيب المتنبي عند سيف الدولة، يقول المتنبي[4]:

واحــرّ قَلبَاهُ مِمَّنْ قلبُهُ شَبِمُ   وَمَنْ بجِسمِي وحَالي عِنـدَهُ سَقَمُ

وإن كنت أوافق الشكعة ؒ في إيراد هذه القصيدة شاهدًا على ما كان يعانيه المتنبي من أشياء تجول في نفسه من حسرة وألم وشعور بخذلانه من سيف الدولة، إلا أنه لا ينبغي إغفال بقية القصائد التي قالها في مدة استمرت ما يقارب من تسع سنوات، التي بلا شك تصور أشياء كانت في نفسيته.

---

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص261.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 372.

(3) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، 261

(4) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 362.

وعندما مدح المتنبي علي بن إبراهيم التنوخي قبل أن يتصل بسيف الدولة نلحظ أنه يُبين في شعره عن شيء مما في نفسه، وهو أنه كان يرى أنه أحق بالملك من كثير من الملوك، فهو كثيرًا ما يمجّد نفسه على الملوك وهذه حالة ملازمة له، حيث الاعتداد بالنفس وتمجيدها، يقول الشكعة متحدثًا عن هذا الأمر[1]: «تلك هي طبيعة المتنبي من اعتزاز بنفسه يصل به إلى حد الغرور الذي يجعله يتبنى موقف الاستعلاء على الناس جميعًا».

ويعود الشكعة إلى سيف الدولة والمتنبي حيث يرى أن مفارقة المتبني لسيف الدولة تمثل مأساة بالنسبة إلى الشاعر[2] «فكانت مفارقته له تمثل منعطفًا مأساويًا في سيرة الشاعر الكبير».

ويرى الشكعة رحمه الله أن المتنبي دخل مصر بحالة نفسية سيئة نظرًا لما تعرض له من قبل. يقول[3]: «بهذه الروح المهيضة دخل المتنبي مصر، وبتلك النفس الممزقة دلف أبو الطيب المتنبي إلى ساحة كافور، ينظر إليه نظرة قريبة من لون جلده».

بهذا يختم الشكعة رحمه الله حديثه عن نفسية أبي الطيب المتنبي قبل كافور مختصرًا الحديث عن نفسيته عند فراق سيف الدولة، وكذلك بعض الصفات التي كانت ملازمة له وظهرت في بعض قصائده.

والذي أراه أن الشكعة رحمه الله قد ترك كثيرًا من المواقف التي حدثت قبل دخول المتنبي إلى مصر، والتي تمثل شيئًا من الجوانب النفسية لدى الشاعر، مثل سجنه، وكذلك موت جدته، وخروجه من بلد إلى آخر حتى استقر به المقام لدى سيف الدولة.

كل هذه الأحداث أرى أنها تمثل شيئًا من الجوانب النفسية لدى

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، 265.

(2) نفسه، ص 266.

(3) نفسه، الصفحة نفسها.

المتنبي التي أبان عنها في شعره، ولم يذكرها الشكعة ﷺ ضمن حديثه عن نفسية المتنبي قبل كافور.

وكذلك أرى أن الشكعة كان ينبغي له ذكر الأسباب التي أثّرت في نفسية المتنبي، التي من أبرزها ـ في نظري ـ تشكيك الناس في نسبه، ونشأته فقيرًا، وحادثة سجنه، وادعاؤه النبوة وما ترتب على ذلك، كل هذا من الأسباب المهمة والجوهرية التي تشكلت في ضوئها نفسية أبي الطيب المتنبي.

ثانيًا: القلق النفسي للمتنبي في أثناء وجوده في مصر

عندما توجه أبو الطيب المتنبي إلى مصر قاصدًا حاكمها كافور الإخشيدي، وكان قد غادر بلاط سيف الدولة الحمداني بعد أن حدثت تلك الفجوة بينه وبين سيف الدولة، فلقد ترك بلاط الأمير الحمداني وهو في حالة نفسية غير جيدة؛ غادر ذلك البلاط وهو يشعر بخيبة أمل، وذلك أن أميره الذي طالما أحبه ومدحه، ورافقه في معاركه وحروبه، قد تخلى عنه، ولم ينصفه من أعدائه وحساده، الذين كان يمتلئ بهم مجلس سيف الدولة، لقد دخل المتنبي إلى مصر، واتصل بحاكمها كافور الإخشيدي، والتقى فيها كثيرًا من العلماء في مسجد عمرو بن العاص، وبرغم ما لقيه من حفاوة وتكريم من كافور الإخشيدي، إلا أن القلق مازال مسيطرًا على نفسية المتنبي، يقول الشكعة عن حياة المتنبي في مصر وما كان يعيشه من قلق واضطراب نفسيين[1] «على أن ذلك كله لم يمنع المتنبي من أن يعيش في مصر حياة مشحونة بالهموم، بعيدة عن الرغد النفسي ولعل من الإنصاف أن نذكر أن كافورًا الإخشيدي لم يكن مسئولًا عن قلق المتنبي في مصر؛ وإنما كان المتنبي نفسه مسئولًا عن ذلك، فإن المتنبي كان يرى نفسه أحق بالملك والإمارة من كثير من ملوك زمانه وأمرائه».

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 262.

لقد كان لذلك القلق النفسي عند المتنبي في مصر ـ رغم رغد العيش ـ مظاهر متعددة، كانت بمثابة المؤشرات التي تدل على أن الشاعر الكبير وإن كان ينعم بعيش رغيد إلا أنه يعاني قلقًا نفسيًا تجلت مظاهره في عدة أمور منها:

الشعور بالذنب

حيث كان أبو الطيب المتنبي يأمل أن يظفر في مصر بولاية، ولكنه يدرك بعد أن عاش مدة من الزمن في مصر أن تلك الولاية بعيدة المنال، صعبة التحقق، ومن خلال هذا الواقع يشعر بالذنب مرتين؛ المرة الأولى لفراقه سيف الدولة، بعد أن وصل إلى مصر، والمرة الثانية يزداد هذا الشعور بعد أن أدرك أنّ الولاية بعيدة المنال.

يقول الشكعة في حديثه عن المتنبي في مصر[1]: «فالرجل حاد المزاج في أصل تكوينه، شديد الطموح فيما رسمه لنفسه من نهج الحياة، واسع الأمل، شديد الإلحاح على أن يظفر من زيارته لمصر بإمارة أو ولاية، هذا فضلًا عن شعوره بالذنب الذي كان ملازمًا له لفراقه سيف الدولة.

ويعاود المتنبي الشعور بالذنب نفسه بعد أن عاش في مصر فترة من الزمن، وحين أحس أن الولاية التي يتوق إليها ليست قريبة إليه بالقدر الذي أمّله».

إن هذا الشعور بالذنب يتجلى في بيتي أبي الطيب المتنبي، وفي قصيدته التي قالها في مصر التي مطلعها[2]:

أُغالِبُ فيكَ الشَّوقَ والشَّوقُ أَغْلَبُ وأعجبُ مِنْ ذا الهجرِ والوصلُ

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 334.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 1/ 176.

والبيتان هما:

وللهِ سَيْرِي ما أَقَلَّ تَئِيَّةً عَشِيَّةَ شَرْقيّ الحَدالى وغُرَّبُ
عَشِيَّةَ أَحْفَى الناسِ بِي مَنْ جَفَوْتُه وأهدَى الطَّرِيقَينِ الذي أتجَنَّبُ

فهو يخاطب كافورًا في هذه الأبيات، وأنه يغالب فيه الشوق ولكن الشوق يغلبه، ويعجب من طول ذلك الهجر الذي حصل، وأعجب من هذا الهجر، ذلك الوصل الذي حصل بينه وبين كافور، ثم يصف سيره إلى كافور وسرعته، وقلة مكثه في ذلك المشي الذي كان فيه الموضعان الحدالَى وغرّب، على الجانب الشرقي منه، وقد كان أحفى الناس عنده، مَن تركه وهو سيف الدولة، وكان هناك خيار وهو أن يعود إليه ولكنه، اختار الطريق الآخر إلى كافور.

على أنني أرى أن هذين البيتين اللذين استشهد بهما الشكعة لا يعبران عن الشعور بالذنب بقدر ما يعبران لكافور الإخشيدي عن مدى حب الشاعر له، وتفضيله على من كان يحتفي به ويكرمه، وأن الطريق كان إليه ميسرًا للعودة، ولكنه اختار كافور على الأمير الحمداني.

ومن مظاهر القلق النفسي لدى المتنبي في مصر، اليأس والقنوط:

يقول أبو الطيب المتنبي في أبيات من قصيدة قالها إبَّان وجوده في مصر[1]:

بِمَ التَّعَلُّلُ لا أهْلٌ ولا وطَنُ ولا نَدِيمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنُ
أريدُ منْ زمَنِي ذا أنْ يُبَلِّغَنِي ما ليسَ يَبلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ
لا تلقَ دهرَكَ إلا غيرَ مُكترِثٍ ما دامَ يَصْحَبُ فِيْهِ روحَكَ البَدَنُ
فمَا يَدُومُ سُرورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ ولا يَرُدُّ عليكَ الفَائِتَ الحَزَنُ

في هذه الأبيات شكوى من الغربة عن الأهل والوطن والأحبة

(1) ديوان أبي الطيب المتنبي، 4/ 233.

والندماء، وكعادة المتنبي في الطموح والتطلع إلى المعالي يريد من الزمن أن يبلّغه الأماني التي لم يبلغها الزمن من نفسه، ويوجه إلى عدم الاكتراث للحوادث ما دامت هناك حياة باقية في جسدك، ويرى أن السرور لا يدوم وكذلك لا يرد الحزنُ الأمرَ الذي فات وانتهى.

هذه الأبيات أرى أنها تعبر عن شيء ما بداخل الشاعر، وتكشف لنا عن نفسيته في مصر، تلك النفسية التي مرت بعدة مظاهر ذكرنا شيئًا منها، وسنذكر بقية تلك المظاهر إن شاء الله تعالى حسب ما درسها الشكعة ﷺ.

الأبيات السابقة يقول عنها الشكعة[1]: «إن الذي يمعن النظر في هذه الأبيات يرى ظلالًا من اليأس فيها وشيئًا من القنوط في حواشيها، ولكنها مع ذلك إلى الحكمة أقرب، وإلى طبيعة البشر أدنى وأنسب، وهي ضرب من ضروب التفريج عن نفسه المتأرجحة بين الاستقرار والقلق «ومن مظاهر القلق النفسي للمتنبي في مصر: التعاسة التي كان يعيشها هناك برغم توفر أسباب العيش الرغيد له في مصر، ولكن هذه التعاسة لم تكن إلا بسبب ما يعتلج في نفس المتنبي من الطموح والتطلع إلى الإمارة، وكذلك السخط الذي كان يلازمه بسبب حكم كافور الإخشيدي لمصر بعد أن كان عبدًا مملوكًا؛ فبدأ المتنبي ينفّس عن نفسه معبرًا عن تلك التعاسة في قول من الحكمة يقول الشكعة مستشهدًا ببعض أبيات المتنبي[2]: «إن هذا الجانب التعيس من حياته في مصر أو بالأحرى التي شاء لها أن تكون تعيسة يلهمه هذا القول الحكيم في تقييم الحياة وتحسين الخير، وتقبيح الشر».

يقول المتنبي[3]:

صَحِبَ النَّاسُ قبلَنَا ذَا الزَّمَانَا وعَنَاهُمْ فِي شَأنِهِ مَا عَنَانَا
وتَوَلَّوا بغُصَّةٍ كلُّهُمْ مِنْـ ـهُ وإنْ سَرَّ بَعضَهُمْ أحْيَانَا

---

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 335.
(2) نفسه، ص 336.
(3) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 239.

ومنها :

ومُرادُ النُّفُوسِ أصْغَرُ مِنْ أنْ نَتَعادَى فِيهِ وأنْ نَتَفَانَا

وَلَوْ أنَّ الحياةَ تبقَى لحيٍّ لعَددْنْا أضَلَنَا الشُّجْعَانَا

يوضح المتنبي أن الناس من قبل قد صحبوا الزمان وعاشوا فيه، وأتعبهم الزمان بما فيه من متاعب مثلما أتعبنا، فنحن وهم قد أهمنا ذلك الزمان، ومع أنهم قد صحبوا الزمان إلا أنهم ماتوا بغصة حيث لم يبلغوا ما كانوا يؤملون برغم أنه سر بعضهم أحيانًا على أنه قد كدرهم أكثر مما سرّهم، ويذكر أن مطالب النفوس أصغر من أن يعادي بعضنا بعضًا، أو أن نتقاتل فيه، وكأن المتنبي يأخذ كلامه في هذا البيت من حديث الرسول ﷺ[1]: الذي يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه[2] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالي».

ويبين أن الحياة لا تبقى لا لشجاع ولا لجبان، ولو أنها تبقى لأحد لعددنا الشجعان من أضل الناس لأنهم يعرضون حياتهم للموت.

والذي أراه خلافًا لما ذهب إليه المتنبي لو أن الحياة تبقى لأحد وخلد فيها أحد لكان ذلك لأفضل البشر محمد ﷺ.

إن في هذه الأبيات تحولًا في السلوك، كما يرى ذلك الشكعة، وهو مظهر من مظاهر القلق النفسي عند المتنبي في مصر، يقول الشكعة معلقًا على هذه الأبيات أيضًا[3]: «يالله!! ما أسرع ما تتغير الأحوال فتتطور معها

(1) **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: أبو عبد الرحمن المكي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، الطبعة الأولى، 1425هـ ـ 2004م، 4/ 153.

(2) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة أو أبو حمزة صاحب رسول الله ﷺ. (**الأعلام** 2/ 24).

(3) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 337.

الأفكار، وتتحول معها أنماط السلوك، من كان يصدق أن مثل هذه الأفكار الأخلاقية والاتجاهات الإنسانية تصدر عن المتنبي الذي لم يُعنَ إلا بكل قول دموي حتى وهو يمدح أو وهو يصطنع حكمة القول في سالف أيامه؟!».

ومما يكشف عن نفسية أبي الطيب المتنبي في أثناء وجوده في مصر، تعرضه للمرض بالحمى، وما قاله في وصف الحمى يكشف ما كان يعانيه أبو الطيب من ألم الغربة والمرض.

يقول الشكعة[1]: «ثم جاءت الحمى، وأحسّ الشاعر بالغربة، الغربة الحق، فليس أذل للمرء السليم من المرض، وليس أوجع للمريض من أن يكون مغتربًا، إنه حينئذ يحسّ بالألم والانكسار واليتم، فإذا أضيف إلى ذلك كله الاضطهاد، أو الإحساس بالاضطهاد، كان المرض حينئذ رزءًا كبيرًا».

يقول أبو الطيب في وصف الحُمّى[2]:

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ المَلامِ وَوَقْعُ فِعَالِهِ فَوقَ الكَلامِ

ذَرانِي والفَلاة بَلا دَلِيْلٍ ووجْهِيَ والهَجِيْرَ بِلا لِثَامِ

ومنها:

وزائِرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً فليسَ تَزُورُ إلا فِي الظَّلامِ

بَذلتُ لهَا المَطارِفَ والحشَايَا فَعافتْهَا وبَاتَتْ فِي عِظَامِي

يخاطب المتنبي صاحبيه اللذين يلومانه على مكابدة الأخطار، ويبين أنه أجل من أن يُلام ويرى أن أفعاله قد تعدت كلامه، فهو ليس قولًا فقط، وإنما أفعال تتعدى الكلام، ويطلب منهما أن يتركاه في الفلاة فقد تعودها أيضًا، ثم يبدأ بوصف الحمى التي لم تكن تأتيه إلّا في الليل فهي حييّة لا

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 339.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 142.

تزورهُ إلّا فيه، ويبيّن أنّه يهيئ لهذه الزائرة الفرش الوثيرة، ولكنها تأبى إلّا أن تبيت في عظامه. لقد كشفت قصيدة الحُمى عن حالة المتنبي النفسية التي انتقل فيها من وصف آلامه الجسدية، إلى وصف الناس وأخلاقهم، إلى الشكوى.

يقول:

قَلِيلٌ عائدي، سَقِمٌ فُؤادِي كَثيرٌ حَاسِدي، صَعْبٌ مَرامَي
عَليلُ الجِسمِ مُمْتَنِعُ القِيَامِ شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ المُدَامِ

يُبيّن أن زواره قليل، وأن فؤاده سقيم، وأن حساده كثير، وأن مطلبه صعب، ويؤكد أنه مريض عليل جسمه لا يستطيع القيام، ومما يعانيه من ألم جسدي فهو كالسكران بشدة، ولكن هذا السكر من غير الخمر، وإنما هو من شدة المرض.

وينتقل إلى وصف أخلاق الناس حسب ما يراه هو فيقول:

فَلَمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًا جَزَيْتُ عَلى ابتِسَامٍ بابْتِسَامِ
وصِرتُ أَشُكُّ فيمَنْ اصْطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعضُ الأنَامِ

يذكر أنه لما صَار ودّ الناس خداعًا جزاهم وعاملهم بابتسام على ابتسامهم غير الصادق في نظره، وربما يكون لأثر الألم الجسدي والنفسي من الحمى أثر في توهمه أن الناس كلهم مخادعون في حبهم، ثم بين أنَه صار يشك حتى في الذين يصطفيهم؛ لأنه يرى أن أخلاق الأنام فاسدة فمادام من الأنام فهو يحمل صفاتهم.

يقول الشكعة رحمه الله عن هذه الأبيات[1]: «يتخذ المتنبي في خضم آلامه المرضية وضيقه بقسوة الملاريا ـ يعرف ذلك من جربها ـ وإحساسه بالقلق الذي لابُدّ قد اشتد تحت وطأة المرض، موقف الذي ضاق ذرعًا بالناس جميعًا، فكلهم في نظره فاسد الأخلاق مخادع».

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 341.

ومن وصف أخلاق الناس ينتقل المتبني في قصيدته إلى الشكوى، التي كانت ولاشك ناتجة من حالة نفسية يمر بها الشاعر، يقول في الشكوى:

أَبِنْتَ الدَّهرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ   فَكيفَ وَصَلتِ أَنتِ مِنْ الزِّحَامِ

جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لمْ يَبقَ فِيهِ   مَكانٌ للسِّيُوفِ ولا السِّهامِ

أَلا يا ليتَ شِعْرَ يَدِي أَتُمْسِي   تَصَرَّفُ فِي عِنَانٍ أو زِمَامِ

فَرُبَّتَماَ شفَيْتُ غَليلَ صَدرِي   بِسَيْرٍ أو قَنَاةٍ أو حُسَامِ

يخاطب الحمى ويصفها ببنت الدهر وهي المصيبة، وهو عنده من مصائب الدهر الكثير، فكيف وصلت مع شده زحام هذه المصائب، ويذكر أنها قد جرحته إضافة إلى جروحه الكثيرة في جسده، الذي لم يبق مكان لجراح أخرى من سيوف أو سهام، ثم بعد الشكوى من المصائب والجراح يتمنى أن يعرف، هل ستتصرف يده في عنان الفرس، أو زمام الإبل، فربما يشفي غليل صدره ـ وهو ما يجده فيه من حرٍّ ـ برحلة أو ملازمة رمح أو سيف.

يقول الشكعة عن هذه الأبيات[1]: «ومن وصف الحُمّى ينعطف المتنبي إلى شكوى الزمان، ومصائب الأيام، ويتألم، ويتعجّب، ويتساءل عمّا إذا كان مستطيعًا ثانية أن يعود ـ كما كان ـ فارسًا يركب ويسافر ويحارب».

من خلال هذه القصيدة يظهر لنا ما كان يعانيه المتنبي من ألم نفسي تعددت أشكاله، من تعبير عن ألم جسدي، إلى بيان فساد أخلاق الناس، إلى الشكوى.

ويختم الشكعة ﷺ حديثه عن هذه القصيدة فيقول[2]: «إنَّ حالات

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 344.

(2) نفسه، ص 347.

القلق والمرض والإحساس بالاضطهاد فجرت في نفس المتنبي طاقة ضخمة من المشاعر التي جعلته يحلق بتلك المعاني الممتعة التي لاشك في أن أكثرها جديد في شعره، متميّز عن سائره، وأنّى له أن يأتي بمثل هذا الشعر في الحمى لو لم يمرض ويشعر مع مرضه بها بلون خاص من الألم، وأنى له أن يأتي بالقيم الخلقية التي جاء بها في قصيدته».

ثالثًا: استعلاء أبي الطيب المتنبي

إنّ المتتبع لسيرة أبي الطيب المتنبي ومراحل حياته، يلاحظ أنها كانت مشحونة بكثير من المواقف التي تنم عن وجود أعداء كثيرين للمتنبي. وأغلب الظن أن أولئك الأعداء والحساد، إنما أظهروا عداوتهم للمتنبي من بابين اثنين:

أولهما: أن المتنبي تبوأ منزلة كبيرة عند الملوك والأمراء الذين نزل في بلاطهم؛ الذي كان غالبًا ما يزخر بعدد من الشعراء والأدباء الذين بزهم المتنبي وصار في منزلة أعلى من منزلتهم.

ثانيهما: أن المتنبي ـ فيما يبدو ـ كان ذا كبرياء واستعلاء على الناس حتى إنه لم يسلم من ذلك الأمراء الذين نزل عليهم.

يقول الدكتور كمال أبو مصلح في كتابه[1] «أبو الطيب المتنبي حياته وشعره»: «كان المتنبي ذا كبرياء وترفُّع. وكانت له دالة على الملوك والأمراء إلى حد لم يكن لغيره حتى نسب إلى الجنون».

لقد درس مصطفى الشكعة ﵀ ظاهرة استعلاء أبي الطيب المتنبي، وذلك وفق المنهج النفسي الذي كشف عن شيء من نفسية أبى الطيب المتنبي.

(1) **أبو الطيب المتنبي حياته وشعره**، كمال أبو مصلح، الناشر المكتبة الحديثة، ص 80.

فالشكعة يجعل من تكبّر المتنبي سببًا لكثرة حساده ومناوئيه؛ فهي صفة لازمت المتنبي مما سبب له الكثير من المتاعب. يقول الشكعة متحدثًا عن شخصية المتنبي عند سيف الدولة[1]: «إلا أن شخصية المتنبي القلقة وسلوكه الغريب وتكبره على كثير من الناس قد أكثر من حاسديه في بلاط سيف الدولة، فضلًا عن تدلـله على الأمير تدللًا لا يتمَشّى مع تقاليد الأمراء على مختلف الأزمنة».

وفي تأكيد على استعلاء أبي الطيب المتنبي يرى الشكعة أن استعلاءه إنما زاد لدى الأمير سيف الدولة الحمداني.

ومن مظاهر هذا الاستعلاء التكبر على أولئك الأدباء والشعراء، الذين كان يزخر بهم بلاط سيف الدولة. وليس التكبر فقط، وإنما يصل الأمر إلى السخرية بهم.

يقول الشكعة[2]: «ويتعامل المتنبي مع حساده في بلاط سيف الدولة من خلال استعلائه الذي نما أكثر ما نما عند الأمير الحمداني؛ ولذلك فإنه يعمد إلى السخرية بهم ـ وهم من القيمة والكثرة بمكان ـ متقمصًا ثوب الكبر، مرتديًا رداء من لا يُبالي».

هذه الكبرياء، وهذا الاستعلاء والغرور كان من نتائجها كثرة حساد أبي الطيب ومناوئيه.

ويشير الشكعة ﷺ إلى أن من مظاهر استعلاء المتنبي عدم إنشاد الشعر واقفًا، وإنما كان ينشد الشعر بين يدي سيف الدولة جالسًا.

يقول الشكعة متحدثًا عن المتنبي عند سيف الدولة[3]: «فلم يكن في ماضي سنيّه يعبأ بالرجال، وقد كان سيف الدولة أيضًا ذا هيبة، ومع ذلك

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 105.
(2) نفسه، ص 115.
(3) نفسه، ص 502.

كان ينشده جالسًا، فإذا نبّه إلى ذلك أعلن اعتراضه في تحدٍ وغضب» بل إن بعض الروايات تشير إلى أن أبا الطيب من شدة استعلائه وكبريائه اشترط على سيف الدولة الحمداني ألّا ينشده شعره إلا وهو قاعد.

ونجد أن هناك رأيًا للأستاذ محمود شاكر حول هذه الرواية التي تبين أن المتنبي قد اشترط على سيف الدولة ألّا ينشد شعره إلا وهو قاعد.

يقول[1]: «إنّ النصّ يقول إن سيف الدولة قد دخل تحت شروط المتنبي حيث اشترط عليه ألّا ينشده إلا وهو قاعد، وأنه لا يكلَّف تقبيل الأرض بين يديه. ونحن لا ندرى لماذا يدخل سيف الدولة تحت هذه الشروط، ولا نعرف لماذا اشترط أبو الطيب هذه الشروط؟ إذا كان قد جاءه على غير معرفة متصلة بينهما، وكان قد جاءه مستميحًا طالبًا رفده ونواله».

هذا الكلام والاعتراض على الرواية التي تذكر اشتراط المتنبي على سيف الدولة ألّا ينشده الشعر وهو واقف قد يكون مقبولًا حسب الأسئلة السابقة التي طرحها محمود شاكر، ولكن بماذا نفسِّر ما فعله المتنبي من الأمر نفسه مع كافور الإخشيدي، حيث اشترط عليه ألّا ينشد شعره بين يديه إلا ومعه السيف والمنطقة، وعندما يركب لابد أن يكون معه حاجبان ومعهما السلاح.

يقول يوسف البديعي[2]: «وكان يقف بين يدي كافور وفي رجليه خُفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق».

وفيما يبدو أن المتنبي يفعل ذلك مع الأمراء الذين ينزل عليهم، بسبب نفسيته التي من أبرز صفاتها الاستعلاء والكبرياء.

---

(1) **المتنبي**، ص 192.

(2) **الصبح المنبي عن حيثية المتنبي**، ص 112.

ومن مظاهر استعلاء أبي الطيب المتنبي استعلاؤه على التجّار واحتقارهم:

حيث لم يكتفِ أبو الطيب المتنبي بالاستعلاء على خصومه وحساده، وكذلك بعض الأمراء أحيانًا كثيرة، وإنما امتد ذلك إلى التجار، وربما يكون قد امتد إلى غيرهم من طبقات المجتمع الذي يعيش فيه أبو الطيب المتنبي، ولكن الذين ذكرهم الشكعة في دراسته هم أولئك الحساد والمناوئون، والحكام والتجّار. فقد كان المتنبي يحتقر التُّجار، حيث بدأت قصة احتقاره للتجار بتصنيف الناس، وجعل التجار من أقل مراتب الناس.

يقول الشكعة متحدثًا عن هذا الأمر عند المتنبي[1]: «يُصرُّ على تصنيفِ الناس درجات، وتقسيمهم إلى مراتب، ويجعل أدنى مراتبهم التجّار».

لقد أفصح أبو الطيب المتنبي عن احتقاره للتجار في شعره عندما رثى أم سيف الدولة، وذكر أن من محاسنها أنْ ليس في جنازتها أحد من التجار، فهو يعد أن إحدى محاسن أم سيف الدولة عدم مشي التجار في جنازتها الذين يكون همهم بعد انتهاء الدفن نفض نعالهم، فالمتنبي أراد إبراز قدر هذه المرأة وأنها امرأة عظيمة، ولكن ذلك كان بتنقّص التجار، وأنهم لا يمشون إلا في جنازة امرأة من عامة الناس.

يقول المتنبي[2]:

ولا مَنْ فِي جَنازَتِها تِجَارٌ يَكونُ وداعها نفضُ النِّعَالِ

يقول الشكعة عن هذا البيت[3]: «الحق أن هذا البيت والأبيات الثلاثة التي سلف ذكرها تعد من أسوأ الشعر ذوقًا، وأرخصه صوغًا، وأسخفه فكرًا، وأسقمه خيالًا».

---

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 457.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 17.

(3) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 458

ويقول أيضًا[1]: «لقد ظل المتنبي يحمل في أعماقه الاحتقار للتجار منذ أن رثى أم سيف الدولة قبل عشر سنوات أو يزيد».

وعندما نزل أبو الطيب المتنبي بغداد بعد عودته من مصر نزل ضيفًا على أحد التجار هناك، وهو الأديب أبو محمد الحسن بن حامد، فيقول له بعد أن أكرمه: لو كنت مادحًا تاجرًا لمدحتك يقول الشكعة وهو يتحدث عن المتنبي عندما نزل على ذلك التاجر ضيفًا[2]: «وإذا به يوجه إلى هذا المضيف الكريم صفعة على وجهه ويقول له: لو كنت مادحًا تاجرًا لمدحتك».

هذا التكبر على التجار والاستعلاء عليهم أحد مظاهر استعلاء المتنبي واعتداده بنفسه، التي هي مظهر من المظاهر التي تكشف لنا عن نفسية أبي الطيب المتنبي المتأرجحة بين التشاؤم والقلق واليأس والاستعلاء.

والذي يبدو لي أن بذرة الاستعلاء لم تكن مقصورة على تعامل المتنبي مع التجار، وإنما كانت مع جميع الناس ولكن الشكعة ﷺ جعل استعلاء المتنبي مع التجار مظهرًا من مظاهر كبريائه واستعلائه.

وفي نظري لو أنعمنا النظر في شعر المتنبي لوجدنا شواهد كثيرة تدل على استعلاء المتنبي على جميع طبقات المجتمع.

---

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 458

(2) نفسه، 459.

المبحث الثالث

المنهج الاجتماعي

بعد أن درس الشكعة ﷺ شعر المتنبي، وذلك باستخدام المنهج التاريخي، الذي ركّز فيه على مولد أبي الطيب المتنبي، ونشأته، و علاقته بالقرامطة، ثم قضية تنبؤ أبي الطيب، وختمه بمصرع المتنبي وعلاقة عضد الدولة بذلك.

ثم درس بعد ذلك شعر المتنبي باستخدام المنهج النفسي، الذي عرض فيه لنفسية المتنبي قبل اتصاله بكافور، والقلق النفسي للمتنبي في أثناء وجوده في مصر، وختمه باستعلاء أبي الطيب المتنبي. أقول بعد أن درس الشكعة شعر المتنبي باستخدام المنهجين النفسي والتاريخي، نجده يدرس شعر المتنبي على حسب المنهج الاجتماعي، ذلك المنهج الذي يركّز على دراسة الأدب ظاهرةً اجتماعية، ويبيّن العلاقة بين الأدب والظروف الاجتماعية، ويعرض أمورًا من حياة الناس وعلاقتهم بعضهم ببعض، ويعرض شيئًا من مناشطهم في بيئتهم.

عندما يدرس الشكعة ﷺ شعر المتنبي مستخدمًا المنهج الاجتماعي فإننا نجده يعرض من خلاله لثلاثة أمور:

1 ـ الحياة الثقافية في بلاط سيف الدولة وأثرها في شعر المتنبي.

2 ـ البيئة المصرية وأثرها في شعر المتنبي.

3 ـ بيئة العراق العجمي وأثرها في شعر المتنبي.

وسأتناول فيما يلي كل أمر من الأمور بشيء من التفصيل:

أولًا: الحياة الثقافية في بلاط سيف الدولة وأثرها في شعر المتنبي

إنّ المرحلة التي عاشها أبو الطيب المتنبي في بلاط سيف الدولة، التي استمرت ما يقارب التسع سنوات كانت من أغنى مراحل حياة المتنبي، وذلك لما كانت تتمتع به حلب عاصمة دولة بني حمدان من ثراء ثقافي، تمثل ذلك الثراء في وجود عدد كبير من الشعراء والعلماء والأدباء في بلاط سيف الدولة الحمداني.

يقول صاحب كتاب مقدمات سيفيات المتنبي[1]: «لاشك أن لبيئة المتنبي أثرًا في شعره يرتفع عن غيره، فهو رجل عاش في خضم البيئة وتنقل من مكان إلى آخر وعاشر الأمراء وقاسى من حساده وذاق صاب الحروب وعسلها».

إنّ الشكعة ﷺ يصور تلك المرحلة من مراحل حياة المتنبي ويرى[2] أن المجتمع الحلبي آنذاك يتكون من عدة طبقات؛ فهناك طبقة الأمراء، وطبقة القواد، وطبقة الخدم، وطبقة الجواري، كما أنه يوجد في حلب عدد من المذاهب والأديان المختلفة في تلك البيئة؛ فهناك السنة وهناك الشيعة، وكذلك أهل الذمة من اليهود والنصارى، وأما من الناحية الاقتصادية المعيشية لأهل حلب، فقد كانت طبقات الشعب المختلفة تعيش على التجارة، والصناعة، والزراعة، وكانت تنعم برغد العيش في الفترات التي كانت بين المعارك والحروب، وأمّا عندما تنشب المعارك فإن أغلب المجتمع يعيش في شظف العيش، أما إذا استثنينا طبقة الأمراء فإننا نجدهم يعيشون في بحبوحة من العيش، حيث كانت القصور الفارهة التي من

(1) **مقدمات سيفيات المتنبي**، أحمد عبد الله المحسن، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م

(2) انظر، **سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام**، ص 157.

أشهرها قصر «الحلبة» لسيف الدولة الحمداني، ومنها قصور الشاعر أبي فراس الحمداني؛ قصور البديع و المستجاب، والمصلى التي ذكر بعضًا منها في شعره حيث يقول[1]:

قِفْ فِي رُسومِ المُستجَا ... بِ ونَادِ أكْنَافَ المُصَلَّى»
فالجَوْسَقِ المَيْمُونِ فالسُّـ ... ـقْيَا بِهَا فالنَّهرُ أعْلَى
تِلكَ المَنَازِلُ والمَلاَ ... عِبُ لا أرَاهَا اللهُ مَحْلاَ

يحث أبو فراس على الوقوف في ربوع قصره المستجاب، وبنداء نواحي قصر المصلَّى، والحصن الميمون، التي بها الماء يجري في الأنهار، ويدعو لهذه المنازل ألّا يريها الله محلًا ولاجدبًا.

وأمّا حياة الحمدانيين فقد كانت حياة مترفة، والذي يدل على ذلك قصورهم وما كان فيها من مظاهر الترف. يقول الشكعة عن ذلك[2]: «عاش الحمدانيون في ترف واسع، فهذه قصورهم تشهد بذلك، وأن ما حوته من تحف ثمينة ليشهد بلون الحياة التي كانوا يحيونها».

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية في مملكة الحمدانيين في حلب أملاكهم الكثيرة، من المماليك وخصوصًا الأتراك، الذين يقومون بالحراسة والخدمة. ونجد أن هذه الظاهرة قد أثرت في شعر أبي الطيب المتنبي حيث نجد صداها في إحدى قصائده، وذلك عندما توفي أحد مماليك سيف الدولة واسمه «يماك» وجلس سيف الدولة للعزاء فيه على غير عادة الملوك، يقول الشكعة[3]:

«ويماك الذي بلغ من حب سيف الدولة له أن حزن عليه يوم مات وجلس لتقبل العزاء فيه، وهو أمر غير مألوف أن يجلس ملك لتقبل العزاء

(1) **ديوان أبي فراس الحمداني**، ص 143.
(2) **سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام**، ص 161.
(3) نفسه، ص 164.

في وفاة أحد مماليكه، حتى اضطر كبير شعراء الأمير وهو أبو الطيب المتنبي أن يشارك سيف الدولة أحزانه».

ونجد أن المتنبي قد تأثر بهذه الحادثة الاجتماعية وأنشأ قصيدة في رثاء «يماك» حيث يقول[1]:

لا يُحْزِنِ اللهُ الأمِيرَ فَإنَّنِي لآخُذُ مِنْ حَالاتِهِ بِنَصِيْبِ
ومَنْ سَرَّ أهلَ الأرضِ ثُمَّ بَكَى أسًى بَكَى بِعُيُونٍ سَرَّهَا وقُلُوبِ
وإنّي وإنْ كَانَ الدَّفِينُ حَبِيْبَهُ حَبيبٌ إلى قَلبِي حَبيبُ حَبيبِي

يدعو أبو الطيب المتنبي للأمير بألّا يحزنه الله، ولا يصيبه من ذلك بشيء؛ لأنه يزعم أنه مشارك للأمير في حزنه، وأنه يأخذ من ذلك الحزن بنصيب، وليس الأمر قاصرًا على الشاعر فحسب، وإنما إذا بكى الأمير فقد بكت عيون وقلوب الذين سرّهم قبل ذلك؛ فهم مشاركون له في أحزانه، ثم يخبر أنه وإن كان المدفون بعيدًا عنه إلّا أنه حبيب إلى قلبه؛ لأنّه حبيب لحبيبه الأمير سيف الدولة الحمداني.

أمّا حينما نعرض للحياة الثقافية في بلاط سيف الدولة الحمداني، وأثرها في شعر المتنبي، فإننا نجد أنها كانت زاخرة بكل ما هو جديد ومفيد، وكان من أهم أسباب ازدهار الحياة الثقافية في بلاط سيف الدولة كرم الأمير، وتشجيعه للعلماء والأدباء والشعراء.

وعن كرم سيف الدولة وتشجيعه للشعراء والأدباء، يقول الشكعة[2]: «ليس من شك في أن من أسباب رقي الشعر في بلاط سيف الدولة تلك السماحة النادرة، والكرم الوفير الذي كان يخلعه الأمير على شعرائه، فكلما جوَّدوا في بضاعتهم ازدادت عطاياه لهم».

من أثر هذا الكرم الفياض على شعر أبي الطيب المتنبي، ما ذكره

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 1/ 49.
(2) **سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام**، ص 183.

الشكعة من أن أبا الطيب لم يكن ينشد مدحه إلا بثمن، ولكنه عند سيف الدولة يمدحه طواعية لِما رأى من كرمه وعطائه، يقول الشكعة[1]: «وكان كرم سيف الدولة يدفع بالمتنبي إلى أن يمدحه طوعًا، وهو الذي لم يكن ينشد مديحةً إلا بثمن».

يقول أبو الطيب وقد فاض نهر قويق، الذي كان يحيط بالقصر بعد أن خرج بفرسه وقد بلغ الماء إلى صدر فرسه»[2]:

حَجَّبَ ذَا البَحْرَ بِحَارٌ دُونَهُ ... يَذُمُّهَا النَّاسُ ويَحْمَدُونَهُ

يَا مَاءُ هَلْ حَسَدْتَنَا مَعِيْنَهُ ... أمْ اشْتَهَيْتَ أنْ تَرَى قَرِيْنَهُ

أَمْ انْتَجَعْتَ لِلغِنَى يَمِيْنَهُ ... أَمْ زُرتَهُ مُكَثِّرًا قَطِيْنَهُ

أَمْ جِئْتَهُ مُخَنْدِقًا حُصُونَهُ ... إنَّ الجِيَادَ والقَنَا يَكفِيْنَهُ

يشبه الشاعر سيف الدولة بالبحر، وأن الماء قد حجب الناس عن زيارته، فالناس يذمون نهر قويق لأنّه حال بينهم وبينه، ويمدحون سيف الدولة، ثم يخاطب الماء، فيقول هل حسدتنا عليه، أم أردت أن تكون قرينًا وندًا له فلذلك فضت وزخرت. أم جئت طالبًا لمعروفه، أم مكثرًا من عنده في مجلسه، ويستمر في سؤال الماء، أم أنك جئت لتحفر خندقًا حول حصونه، ولا حاجة لذلك الخندق لأن الخيل والرماح التي عنده يكفينه عن ذلك.

ومن الأسباب الثقافية التي أثرت في شعر أبي الطيب المتنبي في بلاط سيف كثرة الشعراء والعلماء في تلك الندوة، واشتعال المنافسة بين أبي الطيب المتنبي، وغيره من شعراء بلاط سيف الدولة، حتى إن تلك المنافسة لتتحول إلى عداوة، يشير إليها أبو الطيب المتنبي في إحدى قصائده، ويشير إلى حسّاده ومناوئيه، ويظهر فخره عليهم حيث يقول في

(1) **سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام**، ص 185.

(2) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 171.

أبيات متفرقة من قصيدة له مخاطبًا سيف الدولة[1]:

أُعِيذُهَا نَظَراتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أنْ تَحسَبَ الشَّحمَ فيْمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ
إنْ كانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنا فَما لِجُرْحٍ إذا أرضَاكُمُ أَلَمُ
كَمْ تَطلُبُونَ لَنَا عَيبًا فيُعجِزُكُمْ ويكرَهُ اللهُ مَا تأتُونَ والكَرَمُ
بأيّ لَفظٍ تقولُ الشّعْرَ زِعْنِفَةٌ تَجُوزُ عِنْدَكَ لا عُرْبٌ ولا عَجَم

إذا كانت هذه القصيدة قصيدة الوداع وآخر ما قاله أبو الطيب المتنبي في بلاط سيف الدولة، إلّا أنها تعبر في أبياتها السابقة عن مدى تأثر أبي الطيب بما كان يحدث في بلاط سيف الدولة من خصُومات وعداوات، فقد أبانت لنا عمّا كان يدور في تلك البيئة المصغرة.

والذي أراه أن أبا الطيب المتنبي قد تأثر بكل الأحداث التي كانت تدور في ذلك البلاط، ومن أهم ما أثر في شعره معارك سيف الدولة الحمداني، التي بدورها كانت ذات أثر مباشر في قصائد المتنبي الحربية، التي تعرضنا لها بشيء من الدراسة في المبحث الأول، من الفصل الأول. يقول الشكعة عن هذا الأمر[2]: «الحق أن المتنبي وهو في رحاب سيف الدولة قد أهدى إلى الشعر العربي فنًا جديدًا نفيسًا من فنون الشعر وهو إجادة وصف المعارك الحربية وصفًا لم يسبق إليه من حيث الاحتشاد والاحتفال».

والذي يبدو لي أيضًا أنه قد اكتفى بما كان يحدث داخل البلاط، وقصر شعره عليه، اللهم إلّا في وصف المعارك التي خرج إليها مع سيف الدولة؛ لذا فإننا لا نجد وصفًا للبيئة الحلبية الجميلة في شعر المتنبي، مثلما فعل عندما وصف شعب بوّان في طريقه إلى عضد الدولة، وكذلك ـ فيما يبدو ـ أنّ الشعر الذي يصف أحداث ومناشط المجتمع يكاد

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 3/ 362.

(2) **سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام**، ص 207.

يكون معدومًا في شعر المتنبي. إذن فقد اقتصر تأثير البيئة على شعر المتنبي في داخل تلك البيئة المصغرة، وهي بلاط سيف الدولة الحمداني، إذا استثنينا من ذلك وصف المعارك والحروب.

ثانيًا: البيئة المصرية وأثرها في شعر المتنبي

بعد أن غادر أبو الطيب المتنبي بلاط سيف الدولة متوجهًا إلى مصر، كانت تنتظره هناك حياة جديدة وبيئة مختلفة عن تلك البيئة التي أَلِفها في حلب عند سيف الدولة الحمداني.

لقد كانت المدة التي قضاها المتنبي في بلاط سيف الدولة تقارب التسع سنوات مليئة بالأحداث، والمعارك التي كان يخوضها الأمير الحمداني بين الفينة والأخرى، وعندما انتقل إلى مصر كانت في تلك المدة تعيش في حالة من الأمن والاستقرار، حيث أتاحت هذه المدة للمتنبي نوعًا من الاستقرار، وجعلته يتأثر بذلك الأمن الذي كانت تنعم به دولة الإخشيديين آنذاك.

يقول الشكعة[1]: «أمّا من ناحية مصر ـ كدولة ـ فقد كان طابعها المنعة والاستقلال في عصر الإخشيديين، فهي آنذاك مستقرة سياسيًا، مظفّرة عسكريًا، رخِيّة اقتصاديًا، متماسكة اجتماعيًا، أما وتلك بنية مصر ثقافة، وعلمًا، وأدبًا، واستقرارًا، ومنعة، ورخاءً، وطيب عيش، فقد كان بدهيًّا أن يتأثر المتنبي بهذه الجوانب، إن لم يكن بجميعها فبأكثرها؛ لأنه عايشها خمس سنين طوالًا، وكان طبيعيًا أن يظهر أثر هذه الحياة المستقرة في كثير من شعره في جوانب عديدة من سلوكه».

إن البيئة العلمية والثقافية في مصر في عهد الإخشيديين، كانت بيئة زاخرة بكثير من العلماء والأدباء والشعراء، وكلّ ذلك كان له أثر في حياة

---

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 405.

وشعر أبي الطيب المتنبي في مصر، بل في تغيّر سلوكه وفكره، يقول الشكعة ﵀ متحدثًا عن بيئة مصر الأدبية والعلمية[1]: «وكانت هذه البيئة العلميّة الأدبية الاجتماعية النشطة المتحركة الخصبة ذات أثر كبير في تحولات كبرى في حياة المتنبي فكرًا وشعرًا وسلوكًا».

إذن كان الحراك الأدبي والعلمي في بيئة مصر ثاني العوامل التي أثرت في أبي الطيب المتنبي وفي شعره.

ومن العوامل الاجتماعية التي أثّرت في شعر أبي الطيب المتنبي إبان وجوده في مصر جامعة الفسطاط، إضافة إلى أسواق الوراقين التي كانت تزخر بها الفسطاط في ذلك الوقت، وكان فيها الكثير من العلماء والأدباء والشعراء، بل إن أبا الطيب المتنبي كان يتردد كثيرًا إلى جامعة الفسطاط التي كان مقرّها جامع عمرو بن العاص ﵁، وكذلك كان يتردد إلى الوراقين في أسواقهم.

يقول الشكعة ﵀[2]: «وفي جامع عمرو كان يلتقي أبو الطيب بأدباء الأقطار الإسلامية الوافدين على مصر للتعلم، أو بأولئك الذين يعبرون أراضيها شرقًا وغربًا، يستمع منهم أخبار شعراء تلك الأمصار ومختارات من شعرهم، وبخاصة شعراء الأندلس، كما كان يلتقي أيضًا بتلامذته الذين صاروا أصدقاء له، ورواة لشعره فيما بعد من المصريين».

وأما عن سوق الوراقين فيقول الشكعة ﵀[3]: «أمّا سوق الوراقين فكانت ظاهرة أدبية فريدة في الفسطاط آنذاك، وقد أسلفنا القول بأنها كانت ميدانًا للقاء الأدباء والشعراء والعلماء، وكانت ساحةً للحوار الفكري، والمساجلات الأدبية، وكان أبو الطيب دائم التردد عليها والجلوس فيها عند الورّاق ابن أبي الجوع صديقه وأحد رواته».

---

(1) **سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام**، ص 404.

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 406.

(3) نفسه، ص 404.

ومن العوامل الاجتماعية كذلك التي يرى الشكعة ﷺ أن لها تأثيرًا كبيرًا في المتنبي وشعره في أثناء وجوده في مصر مجلس كافور الإخشيدي الذي كان يضم كثيرًا من الأدباء والشعراء واللغويين والمؤرخين والعلماء، وكانت تدور فيه كثير من المناقشات بين مرتادي مجلسه على اختلاف تخصصاتهم، تلك المناقشات كان المتنبي كثيرًا ما يكون طرفًا فيها، ولكنّه كان أقل حدّة في تقبل الآراء والاعتراضات من ذي قبل.

يقول الشكعة ﷺ[1]: «إن مجلس كافور كان يمثل حلقة نفيسة في هذه السلسلة الذهبية من ندوات الفكر الإسلامي والأدب العربي في القرن الرابع الهجري، وقد ضم مجلس كافور كثيرًا من العلماء واللغويين والأدباء والمؤرخين، وكان أبو الطيب واحدًا من رواده، سمع ورأى كثيرًا مما كان يجري فيه، وشارك بنفسه في كثير من المحاورات وكان طرفًا أصيلًا في عدد منها».

لقد كانت كلّ هذه العوامل مؤثرة تأثيرًا قويًا في سلوك المتنبي وفكره وشعره، حتى إن هذا التأثير لم يقتصر على المتنبي في أثناء وجوده في مصر وحسب، ولكنه تعدّى ذلك إلى المراحل التي ما بعد مصر، حيث نجده يتقبّل النقد في مناظرته مع الحاتمي، و كذلك نشوء علاقة حميمة بينه وبين علماء الندوة عند عضد الدولة، كل هذا كان ناتجًا من التحول الذي أحدثته البيئة المصرية عند أبي الطيب المتنبي.

يقول الشكعة[2]: «هكذا تطور المتنبي في مصر وصار أرحب صدرًا، وألين عريكة وأعمق حوارًا، على أنّ هذا الأمر لم يقف به عند ذلك وحسب، بل إنّ تغيّرًا كثيرًا حدث في فكره، ورقيًّا واضحًا بان في نهج حياته، فقد ترك الحرب والضرب والدماء والقتل؛ لكي يصير إنسان سلام ورسول وئام».

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 405.

(2) نفسه، ص 408.

لقد أثّرت البيئة المصرية في شعر أبي الطيب المتنبي، فبعد أن كان مولعًا بوصف المعارك والحرب والضرب والقتال والنزال مستمدًا ذلك من البيئة التي كان يعيش فيها، وهي بيئة سيف الدولة الحمداني التي كانت بيئة حرب وفروسية، بعد هذا كله نجد أنه وفي مصر يتحول إلى معاني الحب والأخلاق، وذلك بعد أن تأثر بأهل مصر ومخالطته لهم.

يقول أبو الطيب المتنبي في إحدى قصائده وهو بمصر[1]:

صَحِبَ النَّاسُ قبلَنَا ذَا الزَّمَانَا وعَنَاهُمْ في شَأنِهِ مَا عَنَانَا
وتَوَلّوْا بِغُصَةٍ كُلُّهُمْ مِنْـ ـهُ وإنْ سَرَّ بَعضَهُم أحْيَانَا
رُبَّمَا تُحْسِنُ الصنِيعَ لياليـ ـهِ ولكِنْ تُكَدّرُ الإحْسَانَا
ومُرادُ النُّفوسِ أصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَى فِيهِ وأنْ نتفانى

يقول إن الناس قد صحبوا هذا الزمان وأتعبهم من شأنه الذي أتعبنا، ومع صحبتهم للزمان فإنّهم قد تولوا منه بغصة وحسرة، وإن كان قد سرهم في بعض الأحيان، وقد تحسن لياليه الصنيع ولكن هذا الصنيع الحسن تكدّره حوادث الليالي، ثم بين أن هذا الزمان ينتهي، وهذه الدنيا فانية وهي أصغر وأحقر من أن يعادي بعضنا بعضًا.

هذا التحول ناتج من أثر البيئة المصرية في شعر المتنبي وهو تحول من وصف الحرب والمعارك والدماء والضرب، إلى الأخلاق الفاضلة، يقول الشكعة متحدثًا عن هذه الأبيات بعد أن تحدث عن بعض أبياته التي قالها في وصف معركة من معارك سيف الدولة، يقول[2]: «لقد هجر الشاعر الكبير هذه الأقوال الدمويّة، وشجب هذه المعاني القرمطية حين رأى حياة الناس في مصر وشاركهم ألوانها وطعومها، وتحوّل فصار يعزف على قيثارة الحب معاني الإنسانية الأخلاقية ويهتف بأناشيد السلام».

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 239.
(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 410.

وفي أبيات أخرى يتبين جليًّا مدى تأثير البيئة المصرية في شعر أبي الطيب المتنبي، حيث يلقي على كافور أبياتًا تنضح بالرقة والعذوبة، ولم يكن هذا مألوفًا عند المتنبي قبل دخوله إلى مصر.

يقول أبو الطيب[1]:

إذا نِلْتُ مِنْكَ الوُدَّ فالمالُ هَيِّنٌ وكُلُّ الذِي فَوقَ التُّرابِ تُرَابُ
ومَا كُنْتُ لَولاَ أنَتَ إلاّ مُهَاجِرًا لهُ كُلَّ يَومٍ بَلدَةٌ وصِحَابُ
ولكِنَّكَ الدُّنيَا إليَّ حَبيبَةٌ فَمَا عَنكَ لِي إلاّ إليكَ إيَابُ

يخاطب كافورًا ويمدحه، ويقول له إذا نلت محبتك فالمال هين إذا قُورن بها، وكلّ ذلك إلى زوال لأن الذي فوق التراب سيتحول إلى تراب زائل، ويبيّن أيضًا أن كافورًا هو كل شيء بالنسبة إليه، فما أن يذهب إلا سرعان ما يعود إليه.

يقول الشكعة رحمه الله معلقًا على هذه الأبيات[2]: «وفي أغراض الشعر المألوفة يرقى المتنبي في فكره وتعبيره، ويسمو في معانيه، ويحلق في تعامله مع ممدوحه، بحيث ينتهج طرازًا جديدًا من الصياغة والألفاظ والمعاني، فيبدو لنا وكأنه بلسم ودواء، وليس كما عهدناه من قبل شواظًا من نار. إن أبا الطيب يلقي في سمع كافور، بل في سمع الدنيا هذه الكلمات الفريدة لفظًا ومعنى».

والذي أراه أن أبا الطيب المتنبي قد تأثر بمخالطته أهل مصر وبلقائه العلماء والأدباء والشعراء في جامعة الفسطاط وأسواق الوراقين، ولكن أرى أنّه لاينبغي أن نهمل الجانب النفسي الذي كان عليه أبو الطيب المتنبي عندما دخل مصر، فربما ما كابده وما قاساه من معاناة في آخر أيامه في بلاط سيف الدولة الحمداني، كان سببًا في تحول المتنبي عن كلّ ما يذكّره

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 1/ 188

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 410.

بذلك الموقف وبذلك الشعر الذي قاله، ولذا بدأ يتحول مع تهيؤ الظروف له في مصر إلى الأخلاق الفاضلة والتخلي عن العنف ووصف المعارك والقتال.

ثالثًا: بيئة العراق العجمي وأثرها في شعر المتنبي

بعد أن شرّق أبو الطيب المتنبي في البلاد وغرّب، وبعد أن عاش في بلاط سيف الدولة الحمداني ما يقارب التسع سنوات، ثم ارتحل إلى كافور الإخشيدي ومكث عنده قرابة الخمس سنوات، وبعد أن عاد قافلًا من هناك إلى العراق العربي، حيث لم تطل مدة بقائه هناك، وذلك بسبب ما تعرض له من هجوم شديد في بغداد من بعض شعرائها.

بعد هذا كلّه نجد أن أبا الطيب المتنبي يرتحل متوجهًا إلى العراق العجمي ليلتقي عظيمين من عظماء ذلك القطر وهما: وزير وهو ابن العميد، وملك وهو عضد الدولة.

لا شك أن هذه المرحلة من مراحل حياة أبي الطيب المتنبي مرحلة مختلفة عن المراحل التي سبق أن عاشها من قبل، فهو ينتقل من بيئة عربية، إلى بيئة غير عربية، ويعيش مع أناس لهم عادات وتقاليد وطبائع تختلف عن تلك التي اعتادها المتنبي في البيئة العربية بجميع مراحلها.

لقد بدأ المتنبي حياته في العراق العجمي بالذهاب إلى ابن العميد وذلك عندما علم بنزوله في أرجان، وكان أول ما فاجأ أبو الطيب المتنبي في أرجان أنها ضيقة الدور والمساكن وأصيب بالخيبة لما رآه وقال[1]: «تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون بي، وقصدت ربّ هذه المدرة!! فما يكون منه؟».

إن مجلس ابن العميد كان ذا أثر في شعر المتنبي[2]؛ من حيث ما

(1) انظر، **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 477.

(2) انظر، **المتنبي**، ص669.

قُدّم في ذلك المجلس من نقد من ابن العميد نفسه لشعر المتنبي، أو من حيث الشعراء والنقاد الذين كان يزخر بهم ذلك المجلس، واستعراضهم لبعض أبياته وإبداء آرائهم فيها.

إن مخالطة أبي الطيب المتنبي لغير العرب في العراق العجمي جعل تلك البيئة تكون ذات أثر في سلوكه الذي انعكس على شعره، حيث نجد أن تلك البيئة الزاخرة بغير العرب جعلت أبا الطيب المتنبي يتخلّى عن تعصبه للعرب، ويشيد بغيرهم على غير عادته.

يقول أبو الطيب المتنبي[1]:

مَنْ مُبلِغُ الأَعَرَابِ أني بعدَها شَاهدتُ رَسْطَالِيسَ والإسْكَنْدَرَا
وَمَلِلْتُ نَحْرَ عِشَارَها فأضَافَنِي مَنْ يَنْحَرُ البِدَرَ النُّضَارَ لِمَنْ قَرَى

يصف ابن العميد الذي جمع بين العلم والحكمة، وذلك من خلال مخاطبته للعرب، حيث إنّه بعد فراقه لهم وجد رجلًا هو في حكمته وعلمه مثل أرسطو طاليس، وفي ملكه مثل الإسكندر.

وفي أسلوب غير خافٍ يتندر المتنبي بالعرب ويعبّر عن ملله من صحبة العرب، ومن نحر الإبل وأكل لحومها، فأضافه ابن العميد وجعل ضيافته بدل الإبل التي كانت تُنحر، البدرَ التي تكون مملوءةً بالذهب.

يقول الشكعة[2]: «غير أنّه لاينبغي أن تفوتنا ملاحظة خطيرة مستجدة تتمثل في هذا التحول الجديد الفريد في تفكير المتنبي واستمساكه بعروبته وعصبيته لها، فلأول مرّة يُعرّض الشاعر بالعرب، الذي يحصر صفة الكرم المعروفين بها في نحر النياق العشار».

ومن الأمور التي أثّرت في شعر المتنبي وهو في العراق العجمي، خصوصًا في بلاط ابن العميد بعض المناسبات التي كانت تختص بها تلك

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 170

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 482

البيئة، ويختص بها الفرس، ومن ذلك عيد النيروز، الذي لم يكن موجودًا في البيئة العربية التي عاش فيها المتنبي.

فالمتنبي يمدح ابن العميد، فيقول[1]:

جَاءَ نَيْرُوزُنَا وأنْتَ مُرَادُهْ وَوَرتْ بالَّذِي أرَادَ زِنَادُهْ
نَحنُ فِي أرضِ فَارِسٍ فِي سُرُورٍ ذَا الصَّباحُ الَّذِي يُرَى مِيْلادُهْ

يصف عيد النيروز، حيث يبيّن أنّه إنما جاء لأنّه يريد الممدوح ابن العميد، وقد تحقق له مراده، وقد أدرك حاجته التي جاء من أجلها، ويبين بهجته وسروره بوجوده في أرض فارس مع هذا الصباح الذي يولد فيه هذا العيد الجميل.

يقول الشكعة رحمه الله[2]: «إن النيروز عيد فارسي محض، ولكن المتنبي يتبناه ويمجده، ويحاول أن يعرّف به، غير أنّ تعريفه به يبدو قاصرًا. المهم أنه يبدي ابتهاجه بوجوده في أرض فارس».

هذا أهم ما تأثر به أبو الطيب المتنبي في أثناء بقائه في ضيافة ابن العميد التي لم تدم طويلًا، حيث توجه إلى عضد الدولة وذلك بطلبٍ منه.

إن أول ما نجده من تأثير البيئة في شعر أبي الطيب في أثناء وجوده عند عضد الدولة، جمال الطبيعة التي شاهدها في طريقه إلى شيراز متمثلة في شعب «بوّان» الذي وصفه أبو الطيب المتنبي في مطلع قصيدته النونية التي مدح فيها عضد الدولة، يقول أبو الطيب المتنبي[3]:

مَغانِي الشّعْبِ طِيْبًا فِي المَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنْ الزَّمَانِ
ولكنَّ الفَتَى العَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيْبُ الوَجْهِ واليَدِ واللّسَانِ
مَلاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانٌ لسَارَ بِتُرجُمَانِ

(1) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2/ 47

(2) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص 486.

(3) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 4/ 251

ومنها :

غَـدَوْنَـا تَـنْـفُـضُ الأَغْـصَـانُ فِـيـهِ عَـلَـى أَعْـرَافِـهَـا مِـثْـلَ الـجُـمَـانِ
فسرتُ وقدْ حَجَبَنَ الشمسَ عنِّي وجئِنَ من الضياءِ بما كفاني
وأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْـهَا فِي ثِيَابِي دَنَـانِـيْـرًا تَـفِـرُّ مِـنْ الـبَـنَـانِ
لـهَـا ثَـمَـرٌ تُـشِـيْـرُ إليكَ مِنـهَـا بِـأَشْـرِبَـةٍ وَقَـفْـنَ بِـلا أَوَانِـي
وأَمْـوَاهٌ يَـصِـلُّ بِـهَـا حَـصَـاهَـا صَلِيْلَ الحُلْيِ فِي أَيْدِي الغَوَانِي

في هذه الأبيات يتجلى تـأثير البيئة في شعر أبي الطيب المتنبي حيث نجده يصف شعب «بوّان» ذلك الشعب الجميل بمياهه وخضرته فيعدّه من جنان الدنيا، فهو بمثابة أيام الربيع من الزمان، فإن كانت أيام الربيع تفوق سائر أزمنة العام، فإن هذا المكان يفوق سائر الأماكن الجملية، ويصف حالهم وهو بينهم فلونه غير لونهم، وسلاحه غير سلاحهم، وكذلك لسانه غير لسانهم، أي أن لغته غير لغتهم، وهذا الشِّعب يشبه ملاعب الجنّ لكثرة ما فيه من الغرائب واللغات، ولو أن سليمان عليه السلام زارهم على معرفته باللغات لاحتاج إلى مترجم، ثم يصف الشجر الذي في هذا الشعب وما يسقط عليه من ندى ثم تنفضه على أعراف الخيل كحبات اللؤلؤ، ومن كثرة أشجار هذا الشعب فقد حجبن الشمس، ولكن الضياء يأتي كافيًا من بين الأغصان، وهذا الضياء الذي يأتي من جهة المشرق يشبه الدنانير، ولكنه لا يستطيع أن يمسك به فهو يفرّ من الأيدي ويتحرك مع حركة الشمس، ثم يصف ثمر هذا الشعب بأنه ثمر رقيق لأن ماء هذا الثمر يُرى من تحت القشرة فكأنه واقف بلا آنية، وأمّا الماء فليس واحدًا؛ وإنما هي أمواه كثيرة تحدث الحصى من تحتها أصواتًا كما تحدث الحليّ أصواتًا في أيدي الجواري.

إذن فتأُثير البيئة تأُثير جليّ بيّن في شعر أبي الطيب المتنبي، وذلك من خلال وصفه للطبيعة في بيئة العراق العجمي المتمثلة في شعب بوّان الجميل.

يقول الشكعة عن هذه القصيدة وسبب شهرتها[1]: «على أنّ شهرتها لم تنجم عن براعة في معاني المديح فيها، وإنما لأنها محاولة منه جديدة في بناء القصيدة، فكان أن انتهز أبو الطيب مروره بشعب بوّان الأخضر الفينان ذي المياه والجداول والأنهار والأثمار والظلال، فجعل وصفه إياه استهلالًا لمديحته».

إن ندوة عضد الدولة التي كانت تضم عددًا من العلماء والأدباء واللغويين؛ من أمثال عبدالعزيز بن يوسف الجرجاني، وابن جني، وأبي علي الفارسي، كانت جديرة بأن تكون ذات أثر كبير في شعر أبي الطيب المتنبي، ولكن ذلك الأثر المتوقع كان ضعيفًا، يقول الشكعة[2]: «كانت إقامة المتنبي في شيراز عند عضد الدولة ذات ثراء علمي وإنساني، وإن لم تكن كذلك في حقل الشعر».

والذي أراه أن تأثير بيئة العراق العجمي في شعر أبي الطيب المتنبي لم يكن قويًّا، وإن وجد بعض الأثر في بعض القصائد، إلا أن اقتصار أبي الطيب على بيئة الأمراء والملوك وبلاطهم قد أثّر كثيرًا في تأثر شعره بتلك البيئة، إلّا ما كان يحدث في تلك القصور أو ما صادفه أبو الطيب في طريقه، مثل مروره بشعب بوّان. حيث ظهرت بعض تلك الأحداث والأماكن في شعر أبي الطيب المتنبي.

(1) **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، ص507.

(2) نفسه، ص 524.

الخاتمة

الحمد لله، الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير معلِّم، وأفضل متكلم، نبينا محمد ﷺ.

من خلال دراستي لموضوع «مصطفى الشكعة ومنهجه في دراسة شعر المتنبي» فقد حاولت جاهدًا أن أكشف عن الطرائق والمناهج التي استخدمها الشكعة رحمه الله في دراسته لشعر أبي الطيب المتنبي.

وقد أسفر البحث عن جملة من النتائج تتلخص في المقدمة، التي أبرزت أهمية الموضوع، ولاسيما أن الدكتور مصطفى الشكعة رحل عن الدنيا منذ سنوات قليلة، وخلف إرثًا أدبيًا لم يدرس من قبل.

ومن خلال التمهيد الذي كشف عن جوانب من حياة الدكتور مصطفى الشكعة رحمه الله، فقد تبوأ مكانة كبيرة بين علماء عصره، وحصل على عدد من الجوائز التقديرية، ومنها جائزة الدولة التقديرية من جمهورية مصر العربية، ونجد أيضًا أن له عددًا من المؤلفات التي أثرى بها المكتبة العربية، في دراساته عن الشعر والنثر، فقد درس رحلة الشعر من الدولة الأموية إلى الدولة العباسية، وفي مجال النثر كتب عددًا من المؤلفات، فكتب عن البيان المحمدي، الذي درس فيه بيان الرسول ﷺ، وكان الدكتور مصطفى الشكعة من أبرز من كتب عن بديع الزمان الهمذاني. وتوصلت الدراسة من خلال التمهيد إلى أن للدكتور مصطفى الشكعة مؤلفات قيمة في غير تخصص الأدب، وكان من أبرزها على الإطلاق كتاب: «إسلام بلا مذاهب».

وفي الفصل الأول توصل البحث من خلال الطرائق التي استخدمها الشكعة في دراسة شعر المتنبي، ومن خلال مبحث الموازنة، إلى أن أبا الطيب المتنبي، وأبا فراس الحمداني كانا قطبي الموازنة لديه، وذلك لتشابه الظروف التي عاش فيها الشاعران في مرحلة زمنية معينة، منها العيش في بلاط سيف الدولة، ثم اغتراب الشاعرين، ورثاء الأم عند أبي فراس، ورثاء الجدة عند أبي الطيب المتنبي، وكذلك تعرُّض الشاعرين للفخر في شعرهما، ووصف الحرب من قبلهما. وقد كشفت الدراسة عن أن رثاء أبي نواس أصدق من رثاء أبي الطيب المتنبي، الذي كان يخلط رثاءه بشيء من الفخر مما أثر في صدق رثائه، أما فخر أبي فراس فكان بأجداده وأهله، أما أبو الطيب فكان يفتخر بنفسه ويعتد بها، وكشفت الدراسة عن أن أبا الطيب المتنبي ــ وإن لم يكن أول من قال شعر الحرب ــ إلا أنه قد وضع لشعر الحرب أسسًا وطيدة، وصور معالمها بما لم يصوره شاعر قبله.

ومن خلال مبحث دراسة القضايا، نجد أن أبا الطيب المتنبي قد سلك منهج التجديد في شعره وعلى الخصوص في شعر الحرب، فصوّر المعارك وتفاصيلها بما لم يصوره شاعر قبله، وأما قضية فلسفته فقد اختلف فيها الدارسون لشعره، وذهبوا فيها كلَّ مذهب، وبينت الدراسة إلى أن للمتنبي الفضل في تهجين الشعر العربي بالأفكار الفلسفية، وتوصل البحث إلى أن أبا الطيب المتنبي قد حجب بعض شعره، وإن لم يكن مسؤولًا عن ضياع القصيدتين اللتين قالهما قبل مصرعه في طريق عودته من عند عضد الدولة، إلا أنه مسؤول عن عدد كبير من القصائد التي حجبها وقد أشارت إليها بعض المصادر الأدبية.

وفي مبحث دراسة الخصائص الفنية، فإن البحث يشير إلى رأي مصطفى الشكعة الذي يرى أن المستوى الفني لقصائد المتنبي في العراق الفارسي قد نضب وانحسر، وأن الباحث لا يوافق الدكتور الشكعة في هذا، وأن قصائده في وصف شعب بوّان، وفي وداع عضد الدولة تشي بأن

شاعرنا لو قُـدّر له أن يعش لرأينا إبداعًا أكبر من سابقه. ويكشف البحث عن أن مطالع الكافوريات لم تكن ذات طابع تشاؤمي خاص بها، وإنما هي علة قديمة ملازمة لأبي الطيب المتنبي.

وأسفر البحث عن بعض مآخذ معاصري أبي الطيب المتنبي عليه وعلى شعره، وأن دافعها في الغالب الحقد على أبي الطيب المتنبي.

ومن خلال الفصل الثاني: مناهج دراسة شعر المتنبي عند مصطفى الشكعة توصل البحث إلى أنه استخدم ثلاثة مناهج في الدراسة: المنهج التاريخي، والمنهج النفسي، والمنهج الاجتماعي، ومن خلال المنهج التاريخي كشف البحث عن مولد أبي الطيب المتنبي، ونشأته، ونسبه، وقرمطية المتنبي التي يرجّح البحث أنه اعتنقها في صباه ثم تركها، بل وانقلب عليها، وأشار إلى تنبؤ أبي الطيب، والآراء التي قيلت من قبل القدماء والمحدثين حول هذا، وكشف عن مصرع المتنبي وعلاقة عضد الدولة، والقرامطة، وكافور الإخشيدي بمصرعه.

ومن خلال المنهج النفسي، فقد كشف البحث عن نفسية المتنبي قبل كافور، فقد كان في حالة من الإحباط واليأس وذلك مما حدث له في بلاط سيف الدولة في آخر أيامه هناك، وأما قلقه في أثناء وجوده في مصر فقد كان واضحًا رغم الحياة الكريمة التي وفرها له كافور الإخشيدي، وتوصل البحث إلى أن المتنبي كان يستعلي على كثير من معاصريه، وعلى الخصوص العلماء والشعراء والتجار، وأن ذلك الاستعلاء كان سببًا في نشوء كثير من العداوات بين أبي الطيب ومعاصريه. ومن خلال المنهج الاجتماعي تبين أن أبا الطيب لم يتأثر بالبيئة في حلب، إلا بما كان يدور في بلاط سيف الدولة، والمعارك التي شاهدها، فبرغم التسع سنين التي قضاها هناك إلا أنه لم يصف البيئة الحلبية رغم جمالها، ولم ينقل لنا في شعره ما كان يدور في المجتمع الحلبي خارج قصر سيف الدولة. وتبين أن أبا الطيب المتنبي قد تأثر بالبيئة المصرية التي عاش فيها، واختلط بطلاب

العلم في جامعة الفسطاط، وبالوراقين في دكاكينهم، فقد تخلى عن لغة الدم ووصفِ المعارك والقتال، وبدأ شعره يميل إلى الرقة، وتوصل البحث إلى أن أثر البيئة في العراق العجمي في شعر المتنبي كان أثرًا محدودًا، فلم نجد منه إلا مدائح وقصائد أخرى تخص ابن العميد، وعضد الدولة، إلا ما كان من وصف شعب بوّان في قصيدته النونية.

هذا، ويحث الباحث دارسي الأدب العربي إلى الالتفات إلى الإرث الأدبي للدكتور مصطفى الشكعة ﷺ، ودراسة ما كتبه عن البيان المحمدي لنبينا محمد ﷺ، في كتابه: «البيان المحمدي» وإلى ما كتبه في مجالات النثر الأخرى، وما كتبه عن الشعر والشعراء في العصرين الأموي والعباسي، حيث إن جهوده في هذه المجالات لم تدرس فهي تستحق أن يُلتفت إليها بالبحث والدراسة.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ما تعاقب الليل والنهار.

المصادر والمراجع

1 ـ **الأئمة الأربعة**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 2003م.

2 ـ **الإبانة عن سرقات المتنبي**، لأبي سعد محمد بن أحمد العميدي، تقديم وتحقيق وشرح إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف بمصر.

3 ـ **أخبار أبي تمام**، تأليف أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، حققه: خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، نظير الإسلام الهندي، قدّم له الدكتور أحمد أمين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1400هـ ـ 1980م.

4 ـ **أخبار سيبويه المصري**، الحسن بن زولاق، مكتبة الأبحاث العلمية لنشر علوم العربيّة.

5 ـ **الأدب في موكب الحضارة الإسلامية**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثالثة، 1426هـ ـ 2005 م.

6 ـ **الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 1992م.

7 ـ **إسلام بلا مذاهب**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.

8 ـ **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، خير الدين الزِّرِكْلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان.

9 ـ **الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني المتوفى 356هـ، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1412هـ ـ 1992م.

10 ـ **أمالي ابن الشجري**، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني

العلوي، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

11 ـ **أمراء الشعر في العصر العباسي**، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت ــ لبنان، إعادة طبع 22، 2007م.

12 ـ **البداية والنهاية**، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى 774هـ، دار المعرفة بيروت، الطبعة الخامسة.

13 ـ **بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ ــ 2003م.

14 ـ **البيان المحمدي**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1416هـ ـ 1995م

15 ـ **تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463هـ**، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة 463هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

16 ـ **تاريخ مدينة دمشق**، تصنيف الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، 499هـ ـ 571هـ، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر بيروت ـ لبنان.

17 ـ **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري**، إحسان عبّاس ، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة.

18 ـ **تفسير القرآن العظيم**، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، الريان للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة، 1420هـ ـ 1999م.

19 ـ **الحرب في شعر المتنبي**، محمود حسن أبو ناجي، دار الشروق، جدة، الطبعة الثانية.

20 ـ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، عبد القادر بن عمر البغدادي، عني بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ.

21 ـ **ديوان امرئ القيس**، دار صادر ـ بيروت ـ لبنان، 1421هـ، 2000م.

22 ـ **ديوان البحتري**، دار صادر، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثالثة، 2012 م.

23 ـ **ديوان أبي تمام**، تقديم وشرح الدكتور محيي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 2007م.

24 ـ **ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى التبيان في شرح الديوان**، ضبطه وصحح فهارسه، مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

25 ـ **ديوان أبي فراس الحمداني**، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1404هـــ.

26 ـ **ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام**، عبد الوهاب عزام، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1375هـــ ـ 1956م

27 ـ **الرسالة الحاتمية**، أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي، ملحقة بكتاب الإبانة عن سرقات المتنبي، لأبي سعد محمد بن أحمد العميدي، تقديم وتحقيق وشرح إبراهيم الدسوقي البساطي ، دار المعارف بمصر.

28 ـ **رسالة في قلب كافوريات المتنبي من المديح إلى الهجاء**، عبد الرحمن حسام الدين زاده الرومي، دار صادر، بيروت، 1413هـ ـ 1993م.

29 ـ **الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره**، من كلام أبي علي محمد بن الحسن الحاتمي الكاتب، تحقيق الدكتور محمد يوسف، نجم الجامعة الامريكية ببيروت، دار صادر، دار بيروت، بيروت ـ لبنان 1385هـ ـ 1965م.

30 ـ **سقط الزند**، أبو العلاء المعري، شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1410هـ ـ 1990م.

31 ـ **سلسلة إثنينية عبد المقصود خوجة**، 9 / 121، في 24 ـ 6 ـ 1412هـ 30 ـ 12 ـ 1991م.

32 ـ **سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام**، مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي ـ القاهرة.

33 ـ **الشعر والشعراء**، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، دار إحياء العلوم، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، 1412هـ 1991م.

34 ـ **الشعر والشعراء في العصر العباسي**، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى 1959م.

35 ـ **الصبح المنبي عن حيثية المتنبي**، يوسف البديعي، تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة عبده، دار المعارف، الطبعة الثالثة.

36 ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: أبو عبد الرحمن المكي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، الطبعة الأولى، 1425هـ ـ 2004م.

37 ـ **أبو الطيب المتنبي حياته وخلقه وشعره وأسلوبه**، محمد كمال حلمي، مطبعة الشباب ـ مصر، 1921 م.

38 ـ **أبو الطيب المتنبي حياته وشعره**، كمال أبو مصلح، الناشر المكتبة الحديثة.

39 ـ **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين**، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، صفر1425هـ ـ إبريل 2004م.

40 ـ **العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي**، ناصيف اليازجي، دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية، 1431هـ، 2010م.

41 ـ **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ابن رشيق القيرواني، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي المكتبة العصرية، بيروت، 1424هـ.

42 ـ **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة.

43 ـ **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، 1981م.

44 ـ **في الشعر العباسي نحو منهج جديد**، يوسف خليف، دار غريب، القاهرة.

45 ـ **فيلسوف العرب والمعلم الثاني**، مصطفى عبد الرازق.

46 ـ **الكشف عن مساوئ شعر المتنبي**، للوزير أبي القاسم إسماعيل بن عباد المشهور بالصاحب، المتوفى عام 385هـ، مكتبة القدس، القاهرة، 1349هـ.

47 ـ **لسان العرب**، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار الفكر، مادة وَزَنَ.

48 ـ **المتنبي**، أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، 1407هـ ـ 1987م.

49 ـ **المتنبي والقرامطة**، الدكتور محمد محمد حسين، دار الرفاعي، الرياض.

50 ـ **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410 هـ، مادة وَزَنَ.

51 ـ **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، الدكتور ناصر الدين الأسد، دار المعارف، مصر، الطبعة السابعة، 1985م.

52 ـ **مصطفى الشكعة**، حياته وفكره، إعداد: بكر إسماعيل الكوسوفي، مكتبة ألبابرس.

53 ـ **مصطفى صادق الرافعي كاتبًا عربيًا ومفكرًا إسلاميًا**، مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ ـ1983م.

54 ـ **المطالعات الإسلامية في العقيدة والفكر**، مصطفى الشكعة، دار الكتاب اللبناني للطباعة، الطبعة الأولى، 1990م

55 ـ **معجم الأدباء**، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 2009م ـ 1430هـ.

56 ـ **مع المتنبي**، طه حسين، مصر، دار المعارف، الطبعة الثالثة عشرة.

57 ـ **مغامرات مصري في مجاهل اليمن**، مصطفى الشكعة، دار العودة، بيروت، 1970م.

58 ـ **المغرب والأندلس آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية**، مصطفى الشكعة، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، 1987م.

59 ـ **مقدمات سيفيات المتنبي**، أحمد عبد الله المحسن، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، 1403هـ ـ 1983م.

60 ـ **الملل والنّحل**، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1998م.

61 ـ **مناهج النقد المعاصر**، صلاح فضل، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ.

62 ـ **المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي**، أبو محمد الحسن ابن علي بن وكيع التنيسي، حققه وخرجه وعلق عليه الدكتور فهد بن عبد الله العزام، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، 1429هـ ـ 2008م.

63 ـ **الموازنة**، بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى بالموصل عام 231هـ وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي المتوفى عام 284هـ، تصنيف الإمام النقّادة أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي البصري المتوفى عام 370هـ، حقق أصوله وعلّق على حواشيه محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العلمية، بيروت ــ لبنان.

64 ـ **الموازنة بين الشعراء**، زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ ــ 1393م.

65 ـ **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

66 ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، مانع حمّاد الجهني، دار الندوة العالمية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الخامسة ـ 1424هـ ـ 2003م.

67 ـ **نقد الحاتمي للمتنبي**، دراسة وتحليل، د. ضيف الله بن هلال العتيبي، 1424هـ، بدون ط.

68 ـ **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، 1420 ـ 2000م.

69 ـ **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، علي بن عبد العزيز الجرجاني، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2010م ـ 1431هـ.

70 ـ **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، لأبي منصور الثعالبي، دار الفكر، بيروت، 1332هـ.

مصادر الكترونية

1 ـ مقابلة في قناة المجد الفضائية، برنامج صفحات من حياتي، رابط:
https://almajdtv.tv₤default.aspx?No921 = &type = 2

2 ـ موقع المنظمة الإسلامية للتربية وللعلوم والثقافة إيسيسكو على الرابط:
http://www.isesco.org.ma₤index.php?option§com_k2&view§item&id

إصدارات نادي الطائف الأدبي

تسلسل	عنوان الكتاب	اسم المؤلف	سنة الطبع
1	البحث عن ابتسامة	محمد المنصور الشقحاء	1396
2	المضيفات والممرضات في الشعر العربي المعاصر	عبدالرحمن المعمر	1396
3	سوق عكاظ في التاريخ والأدب	لجنة الآثار التاريخية	1396
4	شبه الجزيرة العربية تهدي الحكمة للعالم	حمد الزيد	1396
5	لكل مثل قصة (1)	مناحي ضاوي القثامي	1396
6	مسيكينة	سعد الثوعي الغامدي	1396
7	هل للشعر مكان في القرن العشرين	د. غازي القصيبي	1396
8	اجنحة بلا ريش ط3	حسين سرحان	1397
9	البيت أولا	هاشم ناظر	1397
10	جوانب صحية في التشريع الإسلامي	حمد الدعيج	1397
11	حديث في الإعلام	د. محمد عبده يماني	1397
12	خطرات في الأدب والفلسفة	حمد الزيد	1397
13	خواطر في التنمية	د. غازي القصيبي	1397
14	ذكريات	أحمد علي	1397
15	رجل على الرصيف	عبدالله سعيد جمعان	1397
16	رحلة العمر	علي حسين الفيفي	1397
17	صور من المجتمع والحياة	علي خضران القرني	1397

18	عذراء المنفى	ابراهيم الناصر	1397
19	فلسفة السلام	هشام ناظر	1397
20	معاناه	محمد المنصور الشقحاء	1397
21	مقالات في الأدب	لجنة النشر	1397
22	ملف النادي (1)	لجنة الملف	1397
23	ملف النادي (2)	لجنة الملف	1397
24	نظرات في الأدب والتاريخ والأنساب	علي حسن العبادي	1397
25	الطـــائف	عبدالقدوس الأنصاري	1398
26	القصة.. نماذج مختارة من القصص السعودي	لجنة القصة	1398
27	المحراب المهجور	ابراهيم الزيد	1398
28	المختصر في نشر النور والزهر ج 1، 2	محمد سعيد العمودي	1398
29	ألوان من الأدب	شعبان جبريل عبدالعال	1398
30	أهازيج	محمد ابراهيم جدع	1398
31	حكاية حب ساذجة	محمد المنصور الشقحاء	1398
32	دريد بن الصمة	مناحي ضاوي القثامي	1398
33	في الأدب والحرب	حسين سرحان	1398
34	كتاب القصة (2)	لجنة القصة	1398
35	كنز الأنساب ومجمع الآداب ط6	محمد الحقيل	1398
36	مذكرات في الخط العربي	جلال أمين الصالح	1398
37	معجزة القرآن الكريم البيانية	د. حسن محمد باجودة	1398
38	معجم معالم الحجاز جـ (1)	عاتق بن غيث البلادي	1398
39	مقالات في الأدب 2	لجنة النشر	1398
40	من حديث الكتب	محمد سعيد العمودي	1398
41	نافذة على حائط مهدوم	هند صالح باغفار	1398

42	هتاف الحياة	عبدالله جبر	1398
43	أحيحة بن الجلاح الأوسي	د. حسن محمد باجودة	1399
44	الرواد الثلاثة	عبدالله خياط	1399
45	الصمت والجدران	سباعي أحمد عثمان	1399
46	الطائر الغريب	حسين سرحان	1399
47	القصاص	عبدالله سعيد جمعان	1399
48	القصة.. نماذج مختارة من القصص السعودي الثالث	لجنة القصة	1399
49	القصة.. نماذج مختارة من القصص السعودي الثاني	لجنة القصة	1399
50	المسحوق	محمد حمد الصويغ	1399
51	أغنية الشمس	ابراهيم الزيد	1399
52	حين ينزف الأفق	اصلاح سهيل	1399
53	سوق الخميس	خليل ابراهيم الفزيع	1399
54	علم العروض	د. عبدالهادي الفضلي	1399
55	كتاب الشعر	لجنة الشعر	1399
56	ملف النادي 3	لجنة الملف	1399
57	الموسوعة الأدبية ج3	عبدالسلام طاهر الساسي	1400
58	ترانيم الصباح	عبدالسلام هاشم حافظ	1400
59	دعونا نمشي ط2	احمد السباعي	1400
60	في موكب الابطال	علي حسين عويضه	1400
61	أبو الشمقمق	د. محمد سعد الشويعر	1401
62	الأحاجي والألغاز الأدبية ط2	عبدالحي كمال	1401
63	تأملات بين الفكر والمجتمع	عبدالله بوقري	1401
64	كلمات حب إلى المدينة المنورة	عبدالسلام هاشم حافظ	1401
65	أزهار	علي حسين الفيفي	1402
66	أوراق مطوية	احمد السباعي	1402
67	تذكرة عبور	عبدالله سعيد جمعان	1402

68	جراح الليل	د. ابراهيم الزيد	1402
69	حنين	علي صالح الغامدي	1402
70	شعراء الحجاز ط2	عبدالسلام طاهر الساسي	1402
71	لكل مثل قصة 2	مناحي ضاوي القثامي	1402
72	ابن طراوة النحوي	د. عياد عيد الثبيتي	1403
73	الحب الكبير	حسين ناصر المجرشي	1403
74	المنتخب في ذكر قبائل العرب	ت/د.ابراهيم الزيد	1403
75	تحفة اللطائف في فضل ابن عباس ووج والطائف	ت/ محمد الشقحاء. محمد كمال	1403
76	رسائل إلى نازك	سعد البواردي	1403
77	لا ليلك ليلي ولا أنت أنا	عبدالعزيز الصقعبي	1403
78	الزهور الصفراء	محمد المنصور الشقحاء	1404
79	بهجة المهج للمويرقي	ت/د.ابراهيم الزيد	1404
80	خطرات في الأدب والفلسفة والسياسة ط2	حمد الزيد	1404
81	ملف النادي 4،5	لجنة الملف	1404
82	الطائف عروس المصائف	حسان محمد سعيد كمال	1405
83	الفنون الصغرى	أبو عبدالرحمن الظاهري	1405
84	المبالغة في البلاغة العربية	عالي سرحان القرشي	1406
85	بين الأصالة والحداثة	احمد فرح عقيلان	1406
86	رحلة إلى الغرب	الشيخ أحمد علي	1406
87	زائر الأمس	علي حسين الفيفي	1406
88	شعراء ثقيف في العصر الأموي	عيضه عبدالغفور السواط	1406
89	ملف النادي 6	لجنة الملف	1406
90	ملف النادي 7	لجنة الملف	1406
91	نشر اللطائف في قطر الطائف	ت/ عثمان محمود الصيني	1406
92	الاخطبوط والمستنقع	عقيلي الغامدي	1407
93	الاندية الأدبية في سطور	النادي	1407

94	النورس	ترجمة / حسين محمد ياغي	1407
95	بوح السنابل	عبدالعزيز المشري	1407
96	تاريخ الطائف قديما وحديثا	مناحي ضاوي القثامي	1407
97	دليل المعلم	إدارة التعليم	1407
98	ملف النادي 8	لجنة الملف	1407
99	ملف النادي 9، 10	لجنة الملف	1407
100	ابن سيناء	د. علي عبدالله الدفاع	1407
101	القصة القصيرة في المملكة بين الرومانسية والواقعية	د. طلعت صبح السيد	1408
102	قصائد تتوكأ على عكاز	سعد البواردي	1408
103	الشرط	عبدالله محمد حسين	1409
104	الصوت والصدى	حسين سرحان	1409
105	تعليم البنات	محمد احمد جمال	1409
106	سفينة الضياع ط2	ابراهيم الناصر	1409
107	قصائد من الصحراء	محمد المنصور الشقحاء	1409
108	ملف النادي 11، 12	لجنة الملف	1409
109	الانتصار على المستحيل	جميلة فطاني	1410
110	الثرى والثريا	عبدالله محمد جبر	1410
111	بين معلقتي امريء القيس وزهير بن أبي سلمى	د. عبدالله باقازي	1410
112	دليل الإدارة المدرسية	عبدالله سالم القاضي	1410
113	شعر ابن قيس الرقيات	د. عبدالله العبادي	1410
114	كاتب وكتاب	حمد الزيد	1410
115	ليلة عرس نادية	عبدالله سعيد جمعان	1410
116	ملف النادي 14، 13	لجنة الملف	1410
117	من أدباء الطائف المعاصرين	علي خضران القرني	1410
118	الدفاع المدني بالطائف	النادي	1411
119	تقاسيم على الرمس	دخيل الله أبو طويلة	1411

120	مدخل إلى النظرية الشخصية	ت/د.فهد عبدالله الدليم	1411
121	ملف النادي 15	لجنة الملف	1411
122	وقفات مع بعض القاصين	د. محمد سعد آل حسين	1411
123	انت واللغة	د. عالي القرشي	1412
124	تاريخ الشيخ المنصوري	د. ابراهيم الزيد	1412
125	رسالة في الفرائض	عبدالرحمن الداود	1412
126	رسوم على الحائط	سعد الحميدين	1412
127	سكب	د. عياد عيد الثبيتي	1412
128	مضامين القضاء البدوي	صالح الجودي	1412
129	ملف النادي 16	لجنة الملف	1412
130	ملف النادي 17	لجنة الملف	1412
131	مورق بالذي لايكون	عبدالله الزيد	1412
132	الانحدار	محمد المنصور الشقحاء	1413
133	سوق عكاظ 19	لجنة الملف	1413
134	عامل المكان في الشعر العربي بين الجمالية والتاريخ	د. عبدالله باقازي	1413
135	ملف النادي 18	لجنة الملف	1413
136	يوقد الليل أصواتهم ويمد أسفارهم بالتعب	عبدالعزيز الصقعبي	1413
137	اصدارات نادي الطائف الأدبي	عقيلي الغامدي	1414
138	التطور الوظيفي	د. عبدالله هذلي، د. سراج الغامدي	1414
139	الهمس الخافت	علي حسين الفيفي	1414
140	بيان الرواة في موت ديما	محمود تراوري	1414
141	عبور القفار فرادى	د. ثريالا العريض	1414
142	مد وأنت الشاطئ	د. ابراهيم العواجي	1414
143	مدخل إلى الآثار الإسلامية في منطقة الطائف	د. ناصر علي الحارثي	1414

144	نادي الطائف الأدبي تاريخ ومسيرة	محمد المنصور الشقحاء	1414
145	الطرق التعب	خلف سرحان القرشي	1415
146	أيورق الندم	سعد الحميدين	1415
147	سوق عكاظ 20	لجنة الملف	1415
148	سوق عكاظ 21	لجنة الملف	1415
149	وكان حلما	صالحة السروجي	1415
150	الموعد المؤجل	رقية حمود الشبيب	1416
151	حديقة النار والورد	عبدالله محمد جبر	1417
152	سوق عكاظ 23، 22	لجنة الملف	1417
153	وشم على جدار الوقت	د. ابراهيم العواجي	1417
154	صدى الأيام	محمد ضيف الله الوقداني	1418
155	الرئاسة في قبيلة زهران	د. ابراهيم الزيد	1419
156	بطولات وقائع معركة الدرعية	د. محمد عبدالله السلمان	1419
157	سوق عكاظ 24	لجنة الملف	1419
158	وأنك.. أصل الجهات	ابراهيم دخيل الوزان	1419
159	امرأة من ثلج	خالد محمد الخضري	1420
160	فجر أنت لا تغب	د. ابراهيم العواجي	1420
161	الإعلام من رواد الأمن العام	صالح الجودي	1421
162	أغلى وطن	موسى السليم	1421
163	حوليات سوق حباشة	د. عبدالله محمد ابو داهش	1421
164	سوق عكاظ 26، 25	لجنة الملف	1421
165	عندما تتعرى الأيام	أحمد صالح باعطب	1421
166	من مشاهير علمائنا	د. محمد سعد الشويعر	1421
167	الإيـاب	دخيل الله ابو طويلة	1422
168	العلماء والأدباء والوراقون في الحجاز في القرن 14	د. عبدالوهاب ابراهيم أبو سليمان	1422
169	تجاعيد المرايا	د. حمود الصميلي	1422

170	سوق عكاظ	محمد موسم المفرجي	1422
171	سوق عكاظ 27	لجنة الملف	1422
172	إسرائيل تحديات المستقبل	عبدالله محمد الشهيل	1423
173	أيام أندلسية	خليل ابراهيم الفزيع	1423
174	ذو العصف والريحان	د. بهاء حسين عزي	1423
175	ابو وجزة السعدي	ت/د. عادل عبدالله حجازي	1424
176	اصدارات نادي الطائف الأدبي دليل المطبوعات	عقيلي الغامدي	1424
177	النقد الأدبي في المملكة نشأته واتجاهاته	د. سلطان سعد القحطاني	1424
178	سوق عكاظ 28	لجنة النادي	1424
179	شجرة الليمون مجموعة قصصية	عقيلي الغامدي	1424
180	قراءات عابرة	علي خضران القرني	1424
181	ماهكذا يكتب الشعر	علي حسن العبادي	1424
182	محمد موسى السليم الموهبة الفذة والمهمة المستحيلة	د. عبدالله الزيد	1424
183	نحيب الأبجدية	جاسم الصحيح	1424
184	نظرات في الأدب والتاريخ والأنساب	علي حسن العبادي	1424
185	الطبريون مؤرخو مكة خلال القرن الثامن الهجري	سليمان عبدالغني مالكي	1426
186	مكة في شعر حسين عرب	د. محمود عمار	1426
187	حين تسير القافلة	محمد عائض القرني	1427
188	زائر الأمس	علي حسين الفيفي	1427
189	متدثر بالبياض	عبدالله متعب السميح	1427
190	الخبر الصحفي	خالد محمد الخضري	1428
191	الورد والطائف	حماد السالمي	1428
192	جنون	نجوى العوفي	1428

193	دورية عكاظ الطائف الثقافي	النادي	1428
194	ديوان عكاظ	اعداد. حماد السالمي	1428
195	سوق عكاظ الرمز والتاريخ	مناحي ضاوي القثامي	1428
196	عكاظ وحي الإبداع	د. عالي القرشي، د. عاطف بهجات	1428
197	ليس مهما	طلال الطويرقي	1428
198	وج 1	النادي	1428
199	وج 2	النادي	1429
200	السير على الأقلام	محمد محسن الغامدي	1430
201	المسرح السعودي	حليمة مظفر	1430
202	عبق الأمسيات	حمزة الشريف	1430
203	عزف القوافي	عائض مستور الثبيتي	1430
204	مدونات تشكيلية	فيصل الخديدي	1430
205	نصوص مسرحية	فهد رده الحارثي	1430
206	هوامش نقدية	حافظ مغربي	1430
207	وج العدد (3)	النادي	1430
208	البرق والبريد والهاتف	عبدالرحمن المعمر	1431
209	الثورات الداخلية والحملات العسكرية على مكة	عبدالحفيظ السالمي	1431
210	الزهور الصفراء	محمد الشقحاء	1431
211	القصيبي في الطائف	حماد السالمي	1431
212	المضيفات والممرضات في الشعر	عبدالرحمن المعمر	1431
213	المعلامة	عقيلي الغامدي	1431
214	النقد القصصي	قليل الثبيتي	1431
215	الورد والطائف ط 2	حماد السالمي	1431
216	بكاء الليل	عبدالله الحضبي	1431
217	بلدي حبيبي	عبدالله بالعمش	1431

218	حدائق لوركا	وفاء خنكار	1431
219	حمار النورة	عبدالوهاب أبو زنادة	1431
220	عكاكيز	هاني الحفظي	1431
221	عمري شموع للوطن	عبدالله بالعمش	1431
222	قصاصات مسرحية	فهد رده الحارثي	1431
223	كيف	حمد الزيد	1431
224	مجاز العدد 1	لجنة إبداع	1431
225	مجاز العدد 2	لجنة إبداع	1431
226	ملامح التراث العمراني بالطائف	محمد قاري السيد	1431
227	ناصر الحارثي بعد وفاته	هلال الحارثي	1431
228	وج العدد (4)	النادي	1431
229	وج العدد (5)	النادي	1431
230	وجه الصباح	محسن السهيمي	1431
231	وطني عشقتك	يوسف العارف	1431
232	الأسوار العالية	حمد الزيد	1432
233	الأكسجين المر	خالد عبدالله الغامدي	1432
234	السنة الأولى	محمد منصور الشقحاء	1432
235	الطائف وسوق عكاظ	مناحي القثامي	1432
236	العرب البائدة، العاربة، المستعربة	نايف محمد العصيمي	1432
237	الكتب والمكتبات والمطابع بالطائف - بيبلوغرافيا	مشعل عيضه الحارثي	1432
238	الوجوه والأقنعة	سمير أحمد الشريف	1432
239	إطلالة جديدة على الشعر السعودي	فوزي خضر	1432
240	بلابل الشوق	لطيفة العصيمي	1432
241	ثقافة حقوق الإنسان	نايف عبدالكريم الثقفي	1432
242	حوش السادة	محمد محسن الغامدي	1432

243	رجل معتل به	عبدالإله الأنصاري	1432
244	رسام علمني	مازن عبدالجبار اليحيا	1432
245	في افاق النص التاريخي	يوسف العارف	1432
246	من أدباء الطائف المعاصرين	علي خضران القرني	1432
247	مهارات التدريس الفعال	زويد معيوضالزيدي	1432
248	وج العدد (6)	النادي	1432
249	نادي الطائف الأدبي الثقافي 37 عاما من التألق والعطاء	اعداد : عقيلي الغامدي	1432
250	وج العدد (7)	النادي	1433
251	حسناء تحتجب	عائض مستور الثبيتي	1434
252	قوارير	محمد الجلواح	1434
253	عازف الليل	أمين محمد العصري	1434
254	رحالة في جزيرة العرب	فوزي خضر	1434
255	أزهار التباسكو	محمد محسن الغامدي	1434
256	الغراب في الشعر الجاهلي الرؤية والتشكيل	أحمد عيسى هلال الهلالي	1434
257	نادي الطائف الأدبي الثقافي ـ توهج واثق.. وتطلع سامق	النادي	1434
258	الشخصية في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية	محمد سعد الزهراني	1434
259	أسئلة القصيدة الجديدة	عالي سرحان القرشي	1434
260	الرمز الإسلامي في الشعر السعودي المعاصر	عدنان صالح الشهري	1434
261	شعر يوم جبلة.. جمع وتوثيق ودراسة	مها أحمد الحارثي	1434
262	الحوار القصصي في شعر الهذليين	صالح السهيمي	1434
263	وج العدد الثامن	لجنة وج	1434

264	غايات الأدب الكبرى	فيصل سعد الجهني	1434
265	الـوجـوه والـدروب (قـراءة فـي شعرية محمد الثبيتي)	طارق سعد شلبي	1434
266	وج العدد التاسع	لجنة وج	1435
267	ذقتها	لطيفة القاري	1435
268	شمس تأذن بالرحيل	سعيد عبدالله الغريبي	1435
269	لغة من كرز	أحلام الثقفي	1435
270	أحتمي بالغياب	زاهر العسيري	1435
271	المعجزات الصغيرة	أحمد البوق	1435
272	نظرية العرف اللغوي	خالد بن أحمد الغامدي	1436
273	سيرة الحب	هند عبد الرزاق	1436
274	في رحاب المتنبي	سامي الثقفي	1436